

صور من حرب الحرب والجهاز

في الحرس

دكتور

أحمد مختار العبادى

العاشر // بكارف بالاسكندرية
جلال حنفى وشراطه

٥١٣٧٩٦١



Bibliotheca Alexandrina



الناشر : منشأة المعارف

44 ش سعد زغلول - محطة الرمل - ت / ف : 4833303 - 4853055 الأسكندرية

32 ش دكorum مصطفى مشرفه - سوسيير - ت : 4843662 الأسكندرية

اسم الكتاب : صور من حياة الحرب و السلام

اسم المؤلف : احمد مختار العبادى

رقم الإدعا : 2000/1550

الترقيم الدولي : 977-03-0676-2

الطبعة : الاولى 2000

جمع كمبيوتر : مكتب الكرنك

التجهيزات الفنية : سلطان كمبيوتر

الطبع : مطبعة سامي

جميع حقوق الطبع و النشر محفوظة للناشر

صور من حياة الحرب والجهاد في الأندلس

أستاذ دكتور
أحمد مختار العبادى
كلية الآداب - جامعة الاسكندرية

٢٠٠٠

الناشر
منشأة المهاوف بالاسكندرية
جلال حزى وشركاه

إهداء

إلى زوجتي رمز التضحية والعطاء ...

... أم أوددي وشريكة حياتي

في حلوها ومرها وحربيها وسلامها

... وتلك هي سنة الحياة ...

د.أحمد مختار العبادي

الفصل الأول

**صور من حياة الحرب والجهاد في الأندلس
من الفتح الإسلامي حتى سقوط الخلافة الاموية
ونهاية عصر الطوائف**

(٩١ - ٤٧٩ هـ / ٧١١ - ١٠٨٦ م)

تقديم :

ذكر عبد الرحمن بن خلدون في مقدمة تاريخية تحت باب : «الحروب ومذاهب الأمم وترتبها» ، أن الحرب أمر طبيعي في البشر ، لا تخلو عن أمة ولا جيل منذ بدء الخليقة .

ثم يقسم هذه الحروب إلى أربعة أصناف :

الصنفان الأولان منها يسميهما حروب بغى وفتنة وهما :

أ- حروب الانتقام التي تقوم على الغيرة والمنافسة والعصبية وتحدث عادة بين القبائل المجاورة والعشائر المتناظرة .

ب- حروب العداون التي تقوم على الغارات والسلب والنهب وتحدث عادة بين الأمم المتواحشة الساكنين في الفقر ، الذين جعلوا أرزاقهم في رماحهم ، ومعاشهم فيما بأيدي غيرهم .

أما الصنفان الآخرين من الحروب ، فيسميهما حروب جهاد وعدل وهما :

أ- الحروب التي تجري غضباً لله ولدينه وهو المسمى في الشريعة بالجهاد .

ب- الحروب التي تقوم بها الدولة ضد الخارجين عليها والمانعين لطاعتها^(١) .

وموضوعنا في هذه الدراسة ، يدخل في نطاق هذين الصنفين الآخرين وهو حروب الجهاد والعدل ، ويدور حول حياة الحرب والجهاد في الأندلس وما يتصل بها من إعداد الجيوش وتدريبها وتعبئتها ، وتطوير أنواع الأسلحة وأساليب القتال ، ووسائل الدفاع والهجوم ، وطرق التجسس ، ووسائل الإعلام ، وتنمية روح الجنود المعنوية ، وذلك على مَرْجع العصور الإسلامية في الأندلس ، وأعطيته عنوان : «صور لحياة الحرب والجهاد في الأندلس» .

(١) راجع (عبد الرحمن بن خلدون : المقدمة من ٢٧٠ - ٢٧٩) .

وقسامته إلى أربعة فصول زمنية :

الأول : من الفتح الإسلامي حتى سقوط الخلافة الأموية ونهاية عصر الطوائف .

والثاني : في عصر دولة المرابطين .

والثالث : في عصر دولة الموحدين .

والرابع والأخير : في عصر دولة بنى نصر أو بنى الأحمر في
غرناطة .

ولقد تجنبت الكلام عن الأساطيل والقتال البحري ، لأنني سبق لى أن
عالجت ذلك في تصانيف أخرى (١) .

(١) راجع كتابي (دراسات في تاريخ المغرب والأندلس) وكتاب تاريخ البحر الإسلامية
في حوض البحر الأبيض المتوسط الجزء الثاني بالاشتراك مع د. السيد عبد العزيز
سالم .

الفصل الأول

صور من حياة الحرب والجهاد في الأندلس من الفتح الإسلامي حتى سقوط الخلافة الاموية ونهاية عصر الطوائف

أولاً : التقسيم الإداري والعسكري للأندلس :

المراد بالأندلس هو أسبانيا الإسلامية في شبه جزيرة إيبيريا التي تقع في جنوب غرب أوروبا .

ونلاحظ في هذا الصدد ثلاثة أسماء متداخلة أطلقت على هذه الجزيرة أو شبه الجزيرة وهي :

١) إيبيريا Iberia : وهو الاسم القديم الذي أطلقه الفينيقيون والإغريق على شبه الجزيرة نسبة إلى العاصر الأيبيرية الحامية الليبية Iberos التي هاجرت إليها من شمال أفريقيا واستقرت فيها وأعطتها اسمها إيبيريا .

٢) أسبانيا أو هسبانيا Hispania : وهو الاسم اللاتيني الذي أطلقه الرومان على شبه الجزيرة ، وله مشتق من هسپریا Hesperia أي نجمة الغرب أو أرض الغرب المتاخمة للمحيط الأطلسي . أو من الكلمة سفان أي أرض الأرائب الجبلية التي اشتهرت بها إلى اليوم .

٣) الأندلس Al-Andalus : وهي التسمية التي قيل أنها مشتقة من اسم قارة أطلانتس الغارقة بجوارها في المحيط غرباً أو أنها مشتقة من اسم قبائل الوندال герمانية التي غزت أسبانيا من الشمال في القرن الخامس الميلادي واستقرت في سهلها الجنوبي وأعطته اسمها واندلوس Vandalus ثم جاء المسلمون وعربوا هذه الكلمة إلى أندلس .

وظلت كلمة أندلس تعنى أراضى الدولة الإسلامية في شبه جزيرة إيبيريا ففى بادئ الأمر أطلقت على شبه الجزيرة كلها على اعتبار أنها كانت فى يد المسلمين ، ثم أخذ مدلولها الجغرافي يقل شيئاً فشيئاً تبعاً للوضع السياسى الذى

كانت عليه الدولة الإسلامية في أسبانيا حتى صار اسم أندلس آخر الأمر فاصرًا على مملكة غرناطة وهي آخر مملكة عربية إسلامية في جنوب شرق أسبانيا.

ولازالت كلمة Andalucia تطلق حالياً على الولايات الجنوبية الأسبانية مثل غرناطة وشبيلية وقرطبة وما لفther .

ويلاحظ أن وضع الأندلس الجغرافي كثغر في الأطراف الغربية البعيدة للعالم الإسلامي ، ويجوار الغرب المسيحي في قلب أوروبا ، قد جعلها في مواجهة مستمرة دائمة مع الدول اللاتينية المسيحية هناك . وهذا جعلها بالتالي تتأثر بمؤثرات محلية أوروبية بحكم البيئة التي نشأت فيها .

وهذا الوضع الأوروبي الجغرافي الذي تميزت به الأندلس ، وهذا التداخل المستمر بين الإسلام والمسيحية في شبه جزيرة إيبيريا ، قد أعطى الأندلس - رغم تعلقها بالوطن الأم - طابعاً فريداً وشخصية مستقلة مميزة ، ذات سمات إسلامية عربية أسبانية ولا يمكن أن تصفها إلا بهذه السمات الثلاث .

وإذا طبقنا هذه الظاهرة على التقسيم الإداري الحربي بعد الفتح الإسلامي ، نجد أن الأندلس كانت مقسمة تقسماً إدارياً محكمًا عندما فتحها المسلمون ، وأن ولاة المسلمين لم يجدوا صعوبة في إدارتها أو جباية خراجها ، أو الدفاع عنها مما يدل على أنهم وجدوا فيها نظاماً إدارياً وفاعلاً واضحاً ومقبولاً منذ أيام الرومان والقوط ، فأفروه وعملوا به .

والواقع أن من يدرس جغرافية شبه جزيرة إيبيريا ، يجد أن حدودها الطبيعية الجغرافية ، تصلح تماماً لأن تكون حدوداً إدارية وعسكرية . فسلسل الجبال ووديان الأنهر التي تقطعها في خطوط مستعرضة من الشرق إلى الغرب أو العكس ، قد قسمتها إلى أقسام طبيعية يمكن تحويلها إلى وحدات إدارية وعسكرية واضحة المعالم . فما كان على المنظم إلا أن يثبت حدود هذه الوحدات ويعين قواعدها ، وهذا ما فعله الرومان والقوط ثم العرب(1) .

(1) راجع : Levi Provençal : Historia de Espana , traducción por Garcia Gomez, : tomo V P. 26-31, Madrid 1957).

وكذلك (حسين مؤنس : فجر الأندلس من ٥٦٥ وما بعدها) .

وقد أطلق الرومان على بعض هذه الأقسام الإدارية الكبيرة اسم بروفنيكias Provincias أي ولايات أو مقاطعات . كما أطلقوا على بعضها الآخر اسم كيفتاس Civitas بمعنى المدن الكبيرة ذات الأحوال الواسعة . ثم جاء المسلمين فاحتفظوا بهذه التقسيمات الإدارية ، ولكنهم سموها كورا بدلاً من بروفنيكias ومدنا بدلاً من كيفتاس ، وأضافوا إليها من المنشآت والأبنية التي تعطيها الشكل الإسلامي المميز لها ، كالمسجد الجامع ، وقصر الإمارة أو الخلافة ، والقصبة والأسوار والأسواق والدروب والقىسارات ... الخ (١) مما يدل على أن المسلمين وإن كانوا قد عملوا بالنظام الروماني والقوطى الذى وجدهم بالأندلس ، إلا أنهم أضافوا وعدلوا بما يناسب طبيعة دولتهم العربية الإسلامية ، وينتمى مع ما عرفوه من نظم إدارية في الشرق حيث كان نظام الكور معمولاً به من قديم ولا سيما في مصر والشام منذ العهد البيزنطى (٢) . غير أنه يلاحظ أن الكورة في الأندلس كانت أوسع وأكبر من الكورة في المشرق كما يشير بذلك المقدس من حيث أنها كانت تنقسم إلى أقاليم وأعمال وأحوال .

أما المدينة فهي كلمة سامية آرامية الأصل ، أي عربية ، وتطلق على المكان الذي يتتوفر فيه العدل والأمن ، إذ أن المقطع دين في الكلمة يدل على معنى العدالة وهذا يعني أنها مقر السلطان أو من يمثله (٣) .

وعلى هذا الأساس كانت الأندلس في مجموعها مقسمة إلى كور ومدن : فالكور هي الولايات الداخلية التي شمل نظامها جنوب الأندلس وشرقيها وغريها، ويحكم كل كورة منها وال بمرسوم خلافي .

أما المدن فهي أيضاً أقسام إدارية كبيرة تقع شمالي بعرض الأندلس من شرقها إلى غريها وتشمل منطقة الثغور العسكرية التي امتدت بين أنهار الإبرو Ebro والدريره Duero والتاجو Tajo . وتنصل إلى الوادي الكبير

(١) راجع : Torres Balbás : *Aspectos de las ciudades Hispanomusulmanas* مجلة المعهد المصرى للدراسات الإسلامية بمدريد الجزء الثاني سنة ١٩٥٤ ص ٧٧-٩٨.

(٢) الكورة تعنى المقاطعة أو الولاية وهي من الأصل اليونانى خوره واللاتينى Curia .

(٣) انظر : (Ira Lapidus : Middle Eastern Cities P. 74, California 1969)

Guadalquivir. فكانت بمثابة السياج أو الدرع الحامى لكور الداخلية . وبحكم المدينة قائد بمرسوم خلائفى أيضاً .

ولقد انقسمت هذه التغور أو الخطوط العسكرية إلى أربع جبهات أيام الأمويين وهى :

١) **الثغر الأعلى** ، وهو الخط الدفاعي الأول في الشمال ويمتد على وادى الإبرو Ebro الذى يصب في البحر المتوسط شرقاً . وقاعدته هي مدينة سرقسطة Zaragoza (١). وكان يواجه مملكة أراجون وقطالونيا في شمال شرق إسبانيا .

٢) **الثغر الأوسط** ، وقاعدته مدينة سالم Medinaceli شمالي مدريد بـ ١٥٣ ك.م في مقاطعة سوريا في أعلى وأوسط نهر دويره Duero الذي يلى وادى الإبرو جنوباً ويصب في المحيط الأطلسي غرباً . ولقد عرفت مدينة سالم من قديم باسم Ocilis في العصر الرومانى . ولما فتح العرب إسبانيا عمر هذه المدينة زعيم مغربي اسمه سالم بن ورعمال المصمودى من قادة الرعيل الأول فسميت باسمه مدينة سالم . وفي عهد الخليفة الأموي عبد الرحمن الناصر صارت هذه المدينة قاعدة للثغر الأوسط سنة ٣٣٥ هـ / ٩٤٦ م في مواجهة إمارة قشتالة الناشئة Castilla عند سفوح جبال وادى الرملة Sierra de Guaderrama التي تشق الهضبة الوسطى .

٣) **الثغر الأدنى** ، وهو الخط الذي يلى الدويره جنوباً ويمتد على وادى الناجو Tajo الذى يصب في المحيط الأطلسي غرباً، وقاعدته مدينة طليطلة (٢) Toledo وكان يواجه مملكة ليون والجلالة في شمال غرب إسبانيا .

٤) **الوادى الكبير Gadalquivir** ، فى الجنوب ويصب فى

(١) سرقسطة مدينة رومانية اسمها الأصلى Cesar Augusti على اسم القىصر الرومانى أوغسطس ثم حرفه الأسبان Zaragoza وعربيه المسلمين إلى سرقسطة .

(٢) طليطلة اسمها اللاتينى القديم تولاطو Tolatum ويدرك البكرى أن معناه فرح ساكنها لارتفاعها ومحصانة مرتفعها والتلوك نهر الناجو حولها . وقد ثبت من مشتقات هذه الكلمة ما يدل على معنى حافة أو سفح الجبل وهو ما يتفق مع وضعها الجغرافى .

المحيط الأطلسي غرباً عند مدينة قادس Cadiz . وتقع عليه عواصم الأندلس مثل قرطبة وشبيلية . وكان يسمى في الأصل بيطي Betis . ويترفع منه نهر صغير يسمى شنيل Genil يغذى مدينة غرناطة في الجنوب الشرقي . وقد مدحه الوزير الغرناطي لسان الدين بن الخطيب بقوله : وما لمصر تفخر ببنائها وألف منه في شنيلها !! (على اعتبار أن حرف الشين في بداية العدد يحسب بـ ألف في اللهجة العامية) .

وهكذا صارت المدن الأندلسية في هذه الخطوط الدفاعية أشبه بقوس دائرة الممتد من البحر الأبيض المتوسط شرقاً إلى المحيط الأطلسي غرباً .

على أنه يلاحظ أن مفهوم المدينة Civitas عند الرومان كان أوسع من مفهومها عند المسلمين الأوائل بالشرق . إذ لم تكن المدينة عند الرومان مجرد مدينة بأراضيها وقصبتها وأسوارها ، بل كانت المدينة وما يتبعها من مدن وأقاليم أخرى واسعة .

ولهذا حينما فتح المسلمون إسبانيا ، أقروا التقسيم الروماني القديم الخاص بالمدينة كقسم إداري كبير يحتوى على مدن وأحواز فسيحة مثل الكورة أو الولاية تماماً . ومثال ذلك مدينة سرقسطة قاعدة الشغر الأعلى التي كانت تتبعها مدايا كبيرة مثل : قلعة أيبوب Calatayud (١) ، ولاردة Lerida ، وتطليلة Tudela ، ووشقة Huesca ، وطرطوشة Tortosa وغيرها .

وكذلك الحال بالنسبة لمدينة طليطلة قاعدة الشغر الأدنى ، التي كانت تتبعها مدايا أخرى على صفات التاجو مثل مجريط Madrid ، ومدينة الفرج أو وادي الحجارة Guadalajara وقرنقة Cuenca وأقليش Uclés وطبليرة Talavera وغيرها .

كذلك يفهم من كلام الجغرافيين أن قرطبة Cordoba العاصمة لم تكن

(١) نسبة إلى القائد أيبوب بن حبيب اللخمي الذي ولى إمارة الأندلس بعد مقتل ابن خاله عبد العزيز بن موسى بن نصیر سنة ٩٧ هـ ، والذي ينسب إليه بناء هذه القلعة التي صارت الآن مدينة كبيرة عامرة تحمل اسمه وهي قلعة أيبوب Calatayud .

كورة بل كانت تعتبر مدينة على الوادي الكبير ذات حوز كبير فيه خمس مدن تتبعها .

وهذا النظام لم يعرف في المشرق الإسلامي حيث كانت المدن تتبع الكور أو الأقاليم التي تقع فيها . أما في الأندلس فالمدن مثل الكور عبارة عن أقسام إدارية كبيرة تتبعها مدن أيضاً .

هذا ، ويلاحظ كذلك أن كلاماً من الكور أو المدن في الأندلس كان لها استقلالها الإداري والعسكري عن العاصمة قرطبة وهذا يدل على أن الأندلسيين لم يحرصوا على نظام المركزية - المعروف في المشرق - في جهازهم الإداري ، لأن طبيعة البلاد الجبلية الصعبة تتنافى مع هذا التركيز سواء في الكور أو المدن . فولاية الكور وقادة المدن كان لهم قسط كبير من التفود المحلي ، ومن حرية التصرف دون الرجوع إلى الخليفة في قرطبة .

ويمكن القول بأن هذه اللامركزية كانت صفة عامة في تاريخ إسبانيا الإسلامية والمسيحية بوجه عام حتى اليوم . وقد ساعدت هذه اللامركزية على قيام حركات استقلالية في فترات ضعف الحكومة المركزية وهي المعروفة في التاريخ الأندلسي بعصور الطوائف أو الفرق .

كذلك يبدو أن ارتباط مدن الثغور بقواعدها وتجاوزها بعضها مع بعض في خطوط دفاعية ، قد ساعد على انهيار تلك الخطوط عقب سقوط قواعدها الرئيسية . فسقوط مدينة طليطلة قاعدة الثغر الأدنى سنة ٤٧٩ هـ / ١٠٨٥ م أدى إلى انهيار خط التاجو كله بحيث تكونت من أراضيه الواسعة ولاية إسبانية جديدة في قلب الأندلس وهي قشتالة الجديدة Castilla la Nueva تميّزاً لها عن قشتالة القديمة Castilla la Vieja (١) وبالمثل يقال بالنسبة لمدينة سرقسطة

(١) عبر الشاعر الطليطي ابن غرنيون البحصبي المعروف بابن العسال عن هذا الوضع يقوله :

شدوا رواحكم يا أهل أندلس فما المقام بها إلا من الغلط
الثرب ينسد من أطرافه وأرى ثوب الجزيرة منسولاً من الوسط !
(ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ٤ ص ١١٨) .

قاعدة التغر الأعلى في وادي الإبرو ، لمدينة قرطبة العاصمة قاعدة الوادي الكبير .

ولهذا كانت كل من سرقسطة وطليطلة وقرطبة ، تعتبر من أهم المدن في شبه جزيرة إيبيريا خلال عصورها الرومانية والقوطية والإسلامية لأن كلاً منها كانت بمثابة فرضة أى رأس جسر لمن يريد عبور الإبرو أو الناجو أو الوادي الكبير (١) .

هذا الوضع الجغرافي والعسكري لـإسبانيا ، جعلها ميدان صراع بين المسلمين والمسيحيين في تاريخها الوسيط . ولذا اعتبرت الأندلس في نظر المسلمين دار جهاد وموطن رباط ، ووصفوها بكلمات تعبر عن هذا المعنى لستدر العطف والتأييد والمؤازرة مثل اليتيمة والغريبة وأهلها الأيتام والغرباء ، ولعلها تتصل برواية الحديث النبوي القائل : « ولد الإسلام غريباً وسيعود غريباً كما بدأ فطوي للغرباء » .

ومن الطريف أن أمثل هذه الكلمات وردت منذ الفتح الإسلامي في الخطبة المنسوبة لطارق بن زياد في قوله : « واعلموا أنكم في هذه الجزيرة أضيع من الأيتام في مأدبة اللئام !! » كذلك وردت في وصية الخليفة الموحدى يعقوب المنصور حين حضرته الوفاة ، إذ قال لمن حوله : « أوصيكم بتقوى الله تعالى وبالytيمة والأيتام ، فسأله أحد الحاضرين ومن اليتيمة والأيتام ؟ فقال : اليتيمة جزيرة الأندلس ، والأيتام سكانها المسلمين » (٢) . كذلك في قول الوزير الغرناطي لسان الدين بن الخطيب :

« جعلنا الله تعالى منن قابل الحوادث بالاعتبار ، وأعاننا على إقامة دينه في هذا الوطن الغريب المتقطع بين العدو والطاغي والبحر الزخار » (٣) . واستمرت فكرة الجهاد وجنة الخلد وارتباطها بالأندلس مختتمة في نفوس

(١) راجع (حسين مؤنس : فجر الأندلس من ١٣٦) .

(٢) ابن عذاري : البيان المغرب في اختصار أخبار ملوك الأندلس والمغرب ، القسم الثالث ، الخامس بتاريخ الموحدين نشر أوليني ميراندا من ٢٠٨ (نطوان سنة ١٩٦٠) .

(٣) المقري : نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ج ٦ من ١٦٦ .

أهل المغرب والأندلس لدرجة انهم فسروا بها أبياتاً من الشعر في وصف الطبيعة !! لأبي اسحاق ابراهيم بن خفاجة الأندلسي في قوله :

يَا أَهْلَ أَنْدَلُسِ اللَّهَ دَرْكُمْ مَاءُ وَظُلْمٌ وَأَنْهَارُ وَأَشْجَارُ
مَا جَنَّةُ الْخَلْدِ إِلَّا فِي دِيَارِكُمْ وَلَوْ خَيْرٌ هَذِهِ كَنْتُ أَخْتَارُ
لَا تَحْسِبُوا بَعْدَهَا أَنْ تَدْخُلُوْ سَقَرًا فَلِيسْ تَدْخُلُ بَعْدَ الْجَنَّةِ النَّارُ (١)

فيروى في هذا الصدد أن رسولًا من الأندلس يدعى الخليلي أنسد هذه الأبيات على سبيل الفخر أمام عاهل المغرب السلطان أبي عاذن فارس المريني الذي لما سمعها ثار غاضبًا واتهم ابن خفاجة بالكذب والإغراء ، إذ كيف يفضل جنة الأندلس على جنة الخلد والآخرة فرد عليه السفير ، الخليلي : يا مولانا ، بل صدق الشاعر ، لأن الأندلس موطن جهاد ومقارعة للعدو وجلاده ، والنبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) الرؤوف الرود الرحيم العطوف يقول : « الجنة تحت ظلال السيف » ، فاستحسن السلطان منه هذا الكلام (٢) .

هذا الوضع السياسي والحربي للأندلس ، قد فرض على أهلها تدريب أبنائهم منذ الصغر على فنون الحرب والقتال ليكونوا على أهبة الاستعداد في كل لحظة . كذلك كانوا يحثونهم على قراءة سير الأبطال مثل سيرة الشاعر الجاهلي عنترة بن شداد العبسي وغيره .

ومن طريف ما يروى في هذا الصدد أن الوزير أمية بن عيسى بن شهيد على عهد الأمير الأموي محمد بن عبد الرحمن الأوسط ذهب يوماً إلى دار الراهن بقرطبة لفقد رهائن بنى قسي وغيرهم من أبناء الثوار على الدولة ، فوجدهم ينشدون شعر عنترة الحماسي أمام المؤدب ، فما كان من الوزير إلا أن نهر المؤدب وقال له : « لو لا أني أذرتك بالجهل لأدبتك أدباً موجعاً ، تعمد إلى

(١) ديوان ابن خفاجة ص ٣٦٤ تحقيق السيد مصطفى غازى (دار المعارف بالاسكندرية ١٩٦٠) .

(٢) المقرى : نفح الطيب ج ٢ ص ١٩٨ و حول هذه الفكرة عبر أمير الشعراء أحمد شوقي عن حبه لوطنه حتى ولو كان في جنة الخلد بقوله :
وطني لو شغلت بالخلد عنه نازعني إليه في الخلد نفسي

شياطين أبناء شياطين ، قد شجى بهم الخفاء ، فترويهم شعر عنترة والشعر الذي يزيدهم بصيرة في الشجاعة ؟ كف عن هذا ولا ترويهم إلا خمريات الحسن بن هانى ، وشبهها من الأهزاں ، ومثل شعر عمر بن أبي ربيعة وجميل بثينة وغيرهما من أمثاله !! (١)

هذا النص السالف الذكر يبين لنا مدى انتشار هذا النوع من الثقافة التربوية العسكرية بين شباب الأندلس إلى درجة أن أحد الوزراء حاول حجبها عن كل من لا يستحقها من الخارجيين على الدولة .

ثانياً : التحصينات الداخلية والساحلية :

لاشك أن الأخطر التي كانت محدقة بالأندلس في العصر الأموي ، سواء من الشمال حيث الممالك المسيحية الأسبانية ، أو من الجنوب حيث الخطر الفاطمي الشيعي في المغرب ، أو من البحر المحيطة بها حيث غارات الدورمانديين (الفايكينج) على سواحلها ، كل هذا فرض على حكمة قرطبة العمل على تحصين مدن الأندلس بالقلاع والمحصون والأسوار ، وتزويدها بكل ما تحتاج إليه من أقوات ومن ذخيرة لمقاومة أي هجوم أو حصار يقع عليها هذا إلى جانب الحملات التأديبية (الصوائف والشوافى) التي كانت ترسلها إلى مصادر هذه الأخطر لردعها .

وتنقسم هذه الوسائل الدفاعية إلى قسمين :

١ - التحصينات الداخلية لا سيما في مناطق الثغور الشمالية والمدائق الجبلية .

٢ - التحصينات الساحلية كالروابط والمحارس والمدارس والطلائج .

١- التحصينات الداخلية :

سبقت الإشارة إلى أن مسلمي الأندلس ، استغلوا طبيعة إسبانيا الجبلية في

(١) ابن سماك العاملى : الزهارات المنشورة ص ١٢٢ - ١٢٣ تحقيق محمد مكي (مدريد سنة ١٩٨٤) .

تكوين شبكة دفاعية ، فجعلوا من سلاسل الجبال ووديان الأنهار التي تقطعها في خطوط مستعرضة من الشرق إلى الغرب أو العكس ، خطوطاً دفاعية ضد أي هجوم يقع عليها . وقامت على هذه الوديان مدن هامة كانت بمثابة قواعد عسكرية لهذه الخطوط مثل سرقسطة وطليطلة ، ومدينة سالم وقرطبة وغيرها من المدن والقلاع والحسون التي كانت أشبه بقوس الدائرة الممتد من البحر المتوسط شرقاً إلى المحيط الأطلسي غرباً على النحو التالي :

القلعة والقصبة ،

كانت الحصون الكبيرة في الأندلس تسمى بالقلاع . وقد دخلت كلمة قلعة في اللغة الأسبانية في صورة Alcalá وبالتصغير أيضاً قلعة Alcolea . وصارت تطلق على أماكن جغرافية كثيرة في إسبانيا إلى اليوم . وهي تقابل كلمة القصبة Alcazaba التي شاع استعمالها في بلاد المغرب وكذلك في بعض المدن الأندلسية مثل غرناطة ومالقة والمرية وبطليوس وكانت هذه القلاع تشييد في أماكن مرتفعة وترف عن سهول خصبة عامرة بالسكان وتتولى حمايتهم وقت الغارات . ومن أمثلة ذلك :

قلعة أيبوب Calatayud جنوب سرقسطة .

قلعة رياح Calatrava غربي طليطلة .

قلعة التراب Calatorao في ولاية سرقسطة .

قلعة النسور Claltanazor في مقاطعة سوريا Soria شمال إسبانيا .

قلعة عبد السلام Alcala de Henares بين مدريد ووادي الحجارة .

قلعة يحصب أو بنى سعيد Alcala La Real في غرناطة

بلاد القلاع Castellas في ولاية Rioja ريوخا ثم صارت بعد اتحادها تسمى قشتالة .

بلدة قشتال Castril بغرناطة .

قلعة جابر Alcalá de Guadaira الحصن الأمامي لإشبيلية .

الحصن ،

ويلى القلعة من حيث الأهمية والاتساع ، الحصن ، وهذه التسمية دخلت

أيضاً في اللغة الأسبانية واتسمت بها مواقف عديدة مثل :

حصن آشر Iznajar في قرطبة

حصن اللوز Iznalloz في غرناطة

حصن التراب Iznatoraf في جيان

حصن الفرج Isnalfaráche في أشبيلية وهي غير مدينة الفرج أو وادي الحجارة Guadalajara قرب طليطلة شمالاً .

ويقع الحصن عادة في مكان مرتفع ، وله مثل القلعة أبراج وأبواب حديدية تتدلى منها قنطرة متحركة يمكن رفعها ، ويحيط به خندق مليء بالمياه . وفي خارج الحصن ريض^(١) يقام فيه المسجد ، ويجواره بعض الحوانيت لأهل الحرف والتجارة ، وكذلك مساحة زراعية محدودة (محرت) إذ كان يسمح لجنود الحامية بممارسة الزراعة والرعى في تلك الأراضي المجاورة للحصن ، وفي حالة الحرب تتنقل هذه الجموع بأمتعتها وموالاتها إلى داخل الحصن .

القصر :

كذلك استخدم في هذا المعنى الحربي لفظ القصر ، وهو لا يعني هنا عمارة مدنية بل أشبه بقلعة حربية . وقد شاع استخدامه في الأعلام الجغرافية الأندلسية ودخل في اللغة الأسبانية على شكل Alquezar في الشغر الأعلى وعلى شكل Alcacer do Sal أي قصر أبي دانس في غرب الأندلس (البرتغال) قصر شنيل Alcazar Xenil . ومن المعروف أنه في شمال المغرب الأقصى وجدت مدارات باسم القصر الكبير والقصر الصغير .

البرج :

كان من الطبيعي أن ترتبط هذه التحصينات الدفاعية بما يسمى بالبرج

(١) الريض والجمع أرباض وهي المساواح أو الأحياء الخارجية للمدينة . وكانت قرطبة محاطة بأكثر من عشرين ريض أشهرها الريض الجنوبي الذي قام في ثورة الهيج على عهد الحكم الريضي بن هشام ولا يزال يعرف إلى الآن باسم Arrabal .

والأبراج لمراقبة العدو والإذار بهجومه . ومازالت إسبانيا تحتفظ ببعض المواقع التي تعرف باسم البرج مثل مدينة Burgos في شمال إسبانيا ، قى سرقسطة ، Borje في مالقة (١) .

الصخور :

إلى جانب القلاع والحسون والقصور والأبراج ، وجدت استحكامات دفاعية أخرى تعرف باسم الصخور والصخيرات وهي حصن جبلي مسورة بطبيعتها الجغرافية من غير تعديل ، ويصعب الوصول إليها ومن أمثلة ذلك صخرة حبيب وصخرة قيس في غرناطة ، وحصن الصخيرات على نهر شغورة Segura في شمال غرب مرسية (٢) .

ويلاحظ أن جبل طارق أطلق عليه في باديء الأمر اسم الصخرة Penia وهذا أيضاً أسماء عديدة أطلقت على الوسائل الدفاعية وانتقلت إلى اللغة الإسبانية مثل :

. Alcantara القنطرة

. Adarve الدُّرْب وهو الطريق الملتَفِ

الطلائع Atalayas وهي مراكز الحراسة التي تبني على الخطوط الدفاعية المتقدمة .

المدور Almodóvar قد يكون اسم الحصن وصفاً لهيئته مثل لفظ المدور الذي أطلق على عدة حصون في مناطق مختلفة من الأندلس مثل قرطبة وروشقة Huesca (٣) .

(١) محمود على مكي : مدخل لدراسة الأعلام الجغرافية ذات الأصول العربية في إسبانيا (مؤتمر مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، الدورة ٦١ ، مارس - أبريل سنة ١٩٩٥ م / شوال - ذى القعدة ١٤١٥هـ) .

(٢) ابن عذاري : البيان المغرب ج ٣ ص ٢٥٦ - ٢٥٧ ، الحميري : الروض المعطار من ١١٦ رقم ١٠٩ .

(٣) السيد عبد العزيز سالم : المساجد والتتصور في الأندلس ص ١٥٧ وما بعدها .

وهناك كلمة الستارة Acitara وتطاق على الحائط الخارجى الذى يحتمى خلفه المدافعون عن حصن أو سور . كذلك يستخدم المهاجمون الستائر للوقاية من قذائف وسهام العدو .

وهناك ما يُسمى بالبريخان Barbacan وهو بمثابة جدار أمامى أقل ارتفاعاً من السور الرئيسي .

وهناك الأبراج البرانية التى عرفت بالأسبانية باسم Torres Albarraneas وهى الأبراج البرانية الخارجة عن نطاق السور .

أما القوراجة Coracha فهى سور فرعى قصير أو ستارة تتصل بالسور الأصلى وتنتهى عادة ببرج برانى يدعم الدفاع عن المنطقة التى يقوم فيها . وعادة ما يقام فى المنطقة التى تحميها القوراجة بذر يستمد ماءه من وادٍ مجاور لإغاثة الذين يهددهم الحصار (١) .

وأخيراً وليس آخرأ هناك العظامير جمع مطممار وهى حظيرة تحت الأرض تخباً فيها الحبوب . وهناك الفجوج وهى السراديب التى يختبئ فيها المجاهدون تحت الأرض .

وقد أمدتنا المصادر الجغرافية الإسلامية بمعلومات هامة عن هذه الوسائل الدفاعية من خلال وصفها للمدن الأندلسية ومثال ذلك ابن سعيد المغربي فى قوله :

، وأكثر مدن الأندلس مسورة من أجل الاستعداد للعدو ، فحصل لها بذلك التشديد والتزيين . وفي حصونها ما يبقى في محاربة العدو ما ينبع على عشرين سنة لامتناع معاقلها ، ودرية أهلها على الحرب ، واعتياذهما ما يطول صبره عليها نحو من مائة سنة ، (٢) .

(١) ابن صاحب الصلة : المن بالإمامية من ٣٩٢ نشر عبد الهادى النازى . انظر كذلك :

Huici Miranda : Historia politica del Imperio Almohade P. 240, Robert Ricard : Coura et Coracha, Al Andalus Vil. XIX 1945 P. 149 Salem Abdel Aziz : Obras Almodades en la Muralla de Sevilla

في مجلة المعهد المصرى للدراسات الإسلامية بمدريد (المجلد العشرون سنة ١٩٨٠ ص ١٧٢) .

(٢) المقى : نفح الطيب ج ١ من ١٩١ .

و حول موضوع تحزين الغلة ، تحدث صاحب الروض المعطار عن ثغر طرکونة Tarragona في شمال شرق الأندلس وقال بأنه وجد في أراضيها بيوتاً مملوءة بالقمح والشعير من الأزمان السالفة قد أسود حبه وتغير لونه^(١).

وحينما يصف الحميري مدينة لاردة Lérida بالثغر الأعلى يقول :

وتقع على نهر يُعرف باسم شيقر Segre جدد بديانها اسماعيل بن موسى بن لب بن فسى سنة ٢٧٠ هـ (٨٨٣ م) ، وحصنها متبع لا يرام ، ولا مطعم فيه بطول حصار . والحصن يطل على فحص Alfoz عريض خصب به بساتين الفواكه الغزيرة ، وكثرة الكتان والرعى ، ولا تخلو ضيعة منها أن يكون بها برج أو سردار يمتنع فيه العامرون بها من العدو ، (٢).

ولقد أشار القزويني إلى سراديب مماثلة في مدينة أفراغة Fraga القرية من لاردة السالفة الذكر ، وأن المحتملين بها أو اللاجئين إليها ، كان يمكنهم الخروج من تحت الأرض إلى الخارج بوسائل متعددة ، وقد أطلقوا على هذه السراديب اسم « الفجوج » (٣).

ومن الثغور الشمالية الشرقية أيضاً مدينة طرطوشة التي امتازت قصبتها بالمنعنة والسمو . وقد أحسن وصفها عبد الملك بن ادريس المعروف بالجزيري الخولاني حين سجنه بها الحاجب المنصور بن أبي عامر :

(١) الحميري : الروض المعطار في أخبار الأقطار مادة رقم ١١٦ نشر بروفنسال ، ويدركنا هذا القول برواية الرحالة ابن بطوطة حينما زار الهند الإسلامية في أواخر القرن الثامن العجري (١٤ م) ووجد فيها أرزًا مخزوناً منذ تسعين سنة في عهد السلطان التركي المعلوكى بلبان . ويقول : وقد شاهدت الأرز يخرج من بعض تلك المخازن ولونه قد أسود ولكن طعمه طيب (راجع الرحلة ج ٢ ص ٣) .

(٢) الحميري : الروض المعطار مادة رقم ١٥٧ .

(٣) القزويني : آثار البلاد وعجائب المخلوقات ، نشر وستنفلاج ج ٢ ص ٣٦٩ .

ولعل كلمة التجوّج من الكلمة الأسبانية Foyo أو Hoyo بمعنى الحفرة .

راجع (ليثى بروفنسال : الروض المعطار للحميرى ، الترجمة الفرنسية من ٢٠٢ حاشية) .

فِي رَأْسِ أَجْرَدِ شَاهِقٍ عَالَى الْذُرِّي
مَا بَعْدِهِ لَمْؤْلِمٌ مِنْ مُصْبِرٍ
يَهُوِي إِلَيْهِ كُلُّ أَعْوَرْ نَاعِقٍ^(١)
وَتَهَبُ فِيهِ كُلُّ رِيحٍ صَرَصَرٍ
وَيَكَادُ مِنْ يَرْقَى إِلَيْهِ مَرَّةٌ^(٢)
مِنْ دَهْرِهِ يَشْكُو انْقِطَاعَ الْأَبْهَرِ

ويبدو أن مهارة الأندلسين في بناء الحصون والقلاع قد شجعت حكام المغرب على طلبهم للاستفادة من خبرتهم في بناء الحصون ، ومثال ذلك الزعيم الزناتي موسى بن أبي العافية حاكم مدينة مليلة Melilla في شمال المغرب الأقصى ، الذي طلب من الخليفة عبد الرحمن الناصر إيفاد عدد من المتخصصين في بناء الحصون ، فأجابه عبد الرحمن الناصر إلى طلبه ، وأخرج إليه محمد بن وليد بن فشتيق رئيس المهندسين لديه مع ثلاثة بناء ، وعشرة من النجارين ، وخمسة عشر من الحفارين ، وستة من الجبارين المحسنين لعمل الجير ، وستة من الإشاريين لأشر الخشب ، ورجلين من الحدادين ، ورجلين من الحصارين^(٣) ، تغيروا من حذاق طبقاتهم ، واحتملت جماعتهم آلاتهم وأدواتهم المتصرفة في صناعاتهم التي يخالونها ، إلى عدد ، فأوصله حملها السلطان معهم استظهاراً على امتداد الأيام بهم في العمل الذي يراد منهم ،^(٤) .

٢- التحصينات الساحلية :

إلى جانب التحصينات الداخلية ، وجدت أيضاً رباطات أو روابط (جمع رابطة أو رباط) ومحارس وقصور على طول سواحل الأندلس لحمايتها من الغارات البحرية المفاجئة التي كان يقوم بها الأسبان والنورمانديون وكذلك الفاطميون الشيعة .

(١) يقصد نعيق الغربان .

(٢) الحميري : الروض المعطار مادة رقم ١١٥ ، والمقصود بالأبهر شريان القلب .

(٣) نسبة إلى صناعة الحصار وهو شيء كالواسدة يوضع على ظهر الحصان أو الجمل ويركب فوقه أو نسبة إلى صناعة الحصیر وهو بساط متسوج من القصب أو نبات الحلفا .

(٤) ابن حيان : المقتبس ج ٥ ص ٣٨٨ - ٣٨٩ نشر وتحقيق شالميتا ، وكوريتطي ، وصبح (مدريد سنة ١٩٧٩) .

وكان أهل الأندلس مثل أهل المغرب ، شديدي التحمس للرباط والجهاد .
فكان الكثيرون منهم يرحلون إلى المغرب للرباط على سواحله ، كما كان
الكثيرون من المغاربة يرحلون إلى الأندلس للقيام بنفس العمل .

وقد اعتبر عمل المرابطين على السواحل رياطاً وجهاداً في آن واحد ،
وكانت حياتهم مزيجاً من التعب وعمارة الأرض المحيطة بحصونهم ومعاونة
الجيوش النظامية في الدفاع عن الثغور الإسلامية .

ومن أهم الرباطات الساحلية الأندلسية (١) ، ذكر رباط مرية بجane في
جنوب شرق الأندلس ، وهو نواة ثغر المرية Almeria . وكان الناس يربطون
على حاشية البحر المتوسط لحماية مدينة بجane Pechina المجاورة له غرباً (٢)
من غارات النورمانديين وغيرهم . ويقول الحميري :

« وكان المجروس (٣) (أى النورمانديون) لما قدموا المرية وتطوفوا بساحل
الأندلس ، فاتخذها العرب مرأى ، وابتنت بها محارس ، وكان الناس يربطون
فيها (٤) . وقد سمى هذا المكان في باع الأمر باسم مرية بجane ثم صار يسمى
المرية . ويرى دوزي أن هذه التسمية مشتقة من فعل رأى ، فيقال هو مرأ
وهي مرئية أو مرية كناية عن ظهور أبراجها ومناورها التي تراها السفن من
بعيد .

وقد ظلت المرية مجرد رباط أو ميناء لمدينة بجane حتى عهد الخليفة

(١) نقتصر هنا على روابط الأندلس ، أما روابط المغرب فقد أفردنا لها وصفاً في كتابنا (دراسات في تاريخ المغرب والأندلس من ٢٩٠ - ٢٩٦) .

(٢) لا شك أن كلمة بجane كان ينطقها الأندليسيون بحده بالإملاء التي هي لهجة أهل الأندلس وبذلك يطابق نطقها الأسباني بلدة Pechina وهي بلدة رومانية قديمة .

(٣) أطلق الأندليسيون اسم المجروس على النورمانديين لأنهم كانوا يحرقون الموتى من زعائهم بسفنهما فظلاوا أنهم يبعدون النار مثل الزرادشتية أو الجوس وهي الديانة التي تنسب إلى زرادشت Zoroastre في إيران (القرن ٧ ق.م.) الذي كان يرى الخير في النور والشر في الظلام لهذا عبدوا النار مصدر الشمس والنور والنهار فكان الزرادشتية مرت في مراحلتين : مرحلة تقدير النار ثم مرحلة عبادة النار وهي المجروسية .

(٤) الحميري : الروض المعطار من ١٨٣ .

الأموي عبد الرحمن الناصر (٩٦١-٩٥٠ هـ / ٢٠٠-٣٥٠ م) الذي اهتم بموقعها وجعلها قاعدة لأسطوله ، وبنى حولها سوراً متيناً من الصخر ، كما أنشأ بها دار صناعة لبناء السفن ، فسمت إلى قسمين : أحدهما للمراتب الحربية والعدد والآلات ، والثاني للمراتب التجارية وما يتبعها من مخازن وفنادق .

ومع ذلك الوقت أخذت مرية تعمد وتكبر على حساب جارتها بجنة حتى صارت من أشهر المراسي وقاعدة القيادة العليا للأسطول ، بينما خربت بجنة وتحولت إلى قرية صغيرة بجوارها^(١) .

وتجدر الإشارة هنا من باب التشابه إلى أن مدينة الإسكندرية المصرية ، وصفت بعبارة مشهورة تقول ، الإسكندرية مرية وترابها زعفران ، ويلاحظ هنا أن مرية الإسكندرية اسم فرعوني قديم هو Merit بمعنى ميناء أطلق على بلدة في جنوب الإسكندرية ويتطل على بحيرة مريوط ثم حور اسم Merit إلى Maria في العصر اليوناني الروماني فقيل مرية الإسكندرية أي ميناؤها . وغير بعيد أن يكون معنى مرية الإسكندرية يطابق معنى مرية بجنة أي ميناؤها . أما القول ، ترابها زعفران ، نسبة إلى الزعفران الذي كان يزرع في ليبيا المجاورة ويباع بثمن غال أي أن ترابها ثمين من باب المديح^(٢) .

ونعود إلى مرية الأندلس حيث كان يقع في شرقها رباط ساحلي عرف برايطة القابطة أو القبطية ولعلها قابطة بنى الأسود التي أشار إليها البكري كموضع بجوار مرية بجنة^(٣) . ويرى المستشرق الفرنسي ليثي بروفنسال إنها تقابع اليوم المكان المعروف باسم Cabo de Gata^(٤) . وقد حرص الخليفة

(١) العُجَيْدِي : نفس المرجع ص ٣٧ ، ١٨٤ ؛ العذري : المسالك والممالك نشر عبد العزيز الأهراني ص ٨٦-٨٧ (مدريد سنة ١٩٦٥) .

(٢) فوزي الفخراني : حفائر مدينة ماريا (كتاب اليوبيل الذهبي لجامعة الإسكندرية ١٩٤٣-١٩٩٣) ، كلية الآداب ص ٩٢ .

(٣) البكري : كتاب المغرب في ذكر بلاد أفريقيا والمغرب ص ٨٤ .

(٤) انظر :

(Levi- Provençal : Histoire de l'Espagne Musulmane tome II P. 190) .

الأموي الحكم المستنصر على زيارة هذه الرابطة في بداية حكمه ، لاهتمامه بأحوالها وأحوال المرابطين فيها .

كذلك يشير ابن الأبار إلى رياضات أخرى نشأت بجوار المرية ، ودفن فيها عدد من الفقهاء والزهاد المجاهدين مثل رباط عمروس ورباط الخشى^(١) ، ويشير الإدريسي إلى برج يحانس Punta Elena الذي كان يقع في هذه المنطقة أيضاً لإيقاد النار فيه عند ظهور العدو في البحر^(٢) . ولعله اليحانس الحالي بولاية المرية ، وينسب إليه الشيخ العارف بالله صاحب الكرامات ، أبو مروان عبد الملك القبسي اليحانسي (ت ١٢٦٩ هـ / ٥٦٧ م)^(٣) .

كل هذا يدل على أن المرية كانت تعتبر من الموانئ الأندلسية الهامة التي تحيطها سلسلة من الرياطات الساحلية لحمايتها من أي عدوan عليها باعتبارها قاعدة الأسطول الأندلسي .

وما يقال عن المرية يقال أيضاً عن المدن الساحلية الأخرى في شرق الأندلس ، مثل مدينة دانيا Denia التي كان يشرف عليها جبل مرتفع سماه جبل قاعون^(٤) ، ويسمى اليوم مونجو Mongo . وهذا الجبل كانت له فائدة كبيرة وهي كشفه للعدو القادم من البحر من بعيد مما يتبع للمسلمين الاختباء فيه عند الضرورة . وقد بدأ عليه بعض تلاميذ الشاعر الصوفي الزاهد أبي عبد الله محمد بن زمدين (ت ١٠٠٨ هـ / ٥٣٩ م) رياطاً لازالت آثاره تطل

(١) راجع ذيول كتاب التكملة لابن الأبار التي نشرها جو نثالث بالثبيا ومحمد شبب من ١٠٤؛ وكذلك :

(Jaime Olivier Asin : Origen Arabe de Rebato p. 27, Madrid 1928).

(٢) الإدريسي : نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ص ١٩٨ ، نشر دى خويه (لندن ١٨٦٦) .

(٣) راجع وصف رحلته في تحفة المقترب ببلاد المغرب لمن له من الاخوان في كرامات الشيخ أبي مروان ، نشر فرناندو دي لا جرانخا (المعهد المصري للدراسات الإسلامية بمدريد سنة ١٩٧٤) .

(٤) الإدريسي : نفس المصدر ص ١٩٢ ، المقرى : نفح الطيب ج ٥ ص ٩٥ .

على البحر هناك ويعرف باسم ألأمبروى Alambroy^(١) . كذلك نذكر الرياط الذى كان يديره حسن بن عبد الله بن عباس على جبل فاره^(٢) أو جبل فاروق^(٣) على ساحل مدينة مالقة Malaga ، وقد اهتم المسلمون بهذا الموضع العام وبنوا عليه حصوناً حتى آخر عهدهم بالأندلس . ولا يزال يعرف هذا المكان إلى اليوم باسم جبل فارو Gibralfaro^(٤) .

وهناك حصن شنفيره Sanfirه الذى كان يقع بجوار مدينة مرسيه فى شرق الأندلس ، وقد اشتهر بالارتفاع والمدعة^(٥) ، وسنعود ذكره فى عصر الموحدين .

كذلك انتشرت الرياطات على الساحل الغربى الأندلسى المطل على المحيط الأطلسى ، ذكر منها على سبيل المثال رياط روتة^(٦) الذى ما زال حصنه قائماً باسم Castillo de Rota عند مدخل مدينة قادس . وكان هذا الرياط مقصدًا للصلحاء والمتصرفية ، وقد زاره الصوفى الأندلسى المعروف محى الدين بن عربى سنة ٥٩٤ هـ / ١١٩٧ م^(٧) . كذلك يشير ابن بشكوال إلى

(١) انظر :

(Julian Ribera : Un Monasterio musulmane en Denia, Disertaciones y Opusculos , tomo II p. 203-204 & Torres Balbas: Rábitas Hispanomusulmanas P. 487, Al Andalus Vol. XII, 1948 fasc.2)

(٢) المقرى : نفح الطيب ج ٩ من ١٠٩ ; ابن عبد الملك المراكشى : الذيل والتكملة ج ٤ من ٢٠٩ نشر إحسان عباس .

(٣) رابطة جبل فاروق من مالقة ، كما أرده أسين بلايثوس نقلًا عن تكملة ابن الأبار(Toponimia Arabe de EspanaP. 107) .

(٤) انظر : Jaime Olivier Asin : Origen Arabe de Rebato P. 23)

(٥) الحميرى : الروض المتعار من ١١٦ رقم ١٠٧ ، والترجمة الفرنسية من ١٤٢ نشر وترجمة بروفسال .

(٦) راجع وصف حصن روطه ومعجزاته بذاته في (الحميرى : المصدر السابق من ١٠٢ مادة ٩١) .

(٧) محى الدين بن عربى : التورفات الملكية ج ١ من ٢٤٢ وكذلك : Torres Balbas Rabitas Hispanomusulmanas P. 485, Al Andalus Vol. XII 1948.

مجموعة من الربط الساحلية الغربية التي رابط فيها بعض فقهاء القرنين الرابع والخامس الهجريين (١٠، ١١ م) ومثال ذلك قوله :

· ورابط ابن محمد الشنوجيالي (ت ٤٣٦ هـ / ١٠٤٥ م) ببطليوس Badakoz ، وموجيق Silves ، وشلب Monchique عمل شلب ، وروى عنه بتلك الجهات ، وكان له فرس اسمه مزوف^(١) .

وفي هذه المنطقة أيضاً وجد رباط التوبية على ساحل المحيط قبالة مدينة أونبه Huelva ، وقد تحول هذا الرباط فيما بعد إلى دير لفرنسيسكان . وما زال يعرف إلى الآن باسم الرابطة La Rabida . والجدير بالذكر أنه في هذا الحصن أقام الرحالة المشهور كريستوفر كولومبس قبل قيامه برحلته التي اكتشف فيها أمريكا سنة ١٤٩٢ م^(٢) .

هذه أمثلة لبعض الرباطات الساحلية في الأندلس حتى القرن الخامس الهجري (١١ م) ولا شك أننا إذا تصفحنا المعاجم الجغرافية الأسبانية ، وجدناها مليئة بالأماكن التي من اسمائها رابطة ورباط ولا سيما في السواحل البحرية أو في الشعور الجبلية التي كانت تفصل بين المسلمين والمسيحيين . وكذلك في جزر البحر المتوسط مثل الجزر الشرقية (جزر البليار) وغيرها مما يدل على وجود رباطات إسلامية فيها .

أما عن حياة المرابطين في هذه الرباط أو القصور الساحلية ، فكانت تقوم على الحراسة والزهد والتعبد وذكر الله بصوت مرتفع . وفي ذلك يقول الصوفي الغرناطي ابن أبي زمدين : ورأيت أهل العلم يستحبون التكبير في العساكر والشعر والرباطات ، دبر صلاة العشاء وصلاة الصبح ، تكبيراً عالياً ثلاث تكبيرات . ولم يزل ذلك من شأن الناس قديماً ،^(٣) .

(١) ابن بشكوال : كتابة الصلة ج. ١ من ٢٦٧ ترجمة رقم ٥٩٣ .

(٢) الحميري : الروض المغطار ص ٦٤ والترجمة الفرنسية ص ٨١ حاشية ، نشر وترجمة ليثي بروفسال .

(٣) ابن أبي زمدين : كتاب قدوة الغازى ورقة ٢٩ (مخطوط رقم ٥٧٥ بالمكتبة الوطنية بمدريد) وكذلك :

وكانت الحراسة تعتبر صفة أساسية من صفات المراقبة . وعرف الحراس الليليون باسم السمّار . وقد جرت العادة أن تكون الحراسة في مراقب عاليٌ ملحة بالرباط ، أو في أماكن مرتفعة قريبة منه لكشف سفن العدو من مسافة بعيدة . وكانت هذه المراقب تعرف باسم الطوالع جمع طالعة أو طليعة Atalaya (١) . وكانت مزودة بالمناور أو المناور أو المواقيد . فكان على أولئك السمّار أو المناورون إذا ما كشفوا عدواً في البحر مقبلًا من بعيد أشعروا النّار في هذه المناور إن كان الوقت ليلاً ، أو أثاروا الدخان فيها إن كان الوقت نهاراً بواسطة أخشاب رطبة تبعث دخانًا كثيفاً يرى من بعيد . هذا إلى جانب استخدام الطلبل والنفير لتحذير أهالي المدن المجاورة عن غارة العدو . وكثيراً ما استعمل المنورون إشارات نارية أو دخانية بطرق وحركات معينة للإشارات عن حالة العدو أو عدده أو جنسيته أو غير ذلك ، وإن كانت المصادر المعاصرة للأسف لم تشرح لنا طريقة إرسال هذه الإشارات (٢) .

ولقد اقتبس الأسبان عن جيرانهم المسلمين نظم المراقبة منذ وقت مبكر ، فدخل لفظ رباط في اللغة الأسبانية ومنه اشتقت كلمة rebato ، والفعل arrebatar أو يرابط ويقاتل ، وعبارة Tocar el rebato أي الإنذار

(Jaime Olivier Asin : Origen Arabe de Rebato P. 26)
ويؤثر عن الرسول (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) أنه كان إذا قفل من غزو أو حج أو عمرة يكتب على كل شرف من الأرض ثلاث تكبيرات . (عبد الحفيظ الكتاني : التراتيب الإدارية ج ١ من ٣٨٣) .

(١) راجع شرح كلمة الطلائع في :

(Dozy : Supplement aux Dic. Arabes II P. 55).

(٢) استخدم المسلمون هذه المناور في مقاومة الصليبيين والمغول في الشرق العربي ، وقد وصفها عدد من المؤرخين أمثال (المقدسي : أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم من ١٧٧ نشري دى خوية ؛ شهاب الدين العمرى : التعريف بالمصطلح الشريف من ١٩٩ ؛ القاشندي : صبح الأعشى ج ١٤ من ٣٩٨) كذلك استخدم البيزنطيون مثل هذا النوع من المشاعل التي يشعرونها فرق أبراج تتمد من التغور القريبة من الحدود الإسلامية إلى القصر الامبراطوري في العاصمة البيزنطية (رانسيمان : الحضارة البيزنطية ترجمة عبد العزيز جاويد) .

بغاره معادية ؟ كذلك استخدمو نفس الوسائل والأدوات بأسمائها العربية مثل الطليعة Atalaya ، والمنارة Almenara ، والنفير Anafil ، إلا أنهم زادوا عليها استعمال التواقيس التي تقابل الطبول عند المسلمين .

ولم يقتصرؤا في ذلك على أجراس الكنائس ، بل وضعوا في كل حصن ناقوساً خاصاً اسموه ناقوس الرباط أو ناقوس الخطر Campana del Rebato . كذلك وضعوا لسمارهم أو حراسهم تعليمات خاصة تأمرهم بعدم افتتاح الكتب أو القيثارة Guitarra أو أدوات الصيد كى يتفرغوا تماماً للحراسة (١) .

والجدير بالذكر أن كلمة الرباط التي وردت في المصادر العربية والأسبانية ، لم تكن تعنى المقام في مكان معين بقصد الدفاع عنه ، بل كانت تعنى أيضاً الهجوم والالتحام في المعركة . وقد أورد ابن العديم عن أبي الدرداء أن أهل الشام مرابطون في سبيل الله ، فمن احتل منهم مدينة فهو في رباط ، ومن احتل بيت المقدس وما حوله فهو في رباط ، ومن احتل ثغرًا من الثغور فهو في جهاد (٢) .

وفي هذا المعنى أيضاً يقول الرحالة الطنجي ابن بطوطه مبرراً سفره إلى الأندلس : فأردت أن يكون ليس حظ من الجهاد والرباط . وقد وردت الترجمة الفرنسية لهذه العبارة :

“ et je desirai prendre part à la guerre sainte et aux combats des infidèles ”.

وهي تعنى القتال والمحاربة (٣) بهذا المفهوم القتالي الهجومي جاءت كلمة arrebatar في اللغة الأسبانية أيضاً . ومثال ذلك الملك الفونسو الحادي

(١) انظر :

(J. Olivier Asin : Op. Cit., P. 46, 47).

(٢) فتحى عثمان : الحدود الإسلامية البيزنطية بين الاحتكاك الحربي والاتصال الحضارى ج ٣ من ٣٣٦ ، نقلأ عن بعثة الطالب لابن العديم (الدار القومية للطباعة والنشر) .

(٣) راجع رحلة ابن بطوطه نشر وترجمة Defermery et Sangiunetti الجزء الرابع ص ٣٥٣ (باريس ١٩٢٢) .

عشر ملك أسبانيا حينما أمر جنوده بعدم الخروج لقتال المسلمين في قوله :
 “Oue no saliesen a los arrebates de los moros” (١)

والخلاصة إن وجود مثل هذه الألفاظ العربية في اللغة الأسبانية ، دليل على شيوع مدلولها بين الأسبان . وحسبنا أن نتصفح مدوناتهم التاريخية ، وأشعارهم ومسرحياتهم كالتى كتبها بيرث دى هينا Perez de Hita ، ثريانتس Lope de Vega ، ولوبي دى فيجا Cervantes ، ولدى مدى استعمالهم لهذه الألفاظ ، ومدى ادراكهم لها وتطبيقهم لمضمونها فى حياتهم الحربية (٢) .

ثالثاً : الأسلحة الحربية :

استخدم الأندلسيون جميع أنواع الأسلحة المعروفة فى عالم العصر الوسيط ، بل انهم قاموا بتصنيعها وساهموا فى تطويرها معتمدين فى ذلك على ما لديهم من مواد خام ، وأيدى صناعية ماهرة ، وعقل مستنيرة مبدعة . ويكفى لتأكيد هذه الحقيقة أن نرجع إلى ما ورد فى المصادر التاريخية من وصف لخزائن السلاح وما فيها من ذخائر ، وكذلك ما أمدتنا به كتب الجغرافيا والرحالة من معلومات عن مناجم الحديد والفحم والكبريت وأبار النفط وغيرها من المواد التى قامت عليها صناعة الأسلحة والذخائر الحربية . هذا إلى جانب ما تبقى إلى اليوم من هذه الأسلحة فى المتاحف الإسلامية والدولية .

وعلى الرغم من تداخل استعمالات هذه الأسلحة بين عمليات الهجوم والدفاع ، إلا أن المؤرخين اعتادوا تصنيفها إلى أسلحة هجومية وأخرى دفاعية ، وثالثة نفسية أو معنوية لتنمية الروح القتالية فى نفوس المحاربين .

وفىما يلى نماذج لهذه الأسلحة الأندلسية فى هذه الفترة الأولى التى تمتد من الفتح الإسلامي حتى نهاية عصر ملوك الطوائف .

١- الرايات والأعلام والألوية والبنود :

من المعروف أن الراية هي راية الجيش كله ، وتكنى بأم الحروب ،

(١) أنظر : Egilaz : Glossario etimológico de las palabras españolas P. 286)

(٢) لطفي عبد البديع : الإسلام في إسبانيا ص ١٠٣ وكذلك Olivier Asin P. 69 .

مشهده حتى أمر بخطف الموضع واتخاذه مسجداً (١).

ذلك اهتم الأمويون في الأندلس بمظهر راياتهم وأعلامهم وألوانهم التي هي شعار لقوة جيوشهم ، ورمز لعظمة دولهم . فـأين حيـان القرطبي حينما يصف خروج الخليفة عبد الرحمن الناصر في غزوة حصن وخشمة Osma في أرض ألبة والقلاع Castilla بالشـغـر الأوسـط عند نهر الدوـيرة Duero سنة ٩٣٥ـ٥٣٤ـ م يقول :

، وقد احتفل لتفخيم بروزه فيما أبرزه من صنوف العدة وتماثيل الأعلام والرأييات الفخمة البديعة الغربية للأجناس ، المرتفعة القيمة . وفي هذا البروز ظهر في أعلامه علم العقاب المصوره التي اخترها ولم تكن لسلطان قبله ، فكان للناس إليها التفات واستشراف ، ولها بقوليهم لوطه (أى محبة) أجرت بينهم حدثاً متعاوناً (متبدلأ) (٢).

ولقد سار على هذه السياسة ولده وخليفة من بعده الحكم المستنصر بالله الذي اهتم بمظاهر رايات جيوشه ، فكانت - كما يصفها ابن حيان - رايات مصورة من صور الأسد والنمور والثعابين والعقبان وغيرها من التصاوير المائية، وأنه كان لديه كذلك لواء الشترنج الذي كان على شكل مربعات مثل الشترنج (٢).

(١) محمد بن عبد الوهاب الغساني : رحلة الوزير في افتتاح الأسير . تحقيق ونشر الفريد البستاني (منشورات معهد الجنرال فرانكر) معهد مولاي الحسن (الآن) قطوان سنة ١٩٣٩ . راجع كذلك (حسين مؤنس : تاريخ الجغرافية والجغرافيين في الأندلس ص ٢٨ (مدريد سنة ١٩٦٧)) .

(٢) ابن حيان : المقتبس ج ٥ (الخاص بال الخليفة الناصر) ص ٣٣٤ نشر شالميتا
وكريلينطي ، وصبح (مدريد سنة ١٩٧١) ويلاحظ أن اسم العقاب يتешابه مع اسم رأيه
الرسول (عليه السلام) والعقاب كما هو معروف طائز جار كالدرس .

(٣) ابن حيان : المقتبس (الجزء الخاص بال الخليفة الحكم المستنصر) من ٢٥ نشر عبد الرحمن الحجي (بيروت سنة ١٩٦٥) وهذا ملزنجي يذكرنا بصفوف الجيش الهندي التي اقتبست منها لعبة الشطرنج .

(Dozy : Supplement aux Dic. Arabes, Vol. I P. 759).

وهي أكبر من العلم واللواء . وكانت راية الرسول (عليه السلام) من صوف أسود مربعة وبها غرة بيضاء وتدعى العقاب .

والعلم ما يعقد على الرمح ويكون طويلاً في العادة ، ولذا يطلق هذا الاسم على الجبل المستطيل أيضاً مثل قول النساء في رثاء أخيها صخر :

وإن صخراً لتألم الهدأ به كأنه علم في رأسه نار

كذلك يضرب به المثل القائل : أشهر من نار على علم (أي جبل) . وفي غرب الإسكندرية منطقة اشتهرت في الحرب العالمية الثانية وهي منطقة العلمين (أي الجبلين) .

أما اللواء : فهو دون الراية ويسمى لواء لأنه يلوى على الرمح لكتبه . ويقال إن لواء الرسول (عليه السلام) أبيض مكتوب عليه ، لا إله إلا الله محمد رسول الله ، .

وهناك البند وهو علم كبير دون الراية واللواء (١) .

وفيما يتعلق بفتح الأندلس لدينا نص طريف هام أورده المؤرخ الأندلسي محمد بن موسى الرازى (٢٤٩ـ٨٦٤هـ) فى تأليف له سماه ، كتاب الرايات ، يصف فيه دخول القائد موسى بن نصير الأندلس ، وكم راية دخلت الأندلس معه من بطون قريش وغيرها من قبائل العرب ، فعدها نيفاً وعشرين راية ، منها رايتان لموسى بن نصير ، عقد له إدحاماً الخليفة عبد الملك بن مروان على أفريقة وما وراءها ، والأخرى عقدها له ولده الخليفة الوليد بن عبد الملك على أفريقة أيضاً وما يفتحه وراءها إلى المغرب والأندلس ، وراية ثلاثة لأبنه عبد العزيز بن موسى بن نصير الداخل معه . وسائر الرايات لمن دخل معه من قريش ومن قواد العرب ووجوه العمال . وكان اجتماعهم لهذا المشهد الكريم ، في الموضع الذي كان فيه مسجد الرايات في الجزيرة الخضراء (Algeciras) وأنه باجتماع الرايات في ذلك اليوم سمى المسجد بها ، كما سمى الرازى كتابه بها أيضاً . وقال إن موسى بن نصير لم يبرح موضعه ولا فارق

(١) عبد الحى الكتانى : الترتيب الإدارية في المدينة المنورة العلية ج ١ ص ٣٢٢ .

وهذا الاهتمام بالرأي والاعلام نجده يتمثل بوضوح في الهدايا الثمينة التي كان خلفاء بني أمية يقدمونها إلى كبار ولائهم وقوادهم ، مثل ذلك الهدية التي قدمها الخليفة عبد الرحمن الناصر إلى موسى بن أبي العافية الوالي على مليلية في المغرب الأقصى ، والتي كان من بينها ، من غرائب السلاح أربعة بنود : بند أول : فيه صورة عقاب مختلف الألوان ، رأسه فضة ، مذهب النقش ، له عينان حمراوان ، في وسط جبهته فصّ أخضر ، وبند ثان : فيه صورة أسد مزورق أيضاً ، رأسه فضة ، له عينان سماوietان ، وبند ثالث : مطلق كبير أبيض مكتوب بتذهيب ، في جوانبه الثلاثة كتاب عريض . وبند رابع : أحمر مكتوب بالفضة في جوانبه الثلاثة كتاب عريض ، وفيها سيفان وهلالان مذهبان مزوقان ، (١) .

ويرى ابن خلدون أن تكثير الرأي وتلوينها وإطالتها ، ربما تحدث في النفوس زيادة في الإقدام ، معللاً ذلك بأن أحوال النفوس وتلويناتها غريبة (٢) .

٢- الحصان :

يعتبر الحصان من أهم الأسلحة لجيوش تلك العصور ، ومنها الجيش الأندلسى بطبيعة الحال ، لا سيما وأن استخدامه كان يتناسب مع طبيعة أسبانيا الجغرافية المرتفعة التي تكتنفها الجبال والتلال والهضاب . وإذا أضفنا إلى ذلك أن أغلب المتطوعين الوافدين من المغرب ، كانوا من فرسان البرير أمكننا القول بأن معظم رجال الجيش الأندلسى كانوا من الفرسان .

أما الرجال أو المشاة ، فكانوا أقلية بالنسبة لهم . مثل ذلك جيش الحاجب المنصور بن أبي عامر في إحدى صوائفه التي بلغ فيها عدد الفرسان ستة وأربعين ألف فارس ، إلى جانب ستمائة فارس من الحرس ، ومائتي فارس لخدمة العسكر ، ومائة وثلاثين فارس من الطبللين ، بينما انتهى عدد الرجال

(١) ابن حيان : المقتبس ج ٥ (الخاص بعد الرحمن الناصر) من ٣٥٣ وقد سبقت الإشارة إلى أن البد علم كبير دون الرأية واللواء .

(٢) ابن خلدون : المقدمة ص ٢٥٧ .

إلى ستة وعشرين ألف راجل ، أى بنسبة ثلاثة فرسان إلى اثنين من المشاة^(١) . وقد جرت العادة أن يستعان بالرجالية فى عمليات الحصار ، وفي استبدال الحاميات المرابطة فى القلاع والحسون ، وكذلك فى الوقوف بالطرق لتغطية المواكب الرسمية .

لهذا اهتم الأندلسيون فى الكور المختلفة بتربية الخيول وتدربيها ، كما اهتموا بسلامتها وتغطيتها أجسامها بدروع جلدية أو فولاذية تعرف بالتجافيف . وكثيراً ما فرضت عليهم الدولة فى أوقات الحروب والأزمات تقديم عدد من الخيول للمساهمة فى الجهاد . ويفهم من كلام ابن سعيد المغربي أن خيول الأندلس كانت ضخمة الأجسام لحملها الدروع وثقال السلاح ، والعدد والركض بها ، فهي حصن القتال^(٢) .

ولقد حرصت الدولة الأموية على الصعيد الرسمي ، على توفير المراوي الخاصة بإعداد وتربية الخيول فى مختلف أنحاء الأندلس . فيشير العذرى الدلائى الأندلسى إلى أن ساحل تدمير (مرسيه) بشرق الأندلس ، كان مركزاً لتربية الخيل حتى إنه كان يخرج ألف فرس من كل ألوان الخيل فى العام^(٣) .

كذلك يشير ابن حيان القرطبي إلى أن وادى البرير Guadalbarbo الذى يصب فى الوادى الكبير بالقرب من قرطبة ، كانت تقيم فيه جماعة من فرسان البرير على عهد الخليفة عبد الرحمن الناصر . وقد جلب هؤلاء الفرسان معهم جرائد من عناق الخيل قاموا باستئنافها فى وادى البرير المذكور^(٤) . هذا

(١) ابن الخطيب : أعمال الأعلام من ٩٩ (الجزء الثانى الخاص بالأندلس) نشر ليلى بروفسال .

(٢) المقري : فتح الطيب ج ١ ص ١٨٥ .

(٣) العذرى : ترصيع الأخبار ص ٢ نشر وتحقيق عبد العزيز الأهوانى (مدريد سنة ١٩٦٥) وكذلك كتاب الأنوار أو تقويم قرطبة لمغربى بن سعد ص ٤١ نشره دوزى كملعك لكتاب البيان المغرب لابن عذارى بعده .

(Dozy : Calendrier de Cordoue née 961).

(٤) ابن حيان : المقتبس ج ٥ ص ٢٥٧ ، مدريد ١٩٧٩ ، محمود مكي : مدخل لدراسة الأعلام الجغرافية ذات الأصول العربية فى إسبانيا ص ٣٢ ؛ وكذلك :

إلى جانب المراعي الخصبة الرطبة التي كانت في جزائر الوادي الكبير المعروفة باسم المدائن بنواحي أشبيلية ، وكانت تضم - كما يقول ابن حيان - من الرماك (أفراس النسل) المستنجة على أجناسها ، ثلاثة آلاف فرس ، يعدلها من فحول الخيل للضرب أو ان الاستنتاج مائة فرس (من ١٥ إبريل إلى ١٥ يونيو) (١). ويصنف صاحب كتاب الروض المعطار قائلاً : وفي آخر نهر أشبيلية من كلتي جانبيه (أى الوادي الكبير) جزائر كثيرة يحيط بها الماء . كلأها قائم لا يصوح (أى لا يجف ولا يبس) لدوام نdotتها ورطوبتها أرضها . يصلح نتاجها ، وتذوم أبنائها ، ويمتنع ما فيها من الحوافر والظلف على العدو فلا يصل إليه أحد . وهذه الجزائر تعرف بالمدائن ، وبعضاها قريب من البحر (أى المحيط الأطلسي) (٢).

هذا ، ومن المعروف أن الحصان حيوان ذكي ، ولكنه عصبى المزاج ، فإذا سمع ضجيجاً أو رأى شيئاً يزعجه ، جمجم بصاحبه . ولهذا عكف المسلمون على تدريب خيولهم على أصوات الطبول والأبواق وضجيج المعارك وصيحات القتال ، والسير بها في الصخور والجبال والمسالك الوعرة كي تعتاد عليها ، إلى جانب تدريبها على سرعة الكروافر مع اللي التي يسميهما الأسبان Turnafuye . ولقد أطلقت كلمة المصارة على أماكن عديدة في المغرب والأندلس وأسبانيا Almuzara ، ولا سيما على الفضاء الفسيح المجاور للمدن الكبرى مثل قرطبة وغرناطة ومرسية وفاس .. الخ . وعادة ما كانت تقام في

=Elias Terés Sádaba : Materiales para el estudio de la toponimia hispano-árabe Naomin fluvial, Madrid 1986)

(أى مواد لدراسة أسماء الأعلام الجغرافية المرتبطة بالأنهار)

(١) ابن الخطيب : كتاب أعمال الأعلام ص ١٠٠ وكذلك :

(Dozy : Calendrier de Cordoue P. 45)

وأيضاً Imamuddin : Some aspects of the socio-economic and cultural:

History of Muslim Spain P. 92 Leiden 1965)

ويلاحظ في المتن استخدام كلمة المستنجة والاستنتاج بحرف الجيم وليس المستنسنة

والاستنساخ بحرف الخاء كما هو شائع اليوم . والفارق بينهما نقطة !

(٢) الحميري : الروض العطار ص ٣١ ، مادة ١٤ نشر وترجمة ليثي بروفسال .

هذه الأماكن عروض الجيوش وألعاب الفروسية لتدريب الخيول أى تصويرها ، ولعل كلمة المصارة جاءت من هذا المعنى ، أى المكان الذى تدرب أو تمصر فيه الخيول^(١) .

وحيثما يحدثنا صاحب الزهارات المنشورة عن هيبة الحاجب المنصور بن أبي عامر ، وضبطه لجنه لدرجة أنهما كانوا فى مواجهة فى الميدان مثلاً فى الزمانة (الصمت والسكن) والإطراق ، يشير إلى أن الخيال كانت أيضاً تمثل فى إطراق فرسانها ، فلا تكثُر الصهيل والحمامة !!^(٢) .

وهذا الوصف يذكرنا بقول الشاعر الجاهلى الذابغة الذيبانى فى مدحه لبني غسان فيصف خيولهم قبل الدخول فى المعركة بقوله :

خيلٌ صيامٌ وخيلٌ غير صائمةٍ تحت العجاج وأخرى تعلك الأجما^(٣)

كذلك استخدمت الخيال فى نقل بريد الدولة ، كما استخدمت أنواع صنفة منها فى حمل الأنقال والمعدات الحربية . ولعل أهمية الخيال تظهر من وثائق الضرائب الجمركية التى كانت تفرض عليها فى الصادر والوارد ، إذ نجد أنها كانت تزيد كثيراً على الرسوم المفروضة على الرفيق من البشر .

٣- البغال والجمال :

إلى جانب الخيال ، كانت هناك دواب أخرى تستخدم للركوب فى الأسفار وفي حمل الأنقال . ومثال ذلك البغال الأندلسية التى كانت فارهة جميلة ، سريعة السير نشيطة . وتجلب من جنوب شرق الأندلس ، ويعتمد عليها الأندلسيون فى تنقلاتهم^(٤) .

(١) أحمد الطوخي : المصارة (مجلة كلية الآداب - جامعة الإسكندرية ١٩٨١) .

(٢) ابن سماك العاملى : الزهارات المنشورة من ٨٦ ، نشر محمود مكى (مدريد سنة ١٩٨٤) .

(٣) الصيام فى اللغة هو القيام والوقوف بدون حد : أى عملاً . وهو يعني هنا أنه كانت هناك خيول قائمة فوارسها صائمة لا تتدحرج ، تتعرض ، وتصبح ، والثالثة تعلك لجمها .

(٤) المقري : نفح الطيب ج ١ ص ١٨٥ (طبعة محبى الدين عبد الحميد) .

وهناك أيضاً الجمال التي كانت تستخدم لحمل الأثقال ، وكانت لها مراعى بمسارح كورة تدمير (مرسية) تضم حوالي أربعة آلاف جمل (١) .

ويروى ابن عذاري أنه لما توفى الأمير الأموي المنذر بن محمد ، على حصن ببستر Bobastro محاصراً للخبيث عمر بن حفصون سنة ٤٢٧٥هـ / ٨٨٨م ، حمل على جمل إلى قصر منية الناعورة بغرب قرطبة (٢) .

كذلك يروى ابن حيان أن الأمير الزناتي محمد بن خزر ، أهدى الخليفة عبد الرحمن الناصر سنة ٣١٧هـ / ٩٣٠م عشرة نجف مخصبة عجيبة الخلق متغيرة من جنسها ، بسروجها ، وأرسانها ، وأزمنتها ، وأجلالها ، وأرجواناتها ، وقرابيسها (٣) ، معلقاً عليها عشر درقات من نفائس درق اللقط ، وعشرين ناقة حوامل عشاراً وغيرها ، ومعها فعل لها جليل الخلقة ، رفيع البنية ، ومعها راعيها عبد أسود ماهر يرعى الإبل ، بصيراً بأدواتها ، (٤) . وفي نفس المجال يروى المقرى أن حاجب الأندلس المنصور بن أبي عامر تسلم هدية من الزعيم الزناتي المغربي زيري بن عطيه المغراوى ، عبارة عن خمسين جملأً من أجود الأصناف التي تعرف باسم مهرية (نسبة إلى أرض مهرة بنجد وتشتهر بالهجن الأصيلة السريعة) (٥) .

ولا شك أن كل هذه النصوص السالفة وأمثالها تندد الرواية التي أوردها ابن حلكان من أن أول ظهور الجمال في إسبانيا كان بعد ذلك على يد المرابطين بقيادة يوسف بن تاشفين في موقعة الزلاقة سنة ٤٧٩هـ / ١٠٨٦م ، وهذا نصها :

(١) ابن الخطيب : أعمال الأعلام ص ١٠٠ (نشر ليثي بروفسال) .

(٢) ابن عذاري : البيان المغرب . ٢ - ص ١١٩ .

(٣) يقصد بالأرسان أي الحبال ، وبالأزمة اللجم جمع لجام ، وبالأجلال الجلاجل ، والأرجوانات لعلها أكسية حمراء من الأرجوان ، والقريوس تعنى السرج أو الجزء البارز منه من الأمام .

(٤) ابن حيان : المقتبس ج ٥ ص ٢٦٧ (الجزء الخاص بعد الرحمن الناصر) .

(٥) راجع (ياقوت الحموي : معجم البلدان ج ٥ ص ٦٨) وكذلك :

(R. Dozy : Supplement aux Dic. Arabes II P. 622) .

قال ابن خلكان : وأمر يوسف بن تاشفين بعبور الجمال ، فعبر منها ما أغصَّ الجزيرة وارتفع رغاؤها إلى عنان السماء . ولم يكن أهل الجزيرة (أى الأندلس) رأوا فقط جملًا ، ولا كانت خيلهم قد رأت صورها ولا سمعت أصواتها ، وكانت تذعر منها وتقلق . وكان ليوسف بن تاشفين في عبورها رأى مصيبة ، كان يحدق بها عسكره ، وكان يحضرها الحرب فكانت خيل الفرنج تحجم عنها ، (١).

لعل ابن خلكان كان يقصد من هذه الرواية ، أن دخول الإبل في إسبانيا لأول مرة في موقعة الزلاقة ، كان على شكل فرق عسكرية مقاتلة من الأبالة على غرار فرسان الخيالة ، وليس لحمل الأنفال كما كان الحال من قبل بدليل قوله بأن يوسف بن تاشفين كان يحضر هذه الجمال في ميادين الحرب والقتال ، وأنه كان يحيط بعساكره بها فتحجم عنها وتتفر منها خيل العدو . فعل هذا الوضع في حد ذاته جديد على إسبانيا من حيث التكتيك الحربي .

هذا ، ولا يفوتنا أن نشير إلى أن الأندلس كثيراً ما كانت تقوم بشراء الخيول والبغال من المراعي المنتشرة على سواحل المحيط الأطلسي بالمغرب وكذلك من المناطق الجبلية المغربية التي اشتهرت بتربيةها . يقول ابن حيان في هذا الصدد : إن المنصور بن أبي عامر في إحدى صوائفه ، ترك في الاصطبلات بقرطبة مقدار ألف فرس عدوية (أى من العودة المغربية) كانت طرية العبور ، استغنى عنها وأمر بالقيام عليها (٢).

٤- الأسلحة :

عرف المسلمون من قديم الأسلحة التقليدية المعدنية البيضاء معتمدين في ذلك على ما لديهم من مواد خام ، وأيدي صناعية ماهرة . وقد أمدتنا الكتب الجغرافية والأدبية وكتب الرحلات والمعاجم اللغوية بمادة غزيرة عن المعادن المختلفة وأماكنها في المشرق مثل مناجم الحديد التي كانت منتشرة في فرغانة وكابل وكerman وأذربیجان وأرمénie والشام ، إلى جانب المستورد من الهند

(١) ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ٦ ص ١١٥ ترجمة رقم ٨١٥ .

(٢) ابن الخطيب : أعمال الأعلام ص ١٠٠ .

وسيلان وروسيا وبيزنطة وغيرها . وعلى أساس هذه الخامات قامت صناعة الأسلحة التي اشتهرت بأسماء الأماكن التي صنعت أو بيعت فيها مثل السيف الهندي الحادة التي تغنى بها العرب في أشعارهم باسم المهندس الذي طبع في الهند ، وهناك السيف الفارسية ، واليمنية ، والشامية كالدمشقية والمشرفية^(١) ، والسيوف الحديفية التي كانت تصنع في الحجر عاصمة بنى حنيفة في اليمامة في الجزيرة العربية . ومثل الرماح الخطية التي كانت تباع في الخط بين البحرين وعمان على الخليج العربي .. الخ.

ولما فتح المسلمون إسبانيا بهرتهم مجموعات الأسلحة التي غنموها من القوط مثل السيف والقسي والرماح والدرقات وغيرها مثل التيجان المرصعة والخليل المذهبة . وقد يؤيد ذلك تلك الجموعة القوطية المحفوظة إلى اليوم في متحف كلوني Cluny بباريس^(٢) .

وقد عمل الأندلسيون بعد ذلك على المحافظة على هذا التراث الصناعي وتطويره وتنميته ، وشجعوا على التنقيب عن المعادن ولا سيما الحديد الأندلسي الذي اشتهر بجودته في جميع أنحاء العالم . ومن أهم مراكز صناعته : طليطلة وأشبيلية والمرية ومرسية وغرناطة وغيرها ، حيث كانت تصنع السيوف والدروع والخوذات والمعافر والسرور وغيرها من الآلات الحربية . وقد اشتهرت كلمة معدن في المغرب والأندلس بمعنى المذمم الذي تستخرج منه جواهر الأرض . ولقد أشار المؤرخون بمهارة الأندلسيين في صناعة هذه الآلات ، وأنهم كانوا - كما يقول ابن غالب الأندلسي - ، أصبر الناس على مطولة التعب في تجويد الأعمال ، فهم صياديون في اتقان الصنائع العملية ، تركيون في معاناة الحروب ومعالجات آلاتها والنظر في مهماتها^(٣) .

(١) المشرفية نسبة إلى مشارف الشام ، وقيل نسبة إلى المشارف وهي قرى من أرض العرب .

(٢) عبد الرحمن زكي : السيف في العالم الإسلامي ص ٨١ (القاهرة ١٩٥٧) .

(٣) المقري : نفح الطيب ج ٤ ص ١٤٧ نقلًا عن كتاب ابن غالب في كتابه فرحة الأنس .

ولم يتردد الأندلسيون - إلى جانب ذلك - في شراء الأسلحة الجيدة من البلاد المجاورة مثل سيف مدينة بوردو الفرنسية Bordeaux عند مصب نهر الجارون . وكان الأندلسيون يسمونها برداً أو برديلاً (بالإملاء)^(١) وقد اشتهرت بسيوفها التي عرفها الأندلسيون باسم البردلات ، وفي ذلك يقول ابن سعيد المغربي : « ويصنع في بلاد الكفر ما يبهر العقول ، والسيوف البردلات مشهورة بالجودة ، وبرديلا آخر بلاد الأندلس من جهة الشمال »^(٢) .

ويلاحظ أن الأندلسيين استخدمو السيوف المستقيمة النصال ذات الحدين والتي امتازت واقياتها بثنيتها إلى الأسفل كما أوضحت ذلك بعض الصور والنقوش الأندلسية^(٣) .

وكانت قراب أو أجفان أو أغمام السيوف Scabbards تتكون من جراب خشبي مغطى بالحرير أو المخمل (القطيفة) أو الجلد أو المعدن ، يوضع فيه السيف ، وأحياناً تحفظ فيه الوثائق والمقننات الهامة^(٤) .

والى جانب السيوف استخدم الأندلسيون أسلحة الرمي مثل السهام والنبال والتشاب (وهي سهام ذات نصل مثلاً) . وقد اشتهرت مدينة سبتة المغربية Ceuta (وكانت تابعة للأندلس) ، بصناعة هذا النوع من الأسلحة ، حتى صارت بعض الأسر تتوارث صناعتها هناك ، إذ كان الرمي من طابع أهلها ، فلا تجد شريفاً ولا مشروفاً ، ولا كبيراً ولا صغيراً إلا وهو بصير بالرمي وله

(١) كان أهل الأندلس يستعملون الإملاء في كلامهم ولهجتهم أى يقبلون الألف ياء ، ونجده واضحًا في الكلمات العربية التي دخلت اللغة الأسبانية مثل باب الرملة ينطقونه بباب الرملة ، ابن نفرالله أو ابن نغريله ، بيت الجناس تصبح بيت الجنبيس ومنها بالأسبانية Casa del Chapis مقر المدرسة العربية بغرناطة الآن .

(٢) المقري : نفح الطيب ج ١ ص ١٨٨ .

(٣) عبد الرحمن زكي : السيف في العالم الإسلامي من ٨٢ (القاهرة سنة ١٩٥٧) .

(٤) يروى على سبيل المثال أن الإمام على بن أبي طالب كان يحفظ في قراب سيفه وثيقة الكتاب أو الصحيفة التي عدتها الرسول (عليه السلام) مع أهل المدينة المنورة . وقد آلت ملكيتها إلى حفيده محمد النفس الزكية الذي اطلع المؤرخ محمد بن اسحاق عليها فنقلها في كتابه المغازى .

تقديم فيه ، (١) .

وبالمثل يقال عن مدينة فاس بالمغرب التي اشتهرت بصناعة السيوف والسكاكين معتمدة في ذلك على الحديد المجلوب من مناجم بني سعيد المجاورة لها . ومن الأسلحة الهامة التي استخدمها المحاربون الأندلسية في الهجوم ، القسي Arcos وهي عدة أنواع ، نذكر منها قوس اليد التي تستعمل باليد وهي القوس العربية ، ثم قوس الرجل التي تشدّ بين الرجلين وهي الإفرنجية . وهذا النوع الثاني هو الذي كان سائداً في الأندلس ، وفي ذلك يقول ابن هذيل الأندلسي : « والقوس الإفرنجية خاصة بأهل الأندلس ، بها يصيدون وعنهما يرمون ، وفيها يتنافسون ، وعليها يعتمدون فرسانًا ورجالًا » ، ثم يصف ابن هذيل هذه القسي الإفرنجية وصفاً دقيقاً مفصلاً ثم يبين الفرق بينها وبين القسي العربية فيقول بأن قسي اليد العربية كانت أفضل للفرسان وهم على ظهور الخيل لأنها أسرع وأسهل في الرمي ، بينما قسي الرجل الإفرنجية أكثر نفعاً للمشاة ولا سيمات في الحصار ، وفي المراكب الحربية (٢) .

كذلك استخدم الأندلسية الرماح أو القنا الطوال Lances كما استخدمو الحراب والمزارق Javelins وهي أقصر من الرماح ، وتستخدم أحياناً في حمل الأعلام . وهناك ما يسمى بالجرح وهو قوس كبير يرمي به الحجارة والسهام والنقط والجمع جروح والرامي يسمى جرخي .

كذلك استخدم الأندلسية عند الالتحام ما يسمى باللتوت وهي أعمدة ذات رؤوس حديدية مستطيلة ومضرسة ، والدبابيس ، ومفردها دبوس ، وهي تشبه اللتوت إلا أن رؤوسها مدورة ومضرسة ، والطبر أو الطبرزين وهي الفأس

(١) محمد بن القاسم الأنباري السبتي : وصف مدينة سبتة ، نشر ليثي بروفسال ، مجلة هسبريس Hésperis ، الجزء الثاني عشر سنة ١٩٣١ ص ١٥٦ .

(٢) ابن هذيل : حلية الفرسان وشعار الشجعان ص ٢١١ وما بعدها ، تحقيق محمد عبد الغنى حسن (دار المعارف القاهرة ١٩٤٩) .

أو البلاطة وسلاحيها ذو حدين وحامليها الباطجي ، والمستوفيات وهي عمد مربعة طولها ذراعان ، والباسليقات وهي عبارة عن سلاسل تنتهي ببرمانة من حديد تكسر ما تقع عليه لشدة دفعها ، والوضف وجمعها أوضاض وهي آلة مثل المقلع لقذف الأحجار ، وقد استخدمت ضد التورمانديين (الفايكنج) في أشبيلية عندما أغروا عليها في عهد الأمير الأموي عبد الرحمن الثاني سنة ٢٣٠ هـ / ٨٤٤ م . وفي عهد هذا الأمير أيضاً استخدم الأندلسيون قوارير النفط أو نيم النفط (جميع نيمة) التي تحتوى على مادة حارقة أساسها النفط، فإذا أقيمت على هدف من الأهداف أشعلت النار فيه . وهذا السلاح وجد عند البيزنطيين من قبل ، وأطلقوا عليه اسم النار الإغريقية .

أما الأسلحة الدفاعية ، فهى أسلحة الوقاية التي تحمى الجسم من جهة، أو التي يتقى بها المحارب ضربات خصميه من جهة أخرى . ومن أهمها:

١- البيضة أو الخوذة أو القلسوة الحديدية لحماية الرأس ، Helmet ويطلقون عليها أيضاً اسم الطشتانيات ومفردها طاشتان من اللاتينية Testinia وقد اشتهر بها القائد الأندلسي غالب بن عبد الرحمن أمير الشغور وقائد الجيوش في عهد الخليفة الحكم المستنصر (١).

٢- المفتر الذى يحمى الرأس والرقبة والأذنين وفي بعض الأحيان الأنف أيضاً Nose Guard وقد تطورت المغافر حتى صارت تغطى الوجه كله فلا تظهر منه إلا العينان وهو ما يسمى بالمغافر المسبلة .

٣- الزرد أى الدرع المصنوع من زرد الحديد تتدخل حلقاته بعضها في بعض Mail Coat ، بعضه قصير والبعض الآخر طويل . وللأمة هي الدرع التامة .

٤- الجوشن وهو درع من الزرد ولكن تضاف بين ثنياً حلقاته صفائح أو

(١) ابن الخطيب : أعمال الأعلام من ١١٣ ، وكذلك :

(Dozy : suppl. aux Dict. Ar. IIP. 44).

رفائق معدنية مستطيلة لتفويته . وفي العادة يكون درعاً صدراً بغير ظهر .

٥- كذلك كانت هناك دروع لحماية الأطراف مثل السواعد والأكتاف والسيقان ثم الخف وهو حذاء برقبة يرتبط بالمهماز^(١) .

٦- ومن أسلحة الدفاع التي تحمل باليد لاتفاق ضربات السيوف والسهام وغيرها المجن والترس المعدني ، والجمع تروس وأتراس Sheild, Escudo ، والدرقة وهى - كما يقول دوزى - من أصل جرماني ، وبالفرنسية Targe وبالإسبانية Adarga ، Adaraga ، وهى من الجلد السميك فوق إطار من الخشب لتكون سهلة الحمل والاستعمال .

وقد استخدم الأندلسيون في هذا الصدد الجلد اللمعن من صحراء المغرب . واللمط حيوان يعيش في صحاري أفريقيا من فصيلة Cantilopes أو الظباء ذوات القرنين كما ورد في معجم دوزى نقاً عن معجم الحيوان لأمين المعلوم باشا . ويستخدم جلده في عمل درقة اللمعن . ويقال إنهم كانوا يقعنون الجلد في اللبن الحليب سنة كاملة ثم يعملونها درقاً . وأن من خاصية درقة اللمعن أنها إن أصيبت بضررية سيف أو رمح ، انغلقت الضربة والتجمت من وقتها واختفت فلا تظهر !!^(٢) .

أما أسلحة الحصار ، فهي آلات قديمة عرفها المسلمون منذ وقت مبكر وعملوا على تطويرها عبر السنين وقد استخدموها الأندلسيون في حروبهم نذكر منها :

(١) (L.A. Mayer: Saracenic Arms and Armor, Ars Islamica Vol. X 1943).

(٢) ابن هذيل : حلية الفرسان وشعار الشجعان ص ٢٣١ - ٢٣٢ . وكذلك : (Dozy : Suppl. aux Dict. Ar. II P. 555 & Levi Ptovençal : L'Espagne Musulmane au X Siècle P. 145) Paris 1932.

(٣) أورد صاحب الاستبصار وصفاً لحيوان اللمعن قال فيه : وهذا الحيوان المسمى باللمط ، دابة دون البقر لها قرون رفاق حادة تكون لذكرها وإناثها ، وكلما كبر هذا الحيوان طال قرنه حتى يكن أزيد من أربعة أشبار . وأجود الدرق وأغلاها ثناً ما عمل من جلد الإناث المسلمات التي قد طالت قرونها لكبر سنها حتى مدت الفحل أن يطعوها . راجع (الاستبصار في عجائب المصمار لمؤلف مجھول ص ٢١٤ ، تحقيق سعد زغلول ، جامعة الإسكندرية سنة ١٩٥٨) .

أ) الدبابة وهي برج خشبي ذو طوابق مغلق بالجلود المنقوعة في الخل لدفع النار عنها وتحريك على عجلات . يصعد الجنود إلى مختلف طبقات هذا البرج بهدف ثقب الأسوار بالمعادل أو النزول فرقها .

ب) الكبش عبارة عن رأس حديدية مثل رأس الكبش تتصل بعمود غليظ داخل الدبابة معلق بحبال تجري على بكر معلقة بسقف الدبابة ، يدفعه الجنود وهم داخلاً لثقب الأسوار .

ج) سالم الحصار ، وهي سالم عالية متحركة يصعد المحاربون بواسطتها إلى أعلى الأسوار ليقتسمونها من الأعلى . وقد أدخلت عليها تحسينات في تعليتها وتقويتها حسب تطور ارتفاع الأسوار .

ء) المنجنيق اسم أعمى الأصل والجمع مجانيق ومنجنائق وهو أشهر آلات الحصار لرمي الحجارة والسهام والنار والعذرة والثعابين والعقارب وكل ما يضر العدو ويؤذيه ويحبره على الاستسلام .

هـ) العرادة : وهي آلة أصغر من المنجنيق وترمى السهام والحجارة على مسافات طويلة .

و) الزيارة : والجمع زيارات وهي آلة قاذفة لأعداد من السهام دفعها واحدة^(١) .

ولقد أمدنا المؤرخ القرطبي المعاصر أبو مروان بن حيان ، بوصف لبعض محتويات خزانة السلاح بقرطبة على عهد الحاجب المنصور بن أبي عامر يقوله :

، وكان الرسم أن يصنع من الأخبية عدة للجند كل عام على أجناسها ، ثلاثة آلاف خباء ، إلى ما يقيمه السلطان لنفسه ولم يتومن إيه من كبار خدمه وعلمائه ، وكان يصنع بدار التراسين من أصناف التراس كل سنة حسبما تلقيته من يحيى التراس أحد من بقى من مشيخة التراسين في وقتنا فقال : كانت الطريحة من التراس في السنة ثلاثة عشر ألف ترس ، وطريحة

(١) أنور الرفاعي : الإسلام في حضارته ونظمها ص ١٩٨ (دمشق ١٩٧٣) .

القسى فى السنة إثنى عشر ألف قوس بشرطين عربية وتركية ، ستة آلاف من قبل أبي العباس البغدادى المعلم الأكبر بقرطبة ، ومثلها من قبل طحة الصقلى بالزهراء . وكانت طريقة التسلق فى الشهر عشرين ألفاً ، (١) .

ولعل أجمل صورة لعرض هذه الأسلحة ، نجدها مماثلة فى حفل الاستقبال الرسمى الذى أقامه المنصور بن أبي عامر فى قصره الرازحية - شمال شرق قرطبة - بمناسبة زيارة صهره ملك نافارا Navarra (٢) . سانشو أباركا Sancho II Garces II سنة ٩٩٢هـ / ٣٨٢ م . وكان المنصور تزوج ابنته عبده وأنجب منها ولده عبد الرحمن الذى أطلق علىه أمه اسم سانشويلو Sacheuelo أى سانشو الصغير لأنَّه كان يشبه أبيها . وقد حرفت العامة هذا الاسم إلى شنجول . قال ابن حيان :

فروصل الملك شانجه - أى سانشو - لثلاث خلون من رجب سنة ٣٨٢هـ ، وأركب المنصور الجيوش والمطوعة لتقْيِه فى دخوله إلى قصر الرازحية . فكان يومه أحد أيام الدين الشهير حتى بهت الذى كفر ، ورأى من وفود المسلمين ونباهة أسلحتهم ، وجمال زيه ، وكثرة عددهم ، ما لم يكن ظاناً أن الدين تجمعه ، ولا الأيام تحشده ، ولا الخزائن تكفيه ولقيه ولد المنصور عبد الرحمن حفيده من بنته ، وقد حف به وزراء السلطان ووجوه القواد ، وأكابر أهل الخدمة ، والمالىك فى أحسن وأكمل تعبئة . فلما وقعت عيشه على الصبي ، ترجل وياس رجله ، فأمر بالركوب ، وأقبل معه إلى أبيه . وصار بين صفي حديد حفافى الطريق أميلاً : ما ثم إلا الدروع السابرية (٣) ، والجواشن المذهبة ، والأبطال قد لبسوا السوق والسواعد ، وأسبغوا الحلق ، وعلقوا الدُّرْق ، وخلفهم صفوف الرماة مشدوداً عليها المناطق المذهبة . والملك الرومى يقلب الطرف ، قد غشى قلبه ذعراً ، إلى أن وصل إلى مجلس المنصور فى الساعة

(١) ابن الخطيب : أعمال الأعلام من ١٠١ نقاً عن ابن حيان .

(٢) نظراً لوقع مملكة نبرة أو نافارا Navarra أو البشكنس Vascos عند معابر جبال البرنات Pirineos المؤدية إلى فرنسا وأوروبا ، فقد حرص حكام الأندلس على محالفة ملوكها ومصايرتهم لضمان أمن وسلامة هذه المنطقة من عبر الأعداء من خلالها .

(٣) السابرية درع دقيق النسج محكم ، ينسبه البعض إلى ساور ملك الفرس .

السابعة من النهار ، وقد قعد له أفحى قعود ، وأعلى مرتبة ، مكتنفًا سريره بالوزراء وأعاظم رجال الدولة . وامتد الوصفاء والصفاقبة صفين من باب المجلس إلى باب القصر . فحين وقعت عينه على المنصور بن أبي عامر ، أهوى إلى الأرض مُقبلًا ، يعيد ذلك مرات ، وهو يستدنه ، حتى قبل رجله ويديه . وأمر ، فألقى له كرسى مذهب قعد عليه ، وأشار ، فخرج الناس ، وخلأ به قاضيًّا وطره من عده ، والعلج بقابله بالاعتراف ثم خرج وتبعه بالخلع السلطانية ، ومشت بين يديه المراكب والبروز . وما انقض المجلس إلا تحت جناح الليل ، (١) .

رابعاً : عناصر الجيش الأندلسى :

لم تتقيد مجتمعات العصر الوسيط بتلك الطبقات الاجتماعية القرمية الرئيسية التي تميزت بها مجتمعات العصر الحديث . فلا نجد فيها جيشاً قومياً مصرياً أو شامياً أو أندلسيّاً بالمفهوم القومي الحديث ، بل غالب على مجتمعات العصر الوسيط العالمية والطابع الطبقي الأفقي على مستوى العالم الإسلامي حيث يتعاطف أفراد كل طبقة بعضها مع بعض رغم تعدد جنسياتها . فهناك طبقة العلماء ، وطبقة التجار وطبقة المتصرفون ، وطبقة الجناد ... الخ.

ولقد درس العرب منذ البداية طبيعة شعوب البلاد التي فتحوها وجدوا منها الأجناس التي لها مواهب طبيعية في فنون الحرب والقتال كالأتراك والخرسانية والبربر وغيرهم .

وعلى هذا الأساس كانت الجيوش الإسلامية في كل بلد خليطاً من الأجناس المختلفة التي احترفت مهنة الحرب والقتال وتدريب عليها منذ الصغر . ولقد تنوّعت هذه العناصر وتبدلت حسب الموضع الجغرافي لكل بلد وظروفه السياسية ، فجيوش مصر والشام مثلاً كان أغلبها في العصر الوسيط من العرب والمماليك الأتراك والأرمن والسودان والأكراد والمغاربة وغيرهم .

أما بالنسبة للأندلس فيلاحظ أنه لم يكن يوجد فيها بعد الفتح الإسلامي

(١) ابن الخطيب : أعمال الأعلام من ٧٣-٧٤ .

جيش نظامي قائم بذاته ، وإنما كانت هناك قبائل وعشائر تتم الدولة بالجيوش اللازمة على أساس النظام الاقطاعي العسكري المعروف في العصور الوسطى: فالقبائل العربية والمغربية التي حلت بالأندلس قد وزعت على الكور والمدن الأندلسية ، وأتيح لها حق استغلالها وجباية الأموال من أهلها ، فكانت تأخذ عطاها من هذه الأموال ، وترسل الفائض إلى خزانة الدولة وفي مقابل هذا الاقطاع كان على كل قبيلة أن تساهم بعدد من أبنائها في حالة الحرب . ومن أهم العناصر التي تكون منها الجيش الأندلسي :

١- العرب : وهم العنصر الحاكم بعد الفتح الإسلامي ، وقد دخلوا الأندلس على شكل أفراد متتابعة عرفت باسم الطوالع . وأول طالعة عربية هي طالعة موسى بن نصیر سنة ٩٣ هـ / ٧١٢ م . وكان معظمها من عرب الحجاز واليمن الذين استقروا في المغرب والأندلس واختلطوا بأهلها الأصليين حتى إنهم عرّفوا باسم « البلدين » ، بمعنى أنهم صاروا من أهل البلاد . وقد انتشرت منازلهم في الأماكن الدافئة في حوض الوادي الكبير وفروعه ، ثم انساحوا شرقاً في نواحي مالقة والمرية ، كما انتشرت قبائلهم غرباً وشمالاً في نفس الخط الحربي الذي سار فيه موسى بن نصیر .

وظل الحال كذلك إلى أن قدم الجيش الشامي بقيادة كلثوم بن عياض القشيري الذي قُتل في معركة مع البربر في بقدورة على ضفاف نهر سبو Sbou بال المغرب الأقصى سنة ١٢٣ هـ / ٧٤١ م وخلفه ابن أخيه بلج بن بشر القشيري الذي انسحب بفلول الجيش إلى سبته ، ومنها عبر بعد ذلك إلى الأندلس . وقد عرفت هذه الطالعة الشامية بطالعة بلج بن بشر وتقدر ب نحو عشرة آلاف فارس .

وقد نتج عن دخول الشاميين على الحجازيين في الأندلس ، أن ثارت العادات القديمة بينهما ، إذ أن عرب الحجاز كانوا ناقمين على بنى أمية وأنصارهم عرب الشام لأنهم استباحوا بلادهم الحجاز في موقعة الحرة شرقى المدينة المنورة سنة ٦٣ هـ في خلافة يزيد بن معاوية ، وكذلك في مكة المكرمة أيام ثورة عبد الله بن الزبير في خلافة عبد الملك بن مروان سنة ٧٣ هـ . لهذا قامت في الأندلس حروب بين الطائفتين قتل فيها والي الأندلس

عبد الملك بن قطن زعيم الحجازيين ، وأيضاً بلج بن بشر زعيم الشاميين . ثم ولی على الأندلس والـ جـ دـ يـ سـ نـ ةـ ١٢٥ هـ / ٧٤٣ مـ وهو الشاعر أبو الخطار بن ضرار الكلبـي الذي رضـى به الشـاميـون والـبلـديـون لأنـه كانـ يـمـنـيـ الأـصـلـ وـ فـيـ نفسـ الـوقـتـ منـ أـعـيـانـ الشـامـ . واستـطـاعـ أبوـ الخطـارـ أنـ يـعـالـجـ الـأـمـورـ بـسـيـاسـةـ الحـزـمـ وـالـاعـتـدـالـ ، فـسوـىـ بـيـنـ جـمـيعـ الـقـبـائـلـ ، وـوزـعـ جـنـودـ الشـامـ عـلـىـ الـكـوـرـ الـأـنـدـلـسـيـةـ لـيـحـدـ مـنـ شـوـكـوـتـهـمـ ، وـحرـصـ فـيـ هـذـاـ التـوزـيـعـ عـلـىـ أـنـ تـكـونـ الـأـمـكـنـةـ الـتـىـ يـنـزـلـونـ فـيـهاـ مـشـابـهـةـ إـلـىـ حـدـ كـبـيرـ بـالـأـمـاـكـنـ الـتـىـ جـاءـواـ مـنـهـاـ فـيـ الـمـشـرـقـ . فـأـهـلـ حـمـصـ اـنـزـلـهـمـ اـشـبـيلـيـةـ وـسـماـهاـ حـمـصـ ، وـأـهـلـ دـمـشـقـ اـنـزـلـهـمـ غـرـنـاطـةـ وـسـماـهاـ دـمـشـقـ ، وـأـهـلـ الـأـرـدـنـ اـنـزـلـهـمـ مـالـقـةـ وـسـماـهاـ الـأـرـدـنـ ، وـأـهـلـ مـصـرـ اـنـزـلـهـمـ تـدـمـيرـ (ـمـرـسـيـةـ) وـسـماـهاـ مـصـرـ وـهـكـذاـ ، وـذـاكـ عـلـىـ هـيـنـةـ اـقـطـاعـاتـ عـسـكـرـيـةـ ، كلـ قـبـيلـةـ تـجـبـىـ غـلـةـ تـالـكـ النـاحـيـةـ الـتـىـ نـزـلـتـ فـيـهاـ ، وـتـأـخـذـ عـطـاءـهـاـ مـنـهـاـ وـالـزـيـادـةـ لـبـيـتـ الـمـالـ ، وـذـاكـ فـيـ مـقـابـلـ تـقـدـيمـ عـدـدـ مـنـ أـبـانـيـهـمـ فـيـ وقتـ الـحـربـ .

وـمـنـ الـطـرـيفـ أـنـ تـلـكـ التـسـمـيـاتـ الـشـرـقـيـةـ ظـلـتـ مـرـادـفـةـ لـأـسـمـاءـ هـذـهـ المـدـنـ الـأـنـدـلـسـيـةـ وـلـاـ سـيـماـ فـيـ الـشـعـرـ الـأـنـدـلـسـيـ الـذـىـ كـثـيرـاـ مـاـ تـخـلـلـهـ كـلـمـاتـ مـثـلـ حـمـصـ وـدـمـشـقـ لـدـلـالـةـ عـلـىـ اـشـبـيلـيـةـ وـغـرـنـاطـةـ (١)ـ .

وـبـهـذـاـ التـقـسـيمـ هـذـاتـ الـأـمـورـ فـيـ الـأـنـدـلـسـ وـلـكـ لـفـتـرـةـ قـصـيرـةـ فـقـطـ ، إـذـ سـرـعـانـ ماـ قـامـتـ حـرـوبـ الـعـصـبـيـاتـ الـقـبـلـيـةـ بـيـنـ الـيـمـنـيـةـ وـالـقـيـسـيـةـ الـتـىـ عـمـتـ بـلـادـ الـمـشـرـقـ وـالـمـغـرـبـ أـنـتـأـ اـحـتـضـارـ الـدـوـلـةـ الـأـمـوـيـةـ فـيـ دـمـشـقـ ، وـانتـقـلتـ عـدـوـاـهـاـ إـلـىـ الـأـنـدـلـسـ حـيـثـ انـقـسـمـتـ الـقـبـائـلـ الـشـامـيـةـ وـالـحـجازـيـةـ عـلـىـ نـفـسـهـاـ إـلـىـ هـاتـينـ الـعـصـبـيـتـيـنـ ، وـقـامـتـ بـيـنـهـمـاـ تـالـكـ الـحـرـوبـ الـتـىـ حـسـمـهـاـ لـصـالـحـهـ صـقـرـ قـرـيشـ الـأـمـيـرـ عـبـدـ الرـحـمـنـ بـنـ مـعـاوـيـةـ بـنـ هـشـامـ بـنـ عـبـدـ الـمـلـكـ بـنـ مـروـانـ الـمـلـقـبـ بـالـدـاخـلـ (ـأـيـ الدـاخـلـ إـلـىـ الـأـنـدـلـسـ)ـ مـؤـسـساـ دـوـلـةـ بـدـىـ أـمـيـةـ فـيـ الـأـنـدـلـسـ سـنـةـ ١٣٨ هـ / ٧٥٦ مـ فـأـحـيـاهـاـ مـنـ جـدـيدـ فـيـ قـرـطـبـةـ بـعـدـ سـنـوـاتـ مـنـ زـوـالـهـاـ فـيـ الـمـشـرـقـ مـنـ دـمـشـقـ .

(١) أـخـبـارـ مـجـمـوعـةـ لـمـؤـلـفـ مـجهـولـ صـ ٣١ـ ، الـعـمـيـرـيـ : الـرـوـضـ الـمعـتـارـ صـ ١٨١ـ (ـ نـشـرـ وـتـرـجـمـةـ لـيـفـيـ بـرـوـقـسـالـ)ـ ، الـمـقـرـىـ : نـفـحـ الـطـيـبـ جـ ١ـ صـ ١٥٥ـ ، ٢٢١ـ .

على أن المهم هنا ، هو أن هذه الدولة الأموية الجديدة في قرطبة ، استمرت تعتمد في حروبها على هذا النظام الاقطاعي العسكري أو ما يعرف بالكور المجندة . بمعنى أن هذه الكور المجندة كانت بمثابة قوات الجيش الدائمة التي تهرع إلى القتال عند استدعاء الأمير لها في أى وقت لأداء واجب الجهاد والنزال .

وكان لكل كورة ديوان للجند ، وهو بمثابة وزارة للدفاع ، فيها سجل بأسماء جنودها . ففي حالة اعلان النفير أو الاستنفار ، تتجمع هذه القوات المدونة من الجند أو الأجناد في ديوان كل كورة ، إلى جانب ما يضاف إليها من المتطوعين المجاهدين والمرابطين الذين عرفوا باسم « الحشد » ، ولذا جرت العادة في المصادر الأندلسية استخدام كلمتي « الجنود والخشود » ، وبينما أنه كانت هناك ضرورة تكفل بها أهل الأندلس لاستضافة وتمويل هؤلاء المتطوعين المرتزقة عرفت بجباية الحشد ، وقد أشار البكري إلى ذلك في قوله :

« ويقرطبة أقاليم كثيرة وكور جبلية ، وكانت جباية هذه الأقاليم في أيام الحكم به هشام (الريضي) : الحشد ، وناض الطبل ، وناض البيزرة للعام ١٤٢ ألف دينار ، ومن وظيفة القمح مدّا (٥٣١) ألف مد ، ومن الشعير ٧٣ ألف مد ، (٤) .

ومن المعروف لغويًا أن الناض والنض ، تعنى الدرهم والدينار أى الأموال

(١) المُدْ والمُدْ والجمع أَمْدَادِ وبِالْأَسْبَانِية Mud، كيل معن اختلفت سعته في العالم الإسلامي ، فهناك المد النبوى وهو ربع الصاع وسعته حوالي ٧٥ لتر بينما سعة الصاع ٣ لتر . وكان يلاحظ أن سعة المد الذى كان متداولاً في المغرب الإسلامي خلال العصر الوسيط صارت أكبر من ذلك بكثير إذ صار يقدر بعشرين أو خمس وعشرين مدمّنبوياً !! كذلك كانت سعة المد من القمح في قرطبة على عهد الخليفة عبد الرحمن الناصر تقدر بقفيزان ونصف بالقروي (أى القيروان) وثمانية ثلثمائة درهم . راجع كتابنا (تاريخ الأندلس لابن الكرديوس ووصفه لابن الشياط ص ٥٩ خاشية (مدريد سنة ١٩٧١) .

(٢) راجع (الحميري : الروض المعطار ص ٢٥١- ٢٥٠) (ملحق في آخر الكتاب) .

النقدية . فالنص هنا يدل على وجود موارد مالية خاصة بالتجنيد العسكري في القرن الثالث الهجري (٩٦م) . فهناك جباية خاصة من هذه الأقاليم لصالح هؤلاء المجندين المتطوعين (الحشد) ، ولصالح ناص الصبل (أى أموال الأمير الأقطاعي) ، وناص البزرة ، أى الأموال المتعلقة بالبزرة والصقر إلى جانب أمداد القمح والشعير .

ولقد أورد ابن حيان مثلاً أحياناً عن كيفية مساهمة الكور في حركة التعبئة للجيوش في عهد الأمير محمد الأول بن عبد الرحمن الأوسط (٢٣٨-٢٧٣هـ / ٨٥٢-٨٨٦م) وهو إحصاء لفرق الفرسان المساهمة من كور الأندلس في الحملة التي وجهها ضد إشطوري Asturias في شمال غرب إسبانيا سنة ٦٧٩هـ / ٨٦٣م وفيها نجد أن : كورة شدونة Sidonia أعطيت رجلاً، وكورة البيرة (غرناطة) أعطيت ٢٩٠ رجلاً، وكورة جيان أعطيت ٢٢٠ رجلاً ... الخ حتى بلغ المجموع حوالي ٢٢ ألف فارس من الشاميين والبلديين (١) .

والواقع إن مسألة تعداد الجيش والفرق التي يتكون منها مرتبطة تماماً بميزانية الدولة . وقد استمر الحال على هذا الوضع حتى أواخر الحكم الإسلامي في الأندلس حيث نجد ابن خلدون في مقدمته يربط بين النظام المالي وديوان الجند .

ولهذا حرص المؤرخون على إعطاء بيانات عن خراج الدولة ومواردها

(١) انظر :

(Levi Provençal : Historia de Espana, tomo V P. 49 (Madrid 1957).

نقله عن الفرنسيسة جاريتا جومث .

ولقد اهتم المؤرخون الأندلسيون بأنساب العرب الذين دخلوا إسبانيا ، وأسماء منازلهم فيها وشخص بالذكر منهم أبا محمد على بن حزم القرطبي في كتابه جمهرة أنساب العرب (ذخائر العرب رقم ١) وأبا الوليد عبد الله المعروب بابن الفرضي في كتابه تاريخ علماء الأندلس . وأحمد المقرئ في الجزء الأول من كتابه نفح الطيب . راجع كذلك (مصنفو أبو ضيف : القبائل العربية في الأندلس حتى سقوط الخلافة الأموية (دار النشر المغربية - الدار البيضاء) .

ونصيب الجيش منها . فالمقري يصف دخل الدولة الأموية في أوائل عهدها
بقوله :

، كان مبلغ خراج الأندلس الذي كان يؤدي إلى ملوك بنى أمية قديماً ،
ثلاثمائة ألف دينار دراهم أندلسية كل سنة ، وعلى كل مدينة من مدائنهن مال
علوم ، فكانوا يعطون جندهم ورجالهم الثالث من ذلك مائة ألف وينتفعون في
أمورهم ونوابتهم ومؤمن أهليتهم مائة ألف دينار ، ويدخرون لحدث أيامهم
مائة ألف دينار ، (١) .

ولما ازدهرت الدولة الأموية في عهد الخليفة عبد الرحمن الناصر
(٩٦١-٩٣٥ م / ٥٣٠-٥٣٩ م) ارتفعت أرقام هذا الدخل إلى أضعاف ذلك ،
فيذكر ابن عذاري أن قيمة ما كان يحصل من جباية في العام من الكور
والقرى الأندلسية في عهده ، بلغ خمسة آلاف ألف وأربعين ألف وثمانية ألف
دينار ، ومن المستخلصات من الأسواق سبع مائة ألف وخمسة وستين ألف
دينار (أى ما يزيد على ستة ملايين دينار) فكان الناصر يقسمها ثلاثة
أثلاث: ثلث ينفقه على الأجناد ، وثلث ينفقه على البناء وعلى هبات الشعراء
والخطباء والقصاد ، وثلث يدخله في بيت المال ، (٢) .

وتشير الزيادة في الدخل في عهد الحاجب المنصور بن أبي عامر (ت
١٠٠٢ / ٥٣٩ م) نتيجة لاسع حملاته العسكرية ضد الممالك الأسبانية ، وما
ترتب عليها من كثرة مال السبي والغنائم إلا أن هذه الحروب تطلب في الوقت
نفسه كثرة الإنفاق حتى قبل أن غزوة الصائفة الواحدة في عهد المنصور كانت
تقدر ميزانيتها بخمسين ألف دينار (أى نصف مليون دينار) وتشمل التموين
والرواتب والهبات (٣) .

على أن المهم هنا هو أنه في خضم هذه الاستعدادات العسكرية الكبرى
التي قام بها المنصور بن أبي عامر لشن الحملات على الممالك الأسبانية ،

(١) المقري : نفح الطيب ج ١ ص ١٤٠ ، ٣٢٩ .

(٢) ابن عذاري : البيان المغرب ج ٢ ص ٢٣١ - ٢٣٢ ، المقري : نفح الطيب ج ١ ص
٣٥٥ - ٣٥٦ .

(٣) ابن الخطيب : أعمال الاعلام ص ٩٨ .

منبت العصبية القبلية العربية ، كما منى النظام الإقطاعي العسكري بفشل ذريع نتيجة للاصلاحات التي أجرتها المنصور في الجيش الأندلسي والتي كان يهدف من ورائها إضعاف نفوذ القوة العربية الأندلسية التي يقوم عليها نظام الجناد والكور المجندة من قديم ، وإحكام سيطرته على القوات المسلحة بمختلف عناصرها .

وكان هذا التنظيم الجديد الذي أجراه المنصور يقوم على جعل الجيش وحدة نظامية متماسكة خاضعة لقيادته : فالغنى العنصري أو العصبية في ترتيب فرق الجيش ، كما الغنى والنظام الإقطاعي العسكري ، بمعنى أنه جعل الجيش كله جيشاً نظامياً دائمًا مثل نظام الجيوش الحديثة ، يتكون من فرق متعددة ، وكل فرقة تتتألف من جميع هذه العناصر المختلفة كالعرب والبربر والمماليك الصقالبة . وكل جندي من هؤلاء يتلقى مرتبًا شهرياً من الدولة حسب رتبته بدلاً من استغلاله للإقطاع كما كان الحال سابقاً . وعيّن على الأرض جباة يجرونها . وبهذا يضعف ويختفف من حدة الفتن والهزائم بين عناصر الجيش وقادته .

وفي ذلك يقول الأمير المعاصر عبد الله بن زيري آخر ملوك غرناطة في عصر الطوائف (٤٦٩-٤٨٣هـ / ١٠٧٧-١٠٩٠م) مبرراً هذه السياسة العاملية :

• وتوقع المنصور من أجناده الاتفاق على بعض ما يخلُّ بدولته ، إذ كانوا صنفاً واحداً ، وتآلّفهم على معصية أمره متى أمر بما أحبوا أو كرهوا ، فلذلك من ذلك بعين اليقظة ، وسُول له رأيه أن تكون أجناده قبائل مختلفة وأشتائناً متفرقة : إنهم أحد الطوائف بخروج عن الطاعة ، غالبيها بسائر الفئات ، (١) . ولقد أفاد هذا النظام الجديد في بادئ الأمر ، إذ زالت العصبية القبلية بين فرق الجيش ، واستطاع المنصور أن يفرض على الجيش نفوذه وسلطانه ، وأن يحرز به انتصاراته .

(١) عبد الله بن زيري : كتاب التبيان عن الحادثة الكائنة بدولة بنى زيري في غرناطة ص ١٦ نشر لييفي برونسال ، مجموعة ذخائر العرب رقم ١٨ (القاهرة) .

ولكن بعد وفاة المنصور وابنه المظفر ، دبّ الفساد في جسم الدولة ، فلم تستطع دفع رواتب الجند ، فكثر شغفهم ، وانتقل الفساد إليهم فضعفوا أمام العدو ، وانتهى الأمر بسقوط الدولة الأموية وتفكها إلى دولات طائفية سنة ١٠٣١هـ / ١٤٢٢ م . وظل الحال على هذا اللحو إلى أن دخل المرابطون الملثمون الأندلس في أواخر القرن الخامس الهجري (١١ م) ، فرأوا أن خير وسيلة لإصلاح حالة الجيش ، هي إعادة النظام الإقطاعي العسكري من جديد . وفي ذلك يقول المؤرخ الأندلسي المعاصي أبو بكر الطرطوشى (ت سنة ١١٢٦هـ / ١٧٥٢ م) في وصف اصلاحات المنصور للجيش وما ترتب عليها من نتائج :

وسمعت بعض شيوخ الأندلس من الأجداد وغيرهم يقولون : مازال أهل الإسلام ظاهرين على عدوهم ، وأمر العدو في صرف وانتقاد ، لما كانت الأرض مقطعة في أيدي الأجداد ، فكانوا يستغلونها ويرفقون بالفلاحين ، ويربونهم كما يربى الناجر تجارته ، وكانت الأرض عامرة والأموال وافرة ، والأجداد متوفرين ، والكراع^(١) والسلاح فوق ما يحتاج إليه ، إلى أن كان الأمر في آخر أيام ابن أبي عامر ، فرد عطايا الجندي مشاهدة بقبض الأموال ، وقدم على الأرض جباة يجبونها ، فأكلوا الرعايا ، واجنحوا أموالهم ، واستضعفوهن ، فتهاريت الرعايا ، وضيقوا عن العمارة ، فقللت الجباريات المرتفعة إلى السلطان ، وضفت الأجداد ، وقوى العدو على بلاد المسلمين حتى أخذوا الكثير منها . ولم يزل أمر المسلمين في نقص وأمر العدو في ظهور إلى أن دخلها الملثمون ، فردوا الإقطاعات كما كانت في الزمان القديم ،^(٢) .

ومن أسماء الأعلام الجغرافية الأسبانية التي مازالت تحمل أسماء القبائل العربية ، حتى الآن نذكر :

Alcaicia (القيسية) في بلدية ، Almoradi (المرادي) نسبة إلى بنى مراد وهي قبيلة يمنية معروفة في لقنت Alicante ، Alhemdin (همدان)

(١) الكراع والأكارع يقصد بها المراشى .

(٢) راجع (أبو بكر الطرطوشى : كتاب سراج الملوك من ٢٢٩).

وهي إحدى كبريات القبائل اليمنية أيضاً في غرناطة ، Ojén (خشن) إحدى بطن قناعة في مالقة وهكذا^(١).

٢- البربر : يقرن المغرب دائماً بالأندلس ، ويبدو هذا الاتصال الوثيق بوضوح في منطقة العدوتين^(٢) التي حول مضيق (جبل طارق) منذ القدم . فيذهب علماء ما قبل التاريخ إلى الاعتقاد بأنّ البلاد المغربية كانت متصلة بـإسبانيا في العصور الجليدية في العصر الحجري القديم Paleolithic مستندين في ذلك إلى البقايا العظيمة القديمة التي عثروا عليها في الكهوف والمغارات الساحلية في هذه المنطقة مثل مغارة جبل قلب وهو الاسم القديم الفينيقي القديم لجبل طارق Mons Calpe ومعناه تجويف أو مغارة ، أى الجبل المجوف ، ومثل مغارة العالية ، وأشقر بجوار طنجة ، ودار السلطان جنوب الرياط ، والخنزيرة جنوب الجديدة (مازيغان) ، وغيرها^(٣) .

وعلى هذا الأساس يفترض العلماء أنّ عبور الإنسان العاقل Homo Sapiens إلى أوروبا كان من هذه المنطقة أثناء تراكم الجليد في منطقة المضيق ، وليس من منطقة الفوقاز فحسب كما هو معروف .

ذلك حدثت في هذه المنطقة هجرات العناصر الأيبيرية القديمة Iberos إلى إسبانيا ، وهي خليط من العناصر العامية الليبية في شمال إفريقيا ، التي أعطت شبه الجزيرة اسمها إيبيريا Iberia . وقد احتلّت هؤلاء الأيبيريون في إسبانيا بالعناصر الكلية أو السلبية Celts الأوروبيّة القادمة من الشمال ، ومن هذا المزيج تكون الشعب الأسباني القديم Celtiberos .

(١) راجع (محمود مكي : مدخل لدراسة الأعلام الجغرافية ذات الأصول العربية في إسبانيا من ١٩٠٠) مؤتمر مجمع اللغة العربية بالقاهرة - الدورة ٦١ مارس - أبريل سنة ١٩٩٥ / شوال - ذى القعدة سنة ١٤١٥ هـ) .

(٢) العروتان والمفرد عدوة ومعناها شاطئ الوادي أو النهر أو البحر ، والمقصود بالعدوتين هناك تلك المنطقة التي تحيط بالشاطئ الإسباني الأوروبي الجنوبي ، والشاطئ المغربي الأفريقي الشمالي حول مضيق جبل طارق في أقصى الغرب . فال العدوتان منطقة أمن ووصل للغرب والأندلس .

(٣) رشيد الناظوري : المغرب الكبير في العصور القديمة ص ٦٢ .

واستمرت هذه الصلة القوية بين العدوتين عبر السنين والعصور ، وخدم البرير في إسبانيا في عهود الرومان والقوط الذين أشادت مصادرهم بشجاعة البرير أو الأمازيغ وهي التسمية الأصلية القديمة لسكان المغرب ومعناها الحر الأبي ولما جاء الفتح الإسلامي للبلاد المغرب ولمس العرب عن كثب شجاعة البرير وشدة مراسمهم في القتال ، عملوا على اصطناعهم واكتساب قلوبهم عن طريق نشر الإسلام بينهم ودخولهم في جيوشهم كجنود وقادة محاربين . وهذا يعتبر حدثاً فريداً في تطور السياسة العربية في هذه الفترة الإسلامية المبكرة التي كان العرب فيها يعتبرون أعمال السياسة وال الحرب من صميم اختصاصهم وحدهم . واضح أن اشتراك العرب والبرير في جيش واحد ، كان يرجع إلى حد كبير إلى تشابه الشعبين في كثير من الصفات والعادات العربية والاجتماعية . لهذا كان البرير أسبق العناصر التي دخلت الأندلس . ومن المعروف أن معظم الجيش الذي فتح الأندلس كان مكوناً منهم وبقيادة رجل منهم وهو طارق بن زياد .

ولقد ساعد اقتراب المغرب من الأندلس على توالي هجرات المغاربة إليها طوال العصور الإسلامية ، في الوقت الذي فلت فيه الهجرات العربية من الشرق إلى الأندلس . ولهذا يمكن القول بأن الغالبية من سكان الأندلس من المسلمين كانوا من البرير بينما كان العرب أقلية بالنسبة لهم .

أما من ناحية الأماكن التي نزلوا فيها بالأندلس ، فهي كثيرة جداً ، وما زالت أسماؤهم تطلق إلى اليوم على أماكن عديدة في إسبانيا والبرتغال .

يقول الزميل العزيز د. محمود مكي في هذا الصدد :

، وكثير من أسماء المواقع التي تحمل حتى الآن أسماء القبائل البريرية ،
نذكر منها Albornoz في قرطبة وأشبيلية ، وكذلك Albornos في آبلة Avila ،
وهو برش بن بر ، جد شعب كبير من شعوب البرير يدعى في صيغة الجمع
البرانس ، وإليه تنتمي مجموعة كبيرة من القبائل مثل كلامة وصنهاجة
ومصمودة وأوربة وهوارة . ومنها Azuaga في بطليوس وهي قبيلة زواحة
إحدى قبائل البرانس ، Cenhegin في مرسية ، وهو اختصار للفظ الصنهاجيين
Zaneta في قشتليون ، Ceneta في مرسية ، واللقطان مأخوذان من زناته ؛

Mequinez فى سرقسطة ، وهى مكانة إحدى قبائل زناتة ؛ Gazules فى فارس وهم بذو جزولة من البرانس ؛ Gomara غمارة فى المرية وهى من البرانس ؛ Orba أوربة فى دانية ؛ وأوربة إحدى قبائل البرانس الخ (١) .

هذا ، وتتجدر الإشارة هنا إلى عدم صحة ما يقال من أن العرب استأنروا بالأماكن الدفينة تاركين للبرير الأماكن الجبلية الباردة ليعيشوا فيها ، والحقيقة أن كلاً من العرب والبرير قد استقروا في الأماكن التي نلائم طبيعتهم ومزاجهم . ومن المعروف أن البرير في بلادهم المغرب عاشوا ومازالوا يعيشون إلى اليوم في جهات جبلية . ولهذا حينما انتقلوا إلى الأندلس ، استقروا باختيارهم في المناطق الجبلية الممتدة من وسط إلى شمال إسبانيا وهي المعروفة باسم الجوف ، وهو اصطلاح عام في المغرب والأندلس يعني الشمال ، ويقابل له لفظ القبلة بمعنى الجنوب .

ولهذا كان معظم أمراء الثغور في تلك الأرضي المرتفعة من البرير مثل بنى ذي النون في طليطلة ، وبنى سالم بن ورعمال في مدينة سالم Medinaceli ، وبنى الأفطس في بطليوس Badajoz ، وبنى رزين في شنتمرية الشرق Santa Maria de Albarracin التي سميت أيضاً بالسهلة لخصوصيتها ، وبالقلاع لحصانتها حيث أنها تقع في مكان وسط بين الثغر الأعلى سرقسطة ، والثغر الأدنى طليطلة ، فهي ثغر من ثغور الأندلس (٢) .

كذلك استقرت جماعات من البرير في الجنوب مثل بنى الملاخ في مرتفعات جيان Jaen ، وبنى يفرن في رنده Ronda (عصا الأندلس) وبنى برزال في قرمونة Carmona ، وبنى زيرى في غرناطة ومالقة .

(١) راجع (محمود مكي : مدخل لدراسة الأعلام الجغرافية ذات الأصول العربية في إسبانيا) مؤتمر مجمع اللغة العربية بالقاهرة - الدورة ٦١ مارس - أبريل سنة ١٩٩٥ / شوال - ذى القعدة سنة ١٤١٥ هـ .

(٢) انظر :

(Jacinto Bosch Vila : Historia de Albarracin) Musulmana y su sierra P. 33 (Teruel 1959) .

ولى جانب هؤلاء الملوك والأمراء ، هناك المجاهدون المطوعة من المغاربة الذين اعتادوا مغادرة ديارهم في المغرب في شهر رمضان المبارك ، والاتجاه إلى هذه المناطق الثغرية الأندلسية للرباط والجهاد فيها . مثال ذلك رواية ابن حيان عن الفقيه عباس بن ناصح الذي اعتاد في فترات معينة من كل سنة أن يرابط في ثغر وادي الحجارة Guadalajara بالثغر الأدنى . والمعروف عن هؤلاء البربر المطوعة أنهم في بلادهم لم يعتادوا عيشة المدن ومعاملة الحكام وأتباعهم ، ولهذا كانوا يفضلون هذه المناطق الجبلية الثانية التي يمكنهم فيها ممارسة الزراعة والرعي إلى جانب الحراسة وال الحرب . ولهذا استقروا في البداية على سفوح سلسلة جبال وادي الرملة Sierra de Guadarrama ، ووادي التاجو Tajo وفروعه ، ثم في القلاع الجديدة التي تأسست منذ عهد عبد الرحمن الأورسط وولده محمد بين طليطلة ومدينة سالم مثل مجريط Medinaceli ، وقنالش Canales ، ووادي الحجارة ، وأيال Ovejo وغيرها . وكانت شتبرية Santaver من الحصون القوية التي كان معظم سكانها من المجاهدين القادمين من المغرب^(١) .

وهكذا نرى المغرب قد ربط مصيره وإمكانياته بالأندلس منذ البداية ، كما أعد شعبه ليكون شعباً محارباً قد ترسّب في نفسه فكرة الجهاد والرباط حتى صارت جزءاً من كيانه . ولذا يمكن القول بأن من أهم الإنجازات التي قدمها المغرب إلى الأندلس هي تلك الإنجازات العسكرية سواء كانت من الفرسان المدربين أو الأسلحة المتقدمة أو التكتيك العسكري وفنون القتال .

يروى ابن حيان في هذا الصدد أن الخليفة الأموي الحكم المستنصر (توفي سنة ٩٣٦هـ / ٩٧٦م) شجع فرسان زنانة من بني برازal وغيرهم على القدوم إلى الأندلس والخدمة في جيوشه ، مقدماً لهم الأرزاق الوفيرة ، فكان

(١) انظر :

(Antonio Guzman Reina : Politica y Milicia en el Andalus, P. 71-72,
Cordoba 1969).

وإقليم شتبرية يعرف الآن بقونقة Cuenca شرقى طليطلة . وهذه المناطق كانت تعرف عند المسلمين باسم الجوف أى الشمام .

لديه منهم قوة تقدر بنحو سبعمائة فارس ، وأنه كثيراً ما كان يشرف ويتطلع
عليهم بساحة قصره ، دار الرخام ، إذا تحركوا للعب معجباً بهم ويقول لمن
حوله : ما أعجب انتقادات الخيل لهم لأنها تفهم كلامهم ! فكأنهم الذين عناهم
الشاعر أبو الطيب المتنبي في قوله :

وكانما ولدت قياماً تحتهم وكانهم ولدوا على صهواتها !! (١)

ولقد سار على هذه السياسة من بعده الحاجب المنصور بن أبي عامر (ت ٤٣٩ـ / ١٠٠٢ م) الذي توسيع في استخدام البرير كجنود مرتزقة في جيوشه
مقدماً لهم كل العوافز والتسهيلات من أرزاق وإقامة . فتوافقوا على الأندلس
من موانئ الجزيرة الخضراء ، ومالة ، والمرية ، على شكل جماعات قبلية
مثل بنى يفران الزناتية بقيادة أبي يدس بن دوناس ، وبنى زيري
الصنفهاجيين بقيادة زاوي بن زيري وابن أخيه حبوس بن ماكسن ، وفي رواية
معاصرة نقلها ابن الخطيب أن عدد الفرسان من البربر الذين قيدوا في ديوان
المنصور بلغ ثلاثة آلاف فارس . وهذا عدا ما ينضاف إليهم من الأتباع ومن
رجال السودان الداخلين في عدادهم ويبلغ عددهم ألفى راجل (٢) .

وهكذا امتلأ العاصمة قرطبة بهؤلاء الوافدين الجدد مما أدى إلى
اتساعها بإنشاء أحياe جديدة فيها . وقد اضطر المتصور أمام تزايد السكان إلى
بناء زيادة جديدة في جامع قرطبة من جهة الشرقية سنة ٤٣٨ـ بعد أن
أصبحت الزيادة التي أجرتها قبله الخليفة الحكم المستنصر من ناحية المحراب
سنة ٤٣٥ـ غير كافية (٣) .

ولا شك أن إقبال المنصور بن أبي عامر على الاستعانة برؤساء البرير
وفرسانهم في جيوشه ، قد أفاده في تحقيق انتصاراته على الممالك الأسبانية

(١) هذا البيت من قصيدة للمتنبي يمدح بها أبي أيوب أحمد بن عمران الأنطاكي . راجع
(ابن حيان : المقتبس في أخبار بلد الأندلس تحقيق عبد الرحمن الحجرى ص ١٩٣
(بيروت سنة ١٩٦٥) .

(٢) ابن الخطيب : أعمال الأعلام ص ١٠٢ .

(٣) ابن عذاري : البيان المغرب ج ٢ ص ٢٨٧ .

المسيحية مما أكسبه شرعية في الحكم وشعبية بين الناس كمجاهد في سبيل الله.

وفي الوقت نفسه استطاع بهذا العمل أن يحد من نفوذ الطبقة العربية الأندلسية المحاربة التي يقوم عليها نظام الأجناد القديم . وقد شرح لنا هذه السياسة العامرة ، الأمير عبد الله بن زيري أمير غرناطة في مذكراته حينما أشار إلى أن استعاناً المنصور بالبرير كان بداعي الخوف من الجيش الخلفي الأندلسي في أن يثير صنه أو يعزله أو يقضى عليه ، وأن هذا الخوف هو الذي جعله يعيد تنظيم الجيش الأندلسي تنظيماً عسكرياً جديداً في أواخر حياته^(١) .

وكيفما كان الأمر ، فإن هذه السياسة المغربية التي اتبعها المنصور ، وإن كانت قد حققت له نصراً عسكرياً ، إلا أنها قد تفجرت عليها فيما بعد ما يعرف باسم « الفتنة البريرية » ، وال الحرب الأهلية ، العنيفة التي دارت في الأندلس أثناء احتضار الخلافة الأموية وسقوطها سنة ٤٢٢ هـ / ١٠٣١ م^(٢) .

٣- **السودان** : تسمع عن استخدام الجنود السود بالأندلس في عهد الأمير عبد الرحمن الداخل صقر قريش (ت سنة ١٧٢ هـ / ٧٨٨ م) إذ يرد في كتاب أخبار مجموعة أن هذا الأمير أحاط نفسه بحرس من العبيد السود أطلق عليهم « عرافة السود » ، والعرافة هي الدائرة أو الديرة أو المحلة التي يقيم فيها الجنود . يقول النص : « اشتري الأمير عبد الرحمن بزيغ الحارث عندما قاتل وأبلى وظهرت منه نجدة : فقال له الأمير عبد الرحمن : عبد أنت أم حر؟ فقال له : بل عبد ، فأمر بشرائه وعرفه في عرافة السود »^(٣) .

كذلك يفهم من كلام ابن حيان أن اسم « الطنجيين » كان يطلق في

(١) راجع (مذكرات الأمير عبد الله المسماة بكتاب التبيان عن الحادثة الكائنة بدولة بنى زيري في غرناطة من ١٦-١٧ ، نشر ليقى بروفسال (مجموعة ذخائر العرب رقم ١٨) وقد سبقت الإشارة إلى الاصدارات التي أجراها المنصور في الجيش الأندلسي .

(٢) ابن سعفان العاملي : الزهرات المثلورة ص ٧٣ حاشية ، تحقيق محمود مكي (مدريد سنة ١٩٨٤) .

(٣) راجع كتاب أخبار مجموعة في فتح الأندلس وذكر أمرائها لمؤلف مجاهول ص ١٠٩ .

الأندلس في أوائل العصر الأموي على أخلاق الجنود المرتزقة من ، أراد أن البرابر والعبيد ، الذين كانوا يغدون إلى الأندلس ويعملون بأقل الرواتب وفي أشق الخدمة^(١) . ولا شك أن اسم الطنجيين يرجع إلى مدينة طنجة المغربية التي كانت بمثابة مكان لجمع وتسجيل وترحيل هؤلاء المرتزقة إلى الأندلس . وقد أشار ابن عذاري إلى انضمام جماعة من هؤلاء الطنجيين إلى حركة الثائر عمر بن حفصون سنة ٩٢٩هـ / ٩١٠ م في عهد الأمير عبد الله بن محمد الأموي^(٢) . كما يشير أيضاً إلى شغفهم يوم عرض الجيش في عهد الخليفة عبد الرحمن الناصر سنة ٩٥٨هـ / ٣٤٧ م^(٣) ، واستشهاد بعضهم في معركة مع المسيحيين في عهد الناصر أيضاً سنة ٩٥٢هـ / ٣٤١ م^(٤) .

ومن غريب ما يروى عن الخليفة عبد الرحمن الناصر ما ذكره ابن حيان عن معايب هذا الخليفة وعبيده في رعياته بقوله ، وعلق أولاد السودان في ناعورة في قصره بدلاً من القواديس الغارقة في الماء فأهلكهم^(٥) .

وفي عهد ولده الحكم المستنصر نجد إشارات واضحة عن استخدام السودان في جيشه ، فيذكر ابن حيان أن هذا الخليفة ضم إلى جيشه فرقة العبيد السود الذين جاءوا إلى قرطبة صحبة سيدهم وقائد الفاطميين السابق جعفر بن على بن حمدون بعد خروجه عن طاعة الفاطميين ، وانتصاره على زيري بن مناد الصنهاجي وانضممه إلى الحكم المستنصر متزاولاً له عن هؤلاء العبيد^(٦) .

ثم جاء الحاجب المنصور بن أبي عامر ، فاستخدم عدداً كبيراً من رجاله الرقاصية السودانية ، بلغ عددهم ألف راجل ، قدموا إلى الأندلس في عدد

(١) ابن حيان : المقتبس من ١٩٠ نشر عبد الرحمن الحجي .

(٢) ابن عذاري : البيان المغرب ج ٢ ص ١٤٧ .

(٣) ابن عذاري : نفس المصدر ج ٢ ص ٢٢٢ .

(٤) ابن حيان : المقتبس ج ٥ (الخاص بعد الرحمن الناصر) نشر شالميها وزملاؤه ص ٣٤١ .

(٥) ابن حيان : المقتبس ج ٥ نشر شالميها وكوريينط وصبح ص ٣٧ .

(٦) ابن حيان : المقتبس (الجزء الخاص بالحكم المستنصر) تحقيق عبد الرحمن الحجي ص ١٩٢ .

طوائف فرسان البرير من المغرب^(١) . ويلاحظ أن كلمة رفاص ورقافيس ، كانت تطلق في المغرب على عمال البريد والسعادة . ولهذا يبدو أن هؤلاء السودان الرفاصة كانوا مكلفين بهذا العمل الخاص بنقل مراسلات الدولة الرسمية خصوصاً وقد اشتهر عنهم سرعة الركض^(٢) . وفي هذا الصدد أيضاً يقول ابن بسام : « وكان المنصور بن أبي عامر تحمل سريره السودان الرفاصة للين مشيهم ، وكان يتأذى بصدان ريحهم مع ما كان حوله من الطيب !! »^(٣) .

وتتجدر الإشارة هنا إلى أن هؤلاء السودان ، كانوا على الصعيد الشعبي ، منتشرين كخدم في البيوتات الأندلسية ، ولا بأس من أن نسرد هنا قصة العالم اللغوي أبي العلاء صاعد البغدادي (ت ٤١٧ هـ) وغلامه كافور الأسود الذي كان كالنخلة إشرافاً لطول قامته . قال صاعد :

جمعت خرق الأكياس والصرر التي قبضت فيها صلات المنصور بن أبي عامر ، فقطمت لكافور غلامي منها قميصاً كالمرقعة ، وبكريت به معنى إلى قصر المنصور ... فقلت : يا مولانا ، لعبدك حاجة ، فقال : اذكرها . قلت : وصول غلامي كافور إلى هنا . فقال : وعلى هذه الحال ؟ فقلت : لا أقنع بسواء إلا بحضوره بين يديك . فقال : ادخلوه . فمثل قائمًا بين يديه في مرقعته وهو كالنخلة إشرافاً . فقال : قد حضر وإنه لباد الهيبة ، فما لك أضنته ؟ فقلت : يا مولاي ، هناك الفائدة . أعلم يا مولاي أنك وهبت لي اليوم مليء جلد كافور مالاً . فنهل وقال : لله درك من شاكر مستنبط لغوامض معانى الشكر ! وأمر لي بمال واسع وكسوة ، وكسا كافوراً أحسن كسوة ، »^(٤) .

كذلك حينما يتحدث ابن بسام (ت ٥٤٢) عن مقتل الأديب الكاتب ابن

(١) ابن الخطيب: أعمال الأعلام ص ١٠٢ .

(٢) حول كلمة رفاص راجع :

(R.Dozy: Suppl. aux Dict. Ar. tome I p. 457).

(٣) ابن بسام : النخيرة في محاسن أهل الجزيرة المجلد الأول ، القسم الرابع ص ٥٥ (القاهرة ١٩٤٥) .

(٤) ابن سماك العاملی : الزهرات المتنورة في نكت الأخبار المأثورة من ٧٢-٧١ تحقيق محمود مکی (مدريد ١٩٨٤) .

الجزيري في عهد الحاچب عبد الملك المظفر بن المنصور عن أبي عامر يقول:
فأدخل عليه في مطبقة قوم من السودان وختقوه ودفن في شوال سنة
١٠٤٣هـ / ١٠٠٤ م (١).

على أنه يبدو أن استخدام السودان في الأندلس لم يتم على نطاق واسع إلا
منذ أيام السيطرة المغربية في عهد المرابطين والموحدين حينما قوى ارتباط
المغرب بالأندلس من جهة ، وبالسودان الغربي من جهة أخرى ، شأنه في ذلك
شأن انتشار الذهب السوداني أيضاً .

٤- الصقالبة : الصقالبة جمع صقلبي أو سقلبي وهي تعریب لكلمة
Esclave ومعناها عبد أو رقيق . وقد أطلقت على المماليك أو العناصر
الأوروبية الأصل الذين جلبوه كرقيق إلى الأندلس منذ صغرهم ، وربوا تربة
عسكرية إسلامية ليكونوا جيشاً نظامياً دائمًا في العاصمة قرطبة إلى جانب
نظام الأجناد القائم على الإقطاع العسكري القبلي في الكور والأقاليم الأندلسية .
وتتفق المصادر على أن الأمير الحكم الأول بن هشام الملقب بالريضي
(١٨٠-٢٠٦هـ / ٧٩٦-٨٢٢ م) هو أول من استحدث هذا النظام العسكري
الدائم في قرطبة عقب ثورة الريض أو حادثة الهيج المعروفة التي قام بها
المولدون ، والتي كادت تطيح بعرشه .

وكان لهؤلاء الصقالبة عِرَافَة (دائرة) خاصة بهم بجوار قصره ، تشمل
على منشآت إقامتهم ، ومصانع للأسلحة والملابس والمهمات العسكرية الخاصة
بهم . وكان يقدّر عددهم بذحو ثلاثة آلاف فارس وألفى راجل .

كذلك كان له مائة وخمسون رجلاً مسلحاً من إقليم ناربون Narbonne
(جنوب فرنسا) كحرس خاص له . ويقال إن أهل قرطبة كان يصيّبهم الفزع
حينما يرون أميرهم يدخل قرطبة بحرسه هذا . وكانوا يطلقون عليهم اسم
الخرس لعجمتهم ، وكان يرأسهم قوم (كونت) يدعى ربيع بن تيودولفو

(١) ابن بسام : نفس المرجع القسم الرابع المجلد الأول ص ٣٦ .

Teodulfo الذى كان موضع ثقة الأمير (١). وفي ذلك يقول ابن خلدون :
وكان الحكم بن هشام أول من جند بالأندلس الأجناد المرتزقة وجمع
الأسلحة والعدد ، واستكثر من الخدم والحواشى والجسم (٢) ، وارتبط الخيال على
بابه ، واستعد بالمالىك حتى بلغوا خمسة ألف ، منهم ثلاثة آلاف فارس ،
وألفاً راجل ، وكان يسميهم الخرس لعجمتهم ، وكان له عيون يطالعونه بأحوال
الناس ، وكان يباشر الأمور بنفسه ، (٣).

واستمرت أعداد هؤلاء الفتيان الصقالبة فى ازدياد مستمر حتى صاروا فى
عهد الخليفة عبد الرحمن الناصر يكونون طبقة جديدة فى المجتمع الأندلسى
مثل الممالىك الأتراك فى المشرق الإسلامى . وحسبنا أن نشير إلى ما ذكره ابن
عذارى عن مخصصات الصقالبة من الطعام اليومى فى عهد الناصر التى
بلغت من اللحم ثلاثة عشر ألف رطل ، سوى الدجاج والحلب وصنوف الطير
وضروب الحيتان (الأسماك) (٤).

ولقد ترقى بعض هؤلاء الصقالبة إلى مناصب القيادة والرئاسة والوزارة
وصار كبارهم يسمون بالخلفاء الأكابر والفتيان الأكابر . ويبدو أن الخليفة عبد
الرحمن الناصر أراد أن يحدّ بهم نفوذ القادة العرب ، فقد ملوكه نجدة
الصقالبى قيادة الحملة التى خرج بها لقتال ملك ليون رامiro الثانى ، وقد أثار
هذا العمل غضب القادة العرب لتقديم الصقالبة عليهم ، فأقسموا بأن يتركوا
الصقالبة وحدهم فى ميدان القتال عدد نشوب المعركة . وقد أدى ذلك إلى
هزيمة الجيش الأموى فى موقعة شمنقة Simancas سنة ٩٣٩هـ / ١٣٢٧ م وقتل
القائد نجدة الصقالبى وفار عبد الرحمن بأقل من خمسين فارساً بعد أن نجا
بأعجوبة .

(١) ترجمة جاريتا جومث :

Levi Provençal : Espana Musulmana P. 42.

(٢) أطلقت كلمة حشم على الجنود المرتزقة من خارج الأندلس مثل هذا الحرس الأجنبى
(المرجع السابق من ٤٢ حاشية ٣٥) .

(٣) المقرى : نفح الطيب ج ١ من ٣١٩ - ٣٢٠ .

(٤) ابن عذارى : البيان المغرب ج ٢ من ٢٢٢ . والحلب نوع من الطيور يشبه السمآن
ويطلق عليه الإسبان اسم Perdiz بربدث .

على أن هزيمة الناصر في هذه الموقعة لم تؤثر على قوته العسكرية ، ولا على قوة مماليكه الصقالبة الذين استمر نفوذهم قوياً في الدولة في عهد الخليفة الحكم المستنصر . ولكن بعد وفاة المستنصر ونتيجة لضعف ولده هشام المؤيد وصغر سنه ، استطاع الحاجب المنصور بن أبي عامر أن يستبدل بالحكم وأن يشتت قوات الصقالبة ويخرجهم من القصر ، وأن يولي صقالبة غيرهم من مماليكه عرفوا باسم الفتيان العامرة .

وقد شارك هؤلاء الصقالبة بقيادة زعيمهم خيران العامری في الفتن والمؤامرات التي صاحبت سقوط الدولة الأموية في الأندلس . ثم تكونت منهم في عصر الطوائف الديليات العامرة الصقالبة التي قامت في شرق الأندلس ، وكانت تجمعها رابطة تحالف وتسمى بالدول العامرة الصقالبة لأن أصحابها كانوا من مماليك المنصور بن أبي عامر وأبنائه .

ومن كبار ملوك هذه المنطقة مجاهد العامری الصقلبي الذي استقل بدانية Denia والجزر الشرقية (البليار) ثم جزيرة سرداانيا وبعض سواحل إيطاليا ووسط نفوذه على غربى حوض البحر المتوسط (١) .

والى جانب الصفات الحربية التي تميز بها هؤلاء الصقالبة ، فقد استطاع عدد كبير منهم أن يحتل مكانة عالية في مجال الأدب والشعر واللغة والفن . وقد وصف ابن بسام أحد هؤلاء الفتيان بقوله : « وكان ابن أبي عامر فتى يسمى فاتنا ، أوحد لا نظير له في علم كلام العربي وكل ما يتعلق بالأدب ، ناظر صاعد اللغوى بين يديه فظهر عليه وبكته حتى أسكنه فازداد المنصور به عجباً ، ويروى ابن الأبار أن أحد الصقالبة واسمه حبيب الصقلبي ألف زمن الخليفة هشام المؤيد كتاباً تعصب فيه لقومه وعلوانه ، الاستظهار والمغالبة على من أنكر فضائل الصقالبة ، وهذا الكتاب مفقود ، وقد قال ابن بسام أنه اطلع عليه وأنه يحتوى على جملة منأشعار الصقالبة وتواتر أخبارهم .

والى جانب هذا الامتياز الأدبي والعسكري ، اختص الصقالبة بألوان من

(١) راجع (أحمد مختار العبادى : الصقالبة في أسبانيا وعلاقتهم بحركة الشعوبية) مدريد ١٩٥٣ .

الألحان والرقصات التي نسبت إليهم ، فقبل اللحن الصقلبي ورقص الصقالبة . وقد أعطانا المؤرخ الأندلسي المعاصر أبو بكر الطرطوشى وصفاً جميلاً لهذه الرقصات التى تذكرنا بالرقص الأسبانى فى وقتنا الحاضر ، إذ يقول : ثم جعلوا لكل لحن منها اسمًا مخترعًا فقالوا اللحن الصقلبي ، فإذا قرأوا قوله تعالى : وإذا قيل إن وعد الله حق ، يرقصون فى هذه الآية كرقص الصقالبة بأرجلها وفيها الخلاخيل (أو الجلاجيل) ويصفقون بأيديهم على إيقاع الأرجل ، ويرخفون الأصوات بما يشبه تصفيق الأيدي ورقص الأرجل ، كل ذلك على نغمات متوازنة ، (١).

خامسًا : إعداد الحملات العسكرية :

باستثناء فترات الهدنة السلمية ، فإن إرسال الحملات العسكرية إلى دار الحرب ، أى أرض العدو ، كان مستمراً خلال أشهر الصيف ابتداء من شهر يونيو من كل سنة . ولذا سميت بالصوائف ، ومفردها صائفة التي دخلت اللغة الأسبانية باسم Aceifa . وفي بعض الحالات الضرورية ، كانت الحملات تخرج في برد الشتاء وتسمى شواتى ومفردها شتية (٢).

كان الاستعداد للصائفة يبدأ عادة قبل شهر على الأقل من خروجها ، أى في شهر مايو حيث تكون المحاصيل الزراعية في وقت نمائها في كلا الجانبين ، الإسلامي والمسيحي ، إذ جرت العادة أن تعتمد الجيوش على مواردها الخاصة في تلك الحروب (٣) . وفي أوقات المحن أو القحط والجفاف

(١) أبو بكر الطرطوشى : كتاب العوادث والبدع ص ٧٨ تحقيق محمد الطالبى (تونس ١٩٥٩) .

(٢) انظر : ترجمة جارثيا جومث :

Lévi Provençal : Espana Musulmana P. 49 (Madrid 1957).

(٣) راجع قصة الخلاف الذى وقع بين الأمير عبد الرحمن الثانى (الأوسط) والشاعر يحيى الغزال عندما اضطرر هذا الأخير إلى بيع الطعام أى القمح المخزن فى الأهراء لوقت الحاجة إليه ، بسبب وقوع قحط فى البلاد وارتفاع سعر القمح فأنكر الأمير عليه ذلك ثم عاد وعفا عنه . (ابن دحية الكلبى : المطرب فى أشعار أهل المغرب ص ١٣٥ نشر إبراهيم الإباري وزميله (القاهرة سنة ١٩٥٤) .

كان الحاكم مضطراً إلى عدم الخروج للغزو ، كما حدث لعبد الرحمن الناصر في صيف سنة ٩٣٠ هـ / ١٥٩ م حينما عجز عن تجريد الصوائف إلى العدو بسب المحن واكتفى عامله بتحصين التغور وضبط الأطراف ومراقبة أهل الخلاف (١).

ولقد حاول الحاجب المنصور بن أبي عامر تلافي مصاعب القحط والجفاف عن طريق تحذير الحنطة والميرة والأطعمة والعلوفات في الأهراء والمخازن لاستخدامها وقت الحاجة . وفي هذا الصدد يروى ابن حيان رواية طريفة عن حملة المنصور على مدينة برشلونة يقول فيها :

، أحب محمد بن أبي عامر الوقوف على حاصل الأطعمة في الأهراء عندما اعتزم على غزو برشلونة Barcelona سنة ٩٨٥ هـ / ٣٧٤ م ، فارتقت حملته إلى مائة ألف مدي ونيف عليها . قال فلحقة العجب بذلك حتى قال : ، أنا أكثر طعاماً من يوسف صاحب الخزائن ، - يقصد النبي يوسف بن يعقوب عليهما السلام - فلم يمهله بغي كلمته إذ برأها من الاعتصام من ربه تعالى ، واعتبرته السنون الشداد المتولية من سنة ٣٧٨ هـ ، فانتسف أطعمته باتصال الإنفاق وعدم الإغتلال حتى أشفى على الماجاعة ، وهم بالجواز إلى العدوة المغربية لخصبها يوملاً حتى أغاث الله بلاد الأندلس وأخرج أرذاقها . وجعل بعد ذلك لا يستكثرون شيئاً من الأطعمة ، ولا يقتصر على ما يجتنبه منها حتى يخرج المال في شرائها في سرى الخصب . فهلك وحاصله منها جملة غليظة ، (٢).

وكان صاحب العرض أو عارض الجيش وأعوانه في الكور المختلفة ، هم الذين يشرفون على إعداد الصائفة قبل خروجها بشهر على الأقل ، فكانوا يجرون تفتيشاً دقيقاً على مخازن ومصانع الأسلحة والملابس ، وعلى أهراء الغلال والأقواف والعلوفات ، وكذلك على دور الصناعة الخاصة ببناء الأساطيل.

(١) ابن حيان : المقتبس ج ٥ - ص ١٠٩ - ١١٠ نشر شالميتسا وزميليه (مدريد سنة ١٩٧٩) .

(٢) ابن الخطيب : أعمال الأعلام من ٩٩ (نشر ليثي بروفسال) .

ولقد جرت العادة استخدامآلاف الدواب كالخيول والبغال والجمال لحمل أمتدة الحملة وأنقالها مثل أسلحة القتال وآلات الحصار والأخبية أو الخيام بكل ما يلزمها من غطاء وروطاء وحبال وأوتاد . ثم آلات الطبيخ والوضوء والسباحة ، وأرحاء طحن الغلال ، وأنواع المأكولات المقاييس والزيت والفحمة والنفط والقطران ، والمشافة (المشاعل) ، والسرورج ، وأغلال السجون للأسرى ، هذا إلى جانب هواجر النساء الغواصي (جمع غزية) وإن كنا لا ندرى إن كنّ من حريم القائد أو من المنشدات للأغانى الحماسية لإثارة حماس الجنود فى القتال كما هو معروف فى المغرب باسم تاصوكابت^(١)، أو كنّ كما يقول درزى للترفيه عن الجنود Prostitutas^(٢).

كذلك كان من مهام صاحب العرض أيضاً ، إعداد الأموال الخاصة ببنقات الحملة وأرزاقي الجنود وحفظها في صناديق محكمة . وكان عليه أيضاً مراجعة أسماء المجندين في ديوان الجنود عن طريق عرضهم بأسلحتهم في ساحة خاصة تعرف بالميدان . وهذه العملية تسمى بالعرض أو التمييز كان الغرض منها هو تنظيم وتنسيق فرق الجيش ومعرفة قدراتها القتالية ، ومواردها التمويلية في فترة زمنية محددة^(٣) .

وتجدر الإشارة هنا إلى أن المستشرق الفرنسي الكبير ليغي بروفنسان كان قد أبدى دهشته من أن جل اعتماد الأندلسيين في مواصلاتهم ونقل أنقاليهم وأمتعتهم ، كان على الدواب فقط بمختلف أنواعها ، وإنهم لم يحاولوا استخدام مركبات العجلات كما كان يفعل جيرانهم الأسبان مستشهدًا في ذلك برواية ابن عذارى التي يقول فيها بأن ملك قشتالة سانشو غرسيه أرسل إلى الخليفة سليمان

(١) ابن خلدون : المقدمة ص ٢٥٨ .

(٢) راجع : (R. Dozy : Supplement aux Dict. Arabes t.II P. 212) .

(٣) يرى المؤرخ الأسباني جناث بالنتيا أن وظيفة صاحب العرض في الجيش الأندلسي ، كان يقابلها في الجيش الأسباني قيادة التمرين الحربى Maestre Racional ، وهى تؤدى نفس الخدمات . راجع :

A. Gonzalez Palencia : Historia de la Espana Musulmana, P. 203, Madrid
1946)

المستعين ألف عجلة من الدقيق والعقاقير وأنواع المأكل سنة ١٠٠٩هـ / ٥٣٩٩م^(١). ويرجح ليثي بروفسال سبب ذلك بأنه كان ممنوعاً على المسلمين في الغرب الإسلامي استخدام العربات أو العجلات carretas طوال العصر الوسيط^(٢).

و الواقع إننا لا نشاطر أستاذنا في هذا الرأي لوجود ما يفيد باستخدام العجلات في الغرب الإسلامي منذ وقت مبكر، مثل ذلك قول ابن عذاري نقلأً عن الرفيق القيرواني :

و في سنة ٩٥هـ انصرف موسى من الأندلس إلى إفريقيا بما فاء الله عليه ، فأجاز الأموال من الذهب والفضة والجوهر في المراكب إلى طنجة ثم حملها على العجلات ، فكانت وسق مائة عجلة وأربعة عشرة عجلة ،^(٣).

كذلك يروى صاحب الروض المعطار أثناء وصفه لمدينة شدونة Sidonia في جنوب غرب الأندلس أنه كان يوجد بالقرب منها فأس حديد في شق صخرة جبلية ، وانهم في الأزمة الماضية حاولوا استخراج الفأس باستخدام عجلتان تجرهما الثيران فلم تستطع ذلك ،^(٤).

وفي هذا الصدد أيضاً يروى الجغرافي الأندلسي أبو عبيد البكري عند كلامه عن مدينة بهنسى الواحات بليبيا أنه في يوم عيد النصارى كان أهلها وهم عرب مسلمون وقبط نصارى يضعون تابوتاً فيه رجل ميت على عجلة ويسمونه ابن فرمى ويزعمون أنه من الحواريين ويتظوفون به في سكك البلد وينتبركون بذلك ويتقررون إلى الله ، تجر تلك العجلة البقر ، فإن نفرت من موضع ولم تسر فيه ، علموا أن في ذلك الموضع نجاسة^(٥).

(١) ابن عذاري : البيان المغرب جـ ٣ ص ٨٦ .

(٢) انظر (ترجمة جارثيا جومث :

(Lévi Provençal : Espana Musulmana P. 55 Nota 99) .

(٣) ابن عذاري : البيان المغرب جـ ١ ص ٤٣ .

(٤) العميري : الروض المعطار ص ١٠٠ رقم ٨٩ والترجمة الفرنسية ص ١٢٤ .

(٥) البكري : كتاب المغرب في ذكر بلاد إفريقيا والمغرب ص ١٤ - ١٥ (نشردى سلان ، الجزائر سنة ١٩١١) .

ولا بأس من أن نذكر هنا أيضاً - من باب تطبيق المتأخر على المتقدم - ما رواه السلاوي الناصري أن من الآثار الباقية بفاس للسلطان أبي الحسن المريني ، بيلة (أى حوض) من الرخام الأبيض المجلوبة من المرية Almeria زنتها ١٤٣ قنطاراً ، سقطت بحراً من المرية إلى مرسى العرائش ثم طلعت في وادي قصر كتامة^(١) ، ثم حملت على عجل الخشب تجرها القبائل إلى منزل أولاد محبوب الذين على صفة وادي سبو Sbu ، فسقطت فيه إلى أن وصلت إلى ملقاه مع وادي فاس ثم حملت على عجل الخشب أيضاً يجرها الناس إلى أن وصلت إلى مدرسة الصهريج التي بعدها الأندلس بفاس ، ثم نقلت بعد ذلك بأعوام إلى مدرسة الرخام التي أمر رحمة الله ببنائها جوف جامع القرويين المعروفة اليوم باسم مدرسة مصباح وهو اسم الفقيه الذي تصدى للدرس بها بعد بنائها فنسبت إليه^(٢) .

هذا النص السالف الذكر ، وإن كان فيه استطراد للأحداث ، إلا أنه يدل على أن استخدام العجلات Chariots أو Carretas كان معروفاً في الغرب الإسلامي في العصر الوسيط .

سادساً : الخروج إلى المعركة :

عندما يتم الاستعداد للحرب ، كان التغير العام يعلن حالة الاستنفار في جميع أنحاء البلاد^(٣) ، فيتقاطر الجنود متوجهين نحو العاصمة قرطبة . وهناك في شمال الوادي الكبير ، شرقى العاصمة ، كان يعسكر هذا الجمع الكبير في مكان متسع يسمى ساحة الحشد أو فحص السرداق نسبة إلى السرداق أو المعسكر الملكي المقام هناك . وبعد أن يجتمع شمل الجند ، ييرز الخليفة إليهم

(١) لعله يقصد بتصركتامة ، ما يسمى اليوم بالقصر الكبير أو قصر عبد الكريم .

(٢) السلاوي : الاستئناس لأخبار دول المغرب الأقصى ج ٣ ص ١٧٦ و حول شرح كلمة بيلة بمعنى الحوض راجع :

(Dozy : Supplement aux Dict. Arabes , I, p. 137).

(٣) من رواسب هذه العادة في بلاد المغرب استعمال التغير إلى الآن في شهر رمضان لإعلان الإفطار بدلاً من المدفع .

دارعاً مستلماً متقلداً سيفه راكباً فرسه وحوله أتباعه وحشمه وسط الهاتف والتكبير ، فيعسكر في السرادق ثم يشاهد عرضاً عسكرياً لجنوده بأسلحتهم المختلفة في جو مشبع بالهيبة والرهبة والنظام^(١) .

و قبل الرحيل أو البروز ، كان الأمير أو الخليفة وجنوده يقيمون صلاة عامة في المسجد الجامع بقرطبة . ثم يقام في المسجد أيضاً احتفال آخر أطلق عليه اسم « عقد الرايات » ، أو « عقد الألوية » ، تجمع فيه الرايات والألوية والأعلام وهي شعارات القيادة ، وتعقد في الرماح أو القنوات التي يحملها قادة الحملة ، على أن تعلق بعد العودة على جدران المسجد .

وهذه الاحتفالات بعد عقد الرايات والألوية ، تقليد مشرقي ، ولكنه استمر متصلةً مزدهراً في الغرب الإسلامي . وقد سبقت الإشارة إلى مسجد الرايات الذي بناه موسى بن نصير في الجزيرة الخضراء ووضع عليه رايات الفتح والألوية حسبما ورد في كتاب محمد بن موسى الرازي الذي أسماه بكتاب الرايات .

وفي هذا الصدد أيضاً أشار ابن حيان إلى مثل هذا الاحتفال الذي أقيم في المسجد الأموي بقرطبة قبيل خروج الحملة البحرية في عهد الأمير محمد بن عبد الرحمن الأوسط سنة ٨٧٩-٥٢٦ هـ ، كما أشار كذلك إلى الاحتفال الذي أقامه الخليفة الحكيم المستنصر ، وقام فيه القائد درى المعروف بابن عقبة بعقد الأعلام في قنواتها^(٢) . ونصييف على سبيل الاستطراد ما يرويه ابن عذاري من أن الخليفة الموجي يعقوب المنصور حينما عبر بجيشه من المغرب إلى الأندلس واستقر في قرطبة سنة ٩٥٨٦/١١٩٠ هـ ، عقدت له الرايات بجامعها الأكبر ، وأنشد في ذلك أبو بكر بن فجير قصيدة التي مطلعها :

(١) ابن حيان : المقتبس ج ٥ ص ٣٣٣ وقد روى أن المنصور بن أبي عامر قتل جندياً في ساحة المرض لأنه أخل بالنظام حينما شهر سيفه من غمده بدون إذن (ابن السماعي العاملى : الزهرات المثلثة ص ٨٧ تحقيق محمود مكي) .

(٢) ابن حيان : المقتبس (الجزء الخاص بالحكم المستنصر) ص ٢٥ نشر عبد الرحمن الحجرى .

بُشِّرَىٰ هَذَا لَوَاءُ قَلَّ مَا عَقَدَا إِلَّا وَقَدْ مَدَ الرُّوحُ الْأَمِينُ بَدَا (١)

ثم يخرج الجيش براياته وألويته وأعلامه إلى دار الحرب ، وقد أمننا المؤرخ الغناطي عبد الرحمن بن هذيل بمعلومات عن تنظيم الجيش الأندلسى أيام الخلافة الأموية ، وهو يشبه إلى حد كبير تنظيمات الجيوش الشرقية فى ذلك الوقت ، فقال إن الجيش كان ينقسم إلى فرق ، كل فرقة تتالف من خمسة آلاف جندي وعليها أمير يحمل راية ، وكل فرقة تنقسم إلى خمس كتائب ، وكل كتيبة تتالف من ألف جندي عليها قائد يحمل علمًا . وكل كتيبة تنقسم إلى خمسة أقسام ، كل قسم يتتألف من مائتي جندي عليهم نقيب يحمل لواء . وينقسم كل مائتين إلى خمسة أقسام أخرى ، كل قسم يتكون من أربعين عليهم عريف يحمل بندق . وينقسم كل أربعين إلى خمسة أقسام على ثمانية جنود ناظر يحمل عقدة (٢) .

ويلاحظ أن تنظيم الجيش يقوم على التقسيم الخمسى الذى عرفه المشارقة : المقدمة ثم ميمنة وميسرة وقلب فى الوسط ثم كتيبة فى الخلف وراء الجيش تعرف بالساقفة . ولهذا أطلقوا على الجيش اسم الخميس على أساس هذا التقسيم الخامسى ، والله در أبي الطيب المتبنى (ت سنة ٩٥٤هـ / ١٥٥٥ م) حينما قال فى هذا الصدد :

وَلَا كُتُبَ إِلَّا الْمَشْرِفِيَّةُ وَالْقَنَّا وَلَا رُسُلَ إِلَّا بِالْخَمِيسِ الْعَرَمِ

وفي بعض الأحيان كان الأسطول البحري يشارك فى العمليات الحربية ولا سيما فى نقل المشاة والأسلحة والآلات الثقيلة إلى أماكن الغزو البعيدة ، كما فعل المنصور بن أبي عامر فى الجملة التى شنها على جليقية أو غاليسيا Galicia فى شمال غرب إسبانيا سنة ٩٧٣هـ / ١٥٨٧ م ، إذ ألقع الأسطول من ميناء قصر أبي دانس Alcacer Do Sal على ساحل غرب الأندلس (البرتغال فيما بعد) ، واتجه نحو الشمال ، بينما سار المنصور بـراً على رأس

(١) ابن عذارى : البيان المغرب ج ٤ ص ١٧٩ ، الحميرى : الروض المعطار ص ١٠٧ .

(٢) ابن هذيل : تحفة الأنفس وشعار سكان الأندلس ، نشره وترجمه إلى الفرنسية لويس مرسى Louis Mercier (باريس ١٩٤٦) .

فرسانه مخترقاً الأرضى الأسبانية شملاً حتى التقى بأسطوله عند نهر دويره Duero وجعل من المراكب جسراً بعرض النهر يعبر الجنود عليه .

ولقد جرت العادة عندما يقترب الجيش من أرض العدو أو دار الحرب ، يتضمن إليه قواد التغور بجيوشهم وعنتادهم ، ثم يتقدم الجميع لملاقاة العدو . وكان يتقدم الجيش ، عيونه وجوايسه لمعرفة أخبار العدو وعدد شجاعته وجنوده . وكانت مناطق التغور مرتفعاً خصباً لأعمال التجسس واكتساب المعلومات ونقل الأخبار من كلا الجانبيين ، إذ كان يعيش فيها عدد كبير من المسلمين الذين يتتقنون اللغة الأسبانية ويطلقون عليهم Moros Latinados أو Ladinos (أى مسلمون ينطقون اللاتينية التي هي أصل الأسبانية) . كذلك كان يعيش فيها مسيحيون يعرفون اللغة العربية ويسمونهم Cristianos Algraviados (وهي من الكلمة Algarabia أى اللغة العربية) . كذلك كان يوجد مجموعة من الناس يطلقون عليهم اسم Enaciados ، كانوا يقومون بأعمال التجسس ونقل الأخبار والمعلومات للجيش الذى يدفع لهم أكثر ، وبطبيعة الحال كانوا يتحدثون باللغتين العربية والأسبانية (١) .

والى جانب العيون والجوايس ، كان هناك الأدلة الذين يتقدمون الجيش لإرشاده إلى المسالك والطرقات الصحيحة بين الجبال الوعرة . ولهذا كان يختار لهذه المهمة الرجال المؤتوق بأمانتهم وإخلاصهم . ومن الطريف أن كلمة دليل انتقلت إلى اللغة الأسبانية بلفظها ومعناها قصار الإسبان يطلقون على أدائهم اسم Adalides . كذلك كان يلحق بالجيش الخطباء والشعراء لوعظ الجنود وتنمية روحهم المعنوية إلى جانب الأطباء لعلاجهم وقاضى الجند حل قضيائهم والفصل في مجازعاتهم .

سابعاً : طرق الاشتباك فى الحرب :

- ١ - اتبع العرب فى الجاهلية طريقة الكر والفر واللى . وفي أيام الرسول (عليه السلام) اتبعوا طريقة الزحف بالصفوف مثل صفوف الصلاة استناداً إلى قوله

(١) انظر :

(Angel González Palencia : Historia de la Espania Musulmana) P. 193,
(Colección Labor, No. 69, 1945) .

تعالى : « إن الله يُحب الذين يقاتلون في سبيله صفاً كأنهم بنيان مرصوص » .
 ولم تثبت أن صارت كلمة مصاف تطلق مجازاً على الحرب في قولهم ضرب
 مع العدو مصافاً أي معركة حربية . وبعد أن اتصل العرب بالفرس والروم
 والأسبان ، اتبعوا نظام التعبئة أى تقسيم الجيش إلى كراديس أو كتائب أو
 وحدات توزع على شكل خمسة أجزاء رئيسية Phalanges يحركها القائد في
 شكل أهلة أو مربعات أو مثلثات ولهذا أطلقوا على الجيش اسم الخميس كما سبق
 أن ذكرنا .

وعلى الرغم من تطور أساليب القتال عند المسلمين حسب تطور المدينة
 وتقدمها خلال العصر الوسيط ، إلا أنهم ظلوا مع ذلك يطبقون طريقة الكر والفر
 مع التي اعتادوا عليها من قديم مadam ميدان المعركة يسمح بذلك . إذ أن
 هذه الطريقة - على حد قولهم - تحتاج إلى انسجام في الأرض حيث يرثون
 وينصرفون في الطول والعرض^(١) . أو كما قال ابن خلدون ، إن العرب لا
 يتغلبون إلا على البساطة ، وبعد أن فتح العرب إسبانيا ، وجدوا أن طريقة الكر
 والفر لا يمكن تطبيقها في أراضيها الجبلية الوعرة ، إلا أنهم مع ذلك طبقوها
 في المعارك التي دارت في السهول ، لدرجة أن الأسبان تأثروا بها وأعطوها
 اسماً مرادفاً وهو Torna fuye أي الكر والفر .

على أن مسلمي إسبانيا مع مرور الزمن وتطور الاستراتيجية العسكرية ،
 ما ليثروا أن تأسسوا أو تأقلموا بالبيئة الإسبانية ، واعتادوا القتال في المناطق
 الجبلية وأظهروا براعة فيها . مثال ذلك الحملة التي قادها المنصور بن أبي
 عامر لغزو مدينة شلت ياقب (القديس يعقوب أحد الحواريين للسيد المسيح
 عليه السلام) Santiago de Compostela ، قاصية بلاد حلقة أو غاليسيا في
 شمال غرب إسبانيا سنة ٩٩٧-٥٣٨ م . وقد اشتهرت بصعوبة مداخلها ،
 ووعورة مسالكها ، وكثرة أنهارها وخليانها . يقول ابن عذاري : « وقطع
 المنصور عدة أنهار كبيرة وخليان يمدها البحر الأخضر (خليج بسكايا أو
 بسكاي في أقصى الشمال) ، ثم أفضى العسكر بعد ذلك إلى جبل شامخ

(١) ابن صاحب الصلاة : كتاب المن بالإمامية على المستضعفين من ٥٠٧ نشر عبد الهادي
 النازى .

شديد الوعر ، لا مسالك فيه ولا طريق ، لم تهتد الأدلة إلى سواه ، فقدم المنصور الفعلة بالحديد لتوسيع شعابه ، وتسهيل مسالكه ، فقطعه العسكر إلى أن بلغ البحر المحيط^(١) .

وهناك أيضاً المعارك الجبلية التي اقتحم فيها المنصور أرض قشتالة من ناحية مدينة سالم Medinaceli ، وكانت أشدّها معركة جبل جريبرة المنبع Sancho Garcia Carvera التي انتصر فيها على ملك قشتالة سانشو جاريثا سنة ١٠٠٠هـ/٣٩٠م بعد شدائٍ وأهوال أثبت فيها الأندلسيون قدرتهم على القتال ضد هذه المعاقل والقلاع الوعرة^(٢) .

والنص الوحيد الذي لدينا عن طريقة القتال وتبيّنة الجيش الأندلسي عند لقاء العدو أيام الأمويين ، أوردَه المؤرخ الأندلسي أبو بكر الطوطوشى (ت سنة ٥٢٠هـ/١١٢٦م) في كتابه سراج الملوك حيث يقول :

، فاما صفة اللقاء وهو أحسن ترتيب رأيدها في بلدنا ، فهو أن تتقدم الرجالية بالدرب الكاملة ، والرماح الطوال ، والمزارق المسنونة النافذة . فيصفوا صفوفهم ، ويركزوا مراكزهم : رماحهم خلف ظهورهم في الأرض ، وتصدرهم شارعة إلى عدوهم ، وهم جاثمون في الأرض ، وكل رجل منهم قد ألقم الأرض بركته اليسرى ، وترسه قائم بين يديه . وخلفهم الرماة المختارون التي تمرق سهامهم من الدروع . والخيل خلف الرماة . فإذا حملت الروم على المسلمين ، لم يتزحزح الرجالية عن هيئاتهم ، ولا يقوم رجل منهم على قدميه . فإذا قرب العدو ، رشقتهم الرماة بالنشاب ، والرجالية بالمزارق ، وتصدر الرماح تلقاء ، فأخذوا يمنة ويسرى ، وتخرج خيل المسلمين بين الرماة والرجالية قتالاً منهم ما شاء الله ،^(٣) .

نلاحظ من هذا الوصف السابق ، أن هناك نوعاً من التطور والتجدد في طرق الاشتباك ، تحقق على أيدي الأندلسيين في العصر الأموي .

(١) ابن عذاري : البيان المغرب ج ٢ من ٢٩٥ .

(٢) راجع وصف هذه المعركة في (ابن الخطيب : أعمال الأعلام من ٦٩ وما بعدها) .

(٣) أبو بكر الطوطوشى : سراج الملوك من ٣٣٧ (القاهرة ١٣٥٤هـ) .

٢- المبارزات الفردية : جرت العادة أن تحدث قبل الموقعة مبارزات فردية بين أبطال الجيشين قبل المعركة ، وهي عادة قديمة عند العرب وغيرهم الغرض منها هو تقوية روح الجنود المعنوية ، لأن منظر الدماء يثير حماسهم ، فضلاً عن أن هذه المبارزات تبين أهمية هذا النوع من القتال الفردي في سير المعركة بعد ذلك ، إذ أن قوة الجيش كانت تقاس بعدد أبطاله وشجاعته وليس بكثرة أعداده . لهذا حرص ملوك المسلمين وقادتهم على معرفة عدد الشجعان في جيوش أعدائهم عن طريق عيونهم وجواصيسهم ، لأن النصر والهزيمة كانا يتوقفان إلى حد كبير على عدد هؤلاء الأبطال الشجعان .

ولقد أورد الطرطوشى (ت سنة ١١٢٦-٥٢٠) قصة طريفة عن إحدى هذه المبارزات الفردية وعن مدى أهميتها وتأثيرها في سير المعركة . يقول :

وسمعت أستاذنا القاضى أبو الوليد البااجى رحمة الله (ت سنة ٤٧٣/١٠٨١م) يحكى ، قال : بينما كان المنصور بن أبي عامر فى بعض غزواته ، إذ وقف على نشر من الأرض مرتفع ، فرأى جيش المسلمين بين يديه ومن خلفه وعن يمينه ويساره وقد ملأوا السهل والجبل . فالتفت إلى مقدم العسكر وهو رجل يعرف بابن المصحفى ، فقال : كيف ترى هذا العسكر أيها الوزير ؟ فقال ابن المصحفى : أرى جمعاً كثيراً وجيشاً واسعاً . فقال له المنصور : لا يعجزنا أن يكون فى هذا الجيش ألف مقاتل من أهل الشجاعة والبسالة ؟ فسكت المصحفى . فقال المنصور : وما سكتك ، أليس فى هذه الجيوش ألف مقاتل ؟ قال : لا . فتعجب المنصور ، ثم انعطف عليه وقال : أفيهم خمسة رجال من الأبطال المعدودين ؟ قال : لا . فحقق المنصور ، ثم انعطف عليه فقال : أفيهم مائة رجل من الأبطال ؟ قال : لا . قال : أفيهم خمسون من الأبطال ؟ قال : لا . فسبه المنصور واستخف به وأمر به فأخرج على أقبح صفة . فلما توسطوا بلاد المشركين ، اجتمعوا الروم ، وتصاف الجماع ، فبرز علج من الروم بين الصفين شاك سلاحه يكر ويفر وهو ينادي هل من مبارز ؟ فبرز إليه رجل من المسلمين فتجاوزا لساقة فقتله العلج ، ففرح المشركون ، وصاحوا وأضطرب لها المسلمون . ثم جعل العلج يمرح بين

الصفين وينادى هل من مبارز ؟ اثنين لواحد ! فبرز إليه رجل من المسلمين ، فتجألا ساعة فقتله العلوج ، وجعل يكر ويحمل وينادى : هل من مبارز ؟ ثلاثة لواحدا فبرز إليه رجل من المسلمين فقتله العلوج . فصاح المشركون ، وذلّ المسلمين ، وكادت تكون كسرة . فقيل للمنصور : ما لها غير ابن المصحفي . فبعث إليه فحضر . فقال له المنصور : ألا ترى ما يصنع هذا العلوج الكلب منذ اليوم ؟ قال : بعيني جميع ما جرى . قال : فما الحيلة فيه ؟ قال : وما الذي تريده ؟ قال : أن تكفى المسلمين شره . قال : نعم الآن . ثم قصد إلى رجال يعرفهم ، فاستقبله رجل من أهل الشعور على فرس قد نشرت أوراكها هرالاً ، وهو يحمل قرية ماء بين يديه على الفرس . والرجل في نفسه وحليته غير متصلع ، فقال له ابن المصحفي : ألا ترى ماذا يصنع هذا العلوج منذ اليوم ؟ قال قد رأيته فماذا ترى فيه ؟ قال : أريد رأسه الآن . قال : نعم . فحمل القرية إلى رحله ، وليس لأمة (١) حرية ، ويرز إليه ، فتجألا ساعة ، فلم ير الناس إلا المسلم خارجا إليهم يركض ، ولا يدرؤن ما هنالك ، وإذا الرجل يحمل رأس العلوج ، فالقى الرأس بين يدي المنصور . فقال له ابن المصحفي : عن هؤلاء الرجال أخبرتك أنه ليس في عسكرك منهم ألف ولا خمسمائة ولا مائة ولا خمسون ! فرد ابن المصحفي إلى منزلته وأكرمه (٢) .

هذه القصة تربينا أن قوة الجيش في رأي الطوطوشى كانت تقاس بعدد شجعانه وأبطاله . غير أن المؤرخ المعروف ابن خلدون (ت ١٤٠٦هـ / ١٩٨٠م) لم يتفق مع الطوطوشى في هذا الرأي ، إذ رد عليه في مقدمة تاريخه بقوله : وقد ذكر ابن الطوطوشى أن من أسباب الغلبة في الحرب ، أن تفضل عدة الفرسان المشاهير من الشجعان في أحد الجانبين على عيّدتهم في الجانب

(١) الألامة : الدرع الناتمة التي لها فضول (زيادات) كان للرسول (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) درع يقال لها ذات الفضول . أما الجوشن إذا كانت درعاً صدرًا بغير ظهر . راجع (عبد الرحمن بن هذيل الأندلسي : حلية الفرسان وشعار الشجعان ص ٢٢٥ وما بعدها ، نشر محمد عبد الغنى حسن ، دار المعارف سنة ١٩٤٩) .

(٢) أبو بكر الطوطوشى : سراح الملك من ٣٣١ وما بعدها (القاهرة سنة ١٣٥٤ھ) .

الآخر، مثل أن يكون أحد الجانبين فيه عشرة أو عشرون من الشجعان المشاهير، وفي الجانب الآخر ثمانية أو سنة عشر، فالجانب الزائد ولو بواحد يكون له الغلب . وأعاد ذلك وأبدى وهو راجع إلى الأسباب الظاهرة وليس ب صحيح . وإنما الصحيح المعتبر في الغلب ، حال العصبية ، أن يكون في أحد الجانبين عصبية واحدة جامعة لكلهم ، وفي الجانب الآخر عصائب متعددة ، لأن العصائب إذا كانت متعددة ، يقع بينها من التخاذل ما يقع في الوحدان المتفرقين الفاقددين للعصبية ، تنزل كل عصابة منهم منزلة الواحد ، ويكون الجانب الذي عصابته متعددة ، لا يقاوم الجانب الذي عصبيته واحدة . واعلم أنه أصح في الاعتبار مما ذهب إليه الطرطوشى ، ولم يحمله على ذلك إلا نسيان شأن العصبية ، (١) .

لا شك أن ابن خلدون الذى عاش في أواخر القرن الثامن الهجرى (١٤ م) أى بعد الطرطوشى بنحو ثلاثة قرون ، كان متأثراً في رأيه بالبيلة المغربية التي عاش فيها ، وهي تقوم على النظام القبلى والعشائرى الذى يستند إلى العصبية القبلية وهو أمر يختلف عن المجتمع الأندلسى الذى عبر عنه الطرطوشى في عصر المنصور بن أبي عامر الذى - كما ذكرنا آنفاً - قضى على العصبية القبلية في جيوشه .

وقد يؤيد هذا أيضاً رسالة ابن الريب التميمي القيروانى إلى أبي محمد بن حزن الأندلسى في القرن الخامس الهجرى (١١ م) ينتقد فيها سيرة أهل الأندلس في رجال الحرب من حيث أنهم يقدمون فقط من قدمته شجاعته وعظمت في الحروب نكايته (٢) . وكذلك قول ابن سعيد المغربي في نفس هذا المعنى :

وإِنْصَابَتِ فِيمَا يُقالُ فِي شَأنِ أَهْلِ الْأَنْدَلُسِ فِي السُّلْطَانِ ، أَنَّهُمْ إِذَا وَجَدُوا فَارِسًا يَبْرِعُ الْفَرْسَانَ ، أَوْ جَوَادًا يَبْرِعُ الْأَجْوَادَ ، تَهَافَّوْا فِي نَصْرَتِهِ وَنَصْبِهِ مَكَانًا مِنْ غَيْرِ تَدْبِيرٍ فِي عَاقِبَةِ الْأَمْرِ إِلَامٌ يَؤُولُ ، (٣) .

(١) ابن خلدون : المقدمة ص ٢٧٧ - ٢٧٨ (المطبعة الأميرية) .

(٢) المقرى : نفح الطيب ج ٤ ص ١٥٢ (نشر الشيخ محبى الدين عبد الحميد) .

(٣) المقرى : نفح الطيب ج ١ ص ٢٠١ (١٠٠٠٠) .

فوضع الأندلس كثغر قريب مجاور للعدو ، هو الذي فرض عليها هذا الاتجاه السياسي والحربي الذي عبر عنه بصدق كل من الطرطوشى وغيره من المؤرخين الأندلسيين .

٣- صيحات المجاهدين في القتال : إلى جانب المبارزات الفردية التي تسبق المعركة ، كانت هناك صيحات الحرب التي يصرخ بها القادة والجنود خلال القتال لاستجمام القوى وشحذ العزائم فضلاً عن أنها كانت بمثابة العلامة المميزة أو كلمة السر التي يتعارف بها الجنود في الحرب ولا سيما في ظلمة الليل .

ولقد عرفت هذه الصيحات في المشرق الإسلامي من قديم ، فيروى أن شعار المشركين في غزو الأحزاب كان : يا للعزى ، يا لهب ، بينما كان شعار الرسول (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَاٰلِهٖ وَسَلَّمَ) في يوم أحد وفي غزو بنى المصطلق ، يا منصور أمت ! ، والمراد هنا التفاوت بالنصر مع الأمر بالإيمانة . وفي يوم حنين كان شعاره (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَاٰلِهٖ وَسَلَّمَ) ، حاميم لا ينتصرون . ويقال إن كلمة حاميم نزلت في سبع سور قرآنية مما جعل الرسول يحرص على ذكرها لشرف منزلها ، ويستظهر بها على إزال رحمة الله في نصرة المسلمين^(١) . ولقد اتخذ المهلب بن أبي صفرة هذا الشعار ، حاميم لا ينتصرون ، في حربه ضد الخواج^(٢) . بينما كانت صيحة يا منصور أمت ، شعار المسلمين الأوائل بعد وفاة الرسول (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَاٰلِهٖ وَسَلَّمَ) مثل أسامة بن زيد بن الحارث في الغارة التي شنها على حدود الشام . ومثل المختار بن أبي عبيد الثقفي في حربه ضد بنى أمية سنة ٦٦هـ/٦٨٥م^(٣) . وكان شعار أبي بكر الصديق ، أنت أنت ، مرتين^(٤) . وشعار صلاح الدين الأيوبي في يوم حطين سنة ٥٨٣هـ/١١٨٧م ، يا للإسلام^(٥) . وكانت صيحة السلطان قطز في عين جالوت سنة

(١) عبد الحى الكتانى : الترتيب الإدارية ج ١ ص ٣٢٨ .

(٢) ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ٢ ص ١٤٥ .

(٣) فاروق عمر : الإسلام في القرن العشرين ص ٥٥ .

(٤) عبد الحى الكتانى : نفس المرجع ج ١ ص ٣٢٨ .

(٥) أبو شامة : كتاب الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية ج ٢ ص ١٤٥ .

١٢٦٠هـ / م ١٢٥٨هـ ، وإسلاماً ، وقد انتهت بالنصر المبين على التتار^(١) .

وهناك صيحة القائد اليمني نور الدين عمر بن رسول في جنوده : هي هي ! فرددوا وراءه : هي هي ! ثم حملوا على أعدائهم وانتصروا سنة ١٢٢٣هـ / م ١٢٢٥هـ^(٢) .

ولذا انتقلنا إلى الأندلس ، نجد أن الشاعر السائد في حروبهم ، يا منصور ! ، مثال ذلك الزعيم المغربي زيري بن عطية المغراوي الزناتي التائز بالمغرب في حربه ضد المنصور بن أبي عامر . يروى صاحب كتاب مقابر البرير أن صيحة زيري وجنوده في هذه الحرب ، هشام يا منصور ! ، بينما كانت صيحة جنود المنصور بن أبي عامر ، يا منصور !^(٣) واضح أن هناك مغزى سياسياً لكل من الصيحيتين : فمن المعروف أن المنصور بن أبي عامر استبد بال الخليفة الأموي هشام المؤيد وحجر عليه مما أثار استياء بعض رجال الدولة ومنهم نائبه في حكم المغرب زيري بن عطية المغراوي التائز ضده . ومن هنا يتضح بجلاء الفرق بين الشعريين : صيحة جنود زيري : هشام يا منصور ! فيرد عليهم أعداؤهم لا بل ، يا منصور ! ، أي المنصور بن أبي عامر .

ومن الطريف أن الأسبان أخذوا من المسلمين أمثل هذه الصيحيات التي تستلجد بالقرى الإلهية وبالرسل والقديسين . فتروى المصادر الأسبانية في وصف بعض المعارك التي دارت بين المسلمين والمسيحيين في إسبانيا ، أن المسلمين كانوا يصيرون يا مهدا ! بينما كان الأسبان يصيرون : يا سانتياجو^(٤) .

(١) المقريزي : السلوك لمعرفة دول الملوك ج ١ ص ٤٣١ نشر محمد مصطفى زيادة .

(٢) يحيى بن الحسين : غاية الأمانى فى أخبار القطر اليماني ج ١ ص ٤١٥ نشر سعيد عاشر .

(٣) كتاب مقابر البرير لمؤلف مجهول ص ٢٩ نشر ليثي بروفسال .

(٤) انظر :

وسانتياجو أو شنت يا قب - كما تسميه المصادر العربية - هو القديس يعقوب أحد الحواريين الإثناء عشر ومن أخص الناس بالسيد المسيح حتى اعتبره المسيحيون أخاه التوأم حتى في شكله وفي صوره للزومه إياه . ويزعم الأسبان أن هذا القديس كان أسقفاً لبيت المقدس ، وأنه ساح في الأرض داعياً لمن فيها إلى المسيحية حتى انتهى إلى هذه القاصية من جليقية أو غالسييا Galicia في شمال غرب إسبانيا ، ومات ودفن بها . ثم اهتدى أحد رجال الدين إلى قبره عن طريق نجمة أضاءت له كما يقولون Campus Stellae (١) (حقل الدجمة) ثم أقاموا فوق ضريحه كنيسة عظيمة يحج إليها المسيحيون من جميع أنحاء العالم وتسمى كنيسة سانتياجو دي كومبوستيلا Santiago de Compostela . قال ابن سعيد الغرناطي : « وكانت كنيستها عندهم بمنزلة الكعبة عندنا ... فيها يحلون ، وإليها يحجون من أقصى بلاد رومه وما وراءها » (٢) .

والأساطير الأسبانية القديمة تشير إلى أن سانتياجو كان يخرج للجنود المحاربين الأسبان على شكل ملاك بيده سيف ويمتطي فرساً أبيض ثم يأخذ في معاونتهم على قتال المسلمين في المعركة حتى يكتب لهم النصر . ولهذا أطلقوا عليه اسم Matamoros أي قاتل المسلمين .

لقد أبدى بعض المؤرخين الأسبان الحديثين شكّاً كبيراً في أن سانتياجو مدفون في إسبانيا وأن هذا المكان كان مزاراً وثنياً قديماً ، وأن تقديسه على تلك الصورة في الفترة الإسلامية ، كان وجهاً من أوجه التأثير الإسلامي في إسبانيا حيث كان لا بد من مقابلة الحماس الديني عند المسلمين ، باعتقاد يثير الحماس الديني عند المسيحيين . ولذا اشتقت صورة القديس يعقوب (سانتياجو) من الصورة التي يراها المسلمون في نبيهم ، فإذا كان محمدنبياً مثل المسيح

(١) على الرغم من أن الرأي السائد بأن اسم كمبوبستيلا Compostela مشتق من اللاتينية بمعنى حفل الدجمة Campus Stellae ، إلا أن هناك رأياً حديثاً أبداً الأب S. Portela أسف كاتدرائية سانتياجو يقول فيه بأن الكلمة معناما Que Ben Composta vay!! أي المدينة المرتبة المنظمة ابديلا إندا عندما نرى شيئاً جميلاً مرتبأ نقول Composta y ella .

(٢) المقرئ : نفح الطيب ج ١ ص ٣٩٠ .

فيعقوب أخو المسيح ، وإذا كان محمد محارباً ومجاهداً ، فكذلك يعقوب كان فارساً ومحارباً على صهوة جواه الأبيض المنير (١) . وكيفما كان الأمر ، فالحقيقة التي لا شك فيها ، هي أن الأسبان في العصر الوسيط قد آمنوا بهذا القديس ومعجزاته ، واتخذوه رمزاً قومياً بل وشفيعاً لهم في حربهم مع المسلمين .

وهكذا نرى أن نظرة الأسبان إلى سنتياجو كانت تختلف تماماً عن نظرة العالم المسيحي له . فال الأوروبيون بصفة عامة ينظرون إليه على أنه القديس الذي يحجون إليه Santiago el Peregrino بينما ينظرون إليه الأسبان على أنه سنتياجو المحارب Santiago el Bélico . ومن هذا ندرك تماماً لماذا حرص المنصور بن أبي عامر على حملته المشهورة على غاليسيا سنة ٩٩٧ هـ / ٣٥٧ م . لقد كان هدفه من غير شك هو تخريب كنيسة سنتياجو وتحطيم أسطورته الحرية .

ولكن على الرغم من كل هذا ، فقد ظلت مدينة سنتياجو وكانت رايتها إلى يومنا هذا هي القاعدة الدينية لأسبانيا ، كما لا يزال الأسبان يحتفلون بذكرى سنتياجو بوصفه حامي إسبانيا في ٢٥ يوليو من كل عام .

هذا وقد وردت صيحة سنتياجو في شعارات وصيغ مختلفة مثل Santiago y a ellos! بمعنى سنتياجو على الأعداء ! ومثل Santiago rompe Espana! وقد تعنى سنتياجو الذي يخترق إسبانيا . وهناك صيغات أخرى إقليمية إسبانية ، فالقشتاليون اتخذوا من اسم بلدتهم شعاراً في الحرب وهو ! Castilla ! (٢) أي قشتالة ! أما أهل مملكة أرجون في شمال شرق إسبانيا ، فكان شعارهم Dispietra Hierro! : بمعنى استيقظ أيها الحديد !

(١) انظر :

(Americo Castro : Op. Cit . P. 131 , Buenos Aires 1948) .

(٢) انظر :

Alfonso el Sabio : Primera Crónica General de Espana tomo II P. 726-727, publicada per MR. Menéndez Pidal).

(أى السيف Espada !) (١) .

وكل هذا يبين مدى التأثير الإسلامي . بقيت نقطة أخيرة ينبغي أن شير إليها في هذا الصدد ، وهى وجوب التفرقة بين هذه الصيحات والشعارات الهدافـة التي تشدـدـهـمـ، وـبـيـنـالـتـهـلـيلـوـالـصـيـاحـوـالـصـرـاخـ (العيـاطـ) الـذـىـلاـيـعـبـرـعـنـأـىـهـدـفـأـوـمـعـنـإـيجـابـىـ . ولـهـذـاـ نـسـمـعـعـنـبعـضـالـمـسـلـمـيـنـأـوـاـلـأـنـهـمـكـانـيـاـيـعـارـضـونـفـكـرـةـالـصـيـاحـوـرـفـعـالـأـصـوـاتـ خـلـالـالـمـعرـكـةـ وـيـعـتـبـرـونـهـاـ فـشـلـاـ .

قال أبو بكر الطوطوشى : ، ورأيت غير واحد من ألف في الحروب يكره رفع الصوت بالتكبير ويقولون يذكر اسم الله في نفسه ، وقال عتبة بن ربيعة يوم بدر لأصحابه : ، ألا ترون أصحاب محمد جثيًّا على الرُّكب كأنهم خرس يتلمظون تلمُظُ الحيات ! . وقال بعض المصنفين : ، كثرة التكبير عند اللقاء فشل ، غضُوا الأصوات ، وتجلوا السكينة وأكملوا الوئام ، (٢) . ومن وصية الإمام على بن أبي طالب لأصحابه يوم صفين قوله رضى الله عنه : ، فسروا صفوكم كالبنيان المرصوص ، وقدموا الدارع ، وأخرزوا الحاسر ، وغضوا على الأضراس فإنه أثبى للسيوف عن الهاام ، والتلروا على أطراف الرماح ، فإنه أصون للأسنة ، وغضوا الأبصار فإنه أربط للجأش ، وأسكن للقلوب ، وأخفقوا الأصوات فإنه أطرب للفشل ، وأولى بالوقار ، وأقيموا رايائكم فلا تميلوها ، ولا تجعلوها إلا بأيدي شجعانكم ، واستعينوا بالصدق والصبر فإنه بقدر الصبر ينزل النصر ، (٣) .

٤- الشعر والموسيقى والأنشيد الحماسية : إلى جانب ما تقدم من مبارزات وصيحات ، لجا الأندلسيون إلى وسائل أخرى معروفة في المشرق والمغرب لتفوية روح الجنود خلال المعركة مثل إنشاد الأشعار ، والأنشيد

(١) انظر :

(Miguel Esquerdo Galiana : Espana Cara al mar P. 56, 62) .

(٢) أبو بكر الطوطوشى : سراج الملوك من ٣٣٣ - ٣٤١ (القاهرة سنة ١٩٣٥) .

(٣) ابن خلدون : المقدمة ص ٧٧٥ .

الحماسية ، وقرع الطبول والدفوف ، ونفع القرون وضرب الصنوج . وقد أعطانا ابن حيان في هذا الصدد وصفاً فنياً دقيقاً للهدية التي أرسلها الخليفة عبد الرحمن إلى والي مليلية في المغرب موسى بن أبي العافية ، ومن بينها أربعة قرون جاموسية مجزعة لأطراف للضرب أو للنفع فيها ، غالائتها دبباج ، وعلقها أديم أحمر وستة من الطبول اللاتونية المذهبة الكاملة الآلة ... الخ^(١) . ويبدو أن استخدام نفع القرون استمر متبوعاً بعد ذلك في الجيوش الأندلسية ، إذ يروى ابن بسام أن المنذر بن يحيى التجيبي صاحب سرقسطة ، أمر بعرض الجنود ورؤسهم مملوك رومي يقال له خيار ، فجعل ينفع في القرن ليجتمع أصحابه على عادة لهم في ذلك^(٢) . ويرى البعض أن كلمة البوّق من الأصل اللاتيني *Buecina* غير أن المستشرق الأسباني سيمونيت يرى أنها عربية . وأن ضرب البوّق انتقل إلى الأسبانية باسم *Albogue*^(٣) .

ومن أمثلة الأناشيد الحماسية يروى ابن خلدون أن الجيوش المغربية الزناتية التي حاربت في الأندلس ، كان الشاعر يتقدم صفوفها ، ويُتغنّى فيحرك بثناهه الجبال الرواسى ، وبيعث على الاستماتة من لا يظن بها ، ويسمون ذلك الغداء « تصوكيات » . وأصله كله فرح يحدث في النفس فتبعد عنده الشجاعة ، كما تتبعد عن نشوة الخمر بما حدث فيها من الفرج^(٤) . ومن الطريف أن الوزير الغرناطي لسان الدين بن الخطيب أوجز وصف هذا النوع من الغداء بشيء من السخرية عند قوله : « تصوكيت صوت يقرقر به قوم من الأوقاح بين يدي القتال »^(٥) .

(١) ابن حيان : المتنbis ج ٥ من ٤٢٦ ، ص ٣٥٣ (نشر شالميتا وكوريطى وصبح)
ولعل كلمة لاطون التي وصف بها الطبول مشتقة من الكلمة الأسبانية Laton بمعنى
الدحاس الأصفر . راجع كتابنا مشاهدات لسان الدين بن الخطيب في المغرب والأندلس
٩٨ ، ١٢٣ (جامعة الإسكندرية سنة ١٩٥٨) .

(٢) المقرى : نفع الطبيب ج ٤ من ٢١٨ .

(٣) انظر : (Dozy : Supplm. aux Dict. Arabes t. I. P. 129) .

(٤) ابن خلدون : المقدمة ص ٢٥٨ .

(٥) ابن الخطيب : نفاذنة الجراب في علاة الاغتراب ص ٣٣١ ، نشر أحمد مختار
العادي .

ويبدو أن الجيوش الأسبانية لم تستعمل الطلبل في حروفيها ، وقد ذكر ذلك ابن خلدون في مقدمته بقوله : أما *الجِلْأَقَة* لهذا العهد بالأندلس ، فأكثر شأنهم اتخاذ الألوية القليلة ذاتية في الجو صعدا ، ومعها قرع الأوّلار من الطنابير ، ونفع الغيطات (*gaita* نوع من المزمار) . ثم يقول في موضع آخر : وتتخذ العجم في مواطن حروفيهم الآلات الموسيقية لا طبلولا بوقا ، فيحذق المغنوون بالسلطان في موكيه بآلاتهم ، ويغلوون فيحركون نفوس الشجعان بضرفهم إلى الاستماتة ،^(١) .

وهكذا نرى أن الأسبان لم يستخدموا الطلبلة في حروفيهم لدرجة أنهم حينما أرادوا لها اسمًا مرادفًا في لغتهم ، اختاروا كلمة Tambor وهي تطابق كلمة طنبور العربية ، ولكن المعنى يختلف في كل منها : فالطنبور الأسبانية تعني الطلبل في حين الطنبور العربية تعني آلة موسيقية ذات عنق طويل ولها أوّلار نحاسية مثل القيثارة . وقد وردت Tambor وهي في المصادر الأسبانية حينما تحدثت عن موت المنصور بن أبي عامر سنة ٩٣٢هـ / ١٠٠٢م بقولها : En Catalanzor murió el Manzor y perdió el Tambor ! أي وفي قلعة النسور مات المنصور وقد طبله (أي بالمعنى المجازى فقد سروره وفرجه) .

٥- **قوة ضربات السيف والرماح :** لقد كانت قوة ضربات سيف الأبطال ورماحهم من الأمور التي اهتم بها أهل المغرب والأندلس ، واتخذوها مادة للدعاية لأنفسهم والفاخر بها على عدوهم . ولقد وصف ابن حيان بعض هذه الضربات ، كما ذكر أسماء أصحابها الأبطال من المغاربة وذلك عند كلامه عن الحرب التي قامت بين الخليفة الأموي محمد الثاني بن هشام بن عبد الجبار بن عبد الرحمن الناصر الملقب بالمهدي بالله ، وبين ابن عمته ومنافسه سليمان بن الحكم بن سليمان بن عبد الرحمن الناصر الملقب بالمستعين . وقد استعان الأول بالنصارى الأسبان ، بينما استعان الثاني بالبربر ومن زعمائهم زاوي بن زيري ، وأبناء أخيه حبوس وحباسة أبناء ماكسن . ودارت معركة عنيفة بين الفريقين عند حصن عقبة البقر El Vacar شمالي قرطبة بنحو عشرين كيلومترًا (وذلك في ٥ شوال سنة ٤٠٠هـ / ٢٢ مايو سنة

(١) ابن خلدون : المقدمة من ٢٥٨ ، ٢٦٠ .

(م ١٠١٠) وانتهت الموقعة بانتصار المهدى وفرار المستعين ومن معه من البرير إلى الساحل الجنوبي الشرقي للأندلس حيث دارت معركة أخرى بين الفريقين في ٦ ذى القعدة من نفس السنة (٢١ يونيو سنة ١٠١٠ م) عند وادى السقائين المعروف بوادى يارو أو وادى آرو Guadiaro في أحواز مربلة Marbella . وقد قاتل البرير قاتل المستعين الذي لا يطمع في الحياة . وانتهى الأمر بانتصارهم بقيادة المستعين وهزيمة المهدى ومن معه من القرطبيين وفرسان برشلونة ^(١) . يقول صاحب كتاب مقابر البرير نفلاً عن ابن حيان : « وكان من عجائب الضراب يوم آره ، المتحدث عنه في الآفاق إلى اليوم ثلاثة ضربات ما سمع بمثلها في الدهر ، مضاء سيوف وقوة سواعد : منها ضربة أبي زوليت البيضاء التي حملت إلى مدينة برشلونة والتي وضعتها الإفرنجية في الكنيسة هناك اعتباراً ومعذرة . وضربة حبابة بن ماكسن الصنهاجى فارساً آخر منهم بدرع حصينة ثقيلة فهتك الزرد وقدته وقدت جنب لابسه فجلده . وضربة بهلوان بن تمايل الدمرى لخطم فرس علج منهم ففصلت حديدتى اللجام ولحى (فكى) الفرس جميعاً ، ورمت بخطمه وما تكتنفه من الحديد ناحية ، وخرّ الفرس على فيه . فصارت هذه الضربات أujeوبة عند الناس ^(٢) . »

ولقد أيد الطوطوشى جزءاً من رواية ابن حيان بقوله :

« دارت حرب بين المسلمين والكافر ثم افترقوا ، فوجدوا في المعترك قطعة من بيضة الحديد قدر ثلثها بما حوتة من الرأس ، فيقال إنه لم يرقط ضربة أقوى منها ، ولم يسمع بمثلها في جاهلية ولا إسلام ، فحملتها الروم (أي بقايا الخوذة) وعلقتها في كنيسة لهم . وكانوا إذا عبروا بانهزامهم يقولون : لقينا أقواماً هذا ضربتهم ، فيرحل أبطال الروم إليها ليروها ، ^(٣) . ويضيف الطوطوشى بعد ذلك كلاماً لا يخلو من فخر واعتزاز عندما يقارن بين أبطال

(١) ابن الخطيب : أعمال الأعلام ص ١١٥ ؛ ديوان بن درج القسطلى ص ٥١ وما بعدها ، نشر وتحقيق محمد على مكي ، دمشق سنة ١٩٦١ .

(٢) مقابر البرير لمؤلف مجهول ورقة ١٥٨ (النسخة الخطية) .

(٣) أبو بكر الطوطوشى : سراج الملوك ص ٣٤٥-٣٤ .

عصره وأبطال العربية السابقين مثل قوله : وكانت العرب تفخر في هذا الباب
بقول النمرین تولب يصف ضربة سيف :

أبقى الحوادث والأيام من نمر آثار سيف قديم أثره بادى
تظل تحفر عنده إن صررت به بعد الذراعين والقديدين والهادى
ولكن أين هذا من قد الحديد بما حواه من الرأس ، وأين الثريا من الثرى ،
وأين الحسام من المنجل ! (١)

أما عن قوة الرمي بالرمح ، فحسبنا أن نشير في هذا الصدد إلى قصة الفارس الأمير الشاعر حريري بن عكاشة الذي كان أميراً على قلعة من قلاع الشغر الأدنى طليطلة على عهد ملكها يحيى المأمون بن ذي الدون (٤٣٥ - ٤٦٧ هـ / ١٠٤٣ - ١٠٧٥ م) فيروى أن ملك قشتالة الفونسو السادس طلب الاجتماع به يوماً ، فوافق حريري على طلبه بشرط أن يسترهن في نفسه عدة من أمراء الروم . فأجابه الملك إلى ما ارتهن . وكان مكان اللقاء قلعة رياح Calatrava جنوب طليطلة . وخرج حريري لابساً لأمة حريره . فلما وصل فسطاط الملك ، تلقته الأمراء بالرحب والاسعة ، ولما أراد النزول عن فرسه رکز رمحه في الأرض . ثم قال له الملك : يا حريري أريد أن أنظر إلى مبارزتك هذا الفارس البطل . فقال له حريري : المبارز لا يبارز إلا أكفاءه ، وإن لم يبيتة على صدق قوله أن ليس لم فيهم كفاء ، هذا رمحي قد رکزته ، فمن ركب واقتله بارزته ، كان واحداً أو عشرة ، فركب عظيمهم فلم يهز الرمح من مكانه حين رامه ، ثم فعل ذلك مراراً ، فقال له الملك : أرنى يا حريري كيف تقلعه ؟ فركب وأشار بيده واقتله ، فعجب القوم ، ووصله الملك وأكرمه (٢) .

(١) أبو بكر الطرطوشى : سراج الملوك من ٣٤٤-٣٤٥ .

(٢) المقرى : نفح الطيب ج ٥ ص ٩٩ . وهذا الفارس الأمير حريري بن عكاشة كان شاعراً أيضاً وقد أورد له المقرى جملة من أشعاره (في نفس الجزء والصفحة) .

الفصل الثاني

**صور من حياة الحرب والجهاد بالأندلس
في عصر المراطين**

(٤٧٩ - ٥٤١ هـ / ١٠٨٦ - ١١٤٧ م)

الفصل الثاني

صور لحياة الحرب والجهاد في عصر دولة المرابطين (المثميين)

أولاً : التعريف بالمرابطين :

سقطت الخلافة الأموية بقرطبة سنة ١٠٣١هـ / ٤٢٢م ، ونتج عن سقوطها تفكك الأندلس إلى دولات صغيرة متنازعة ، واستقل كل أمير بناحية ، وأعلن نفسه ملكاً عليها ، فدخلت الأندلس بذلك في عصر ملوك الطوائف أو ما يسمى بعصر الفرق .

وانهزم الملك الأسباني القونسو السادس هذه الفرصة ، وأخذ يتدخل في شؤون تلك الدولات الأندلسية ، ويضرب ملوك الطوائف بعضهم ببعض ، ويغير على أراضيهم ويطالبهم بالأموال كي يضعفهم حربياً واقتصادياً . ثم توج مجده الحربي باحتلال طليطلة Toledo قاعدة الثغر الأدنى للمسلمين سنة ١٠٨٥هـ / ٤٧٨م ، واتخذها عاصمة لدولته مملكة قشتالة وليون . ولم يكتف بهذا النصر بل سارع إلى مدينة سرقسطة Zaragoza قاعدة الثغر الأعلى للمسلمين طاماً في الاستيلاء عليها هي الأخرى ؛ مستغلًا حالة الفوضى السياسية التي كانت قائمة في الأندلس .

وما يقال عن الأندلس ، يقال أيضًا عن بلاد المغرب التي كانت تعانى أيضًا في ذلك الوقت ، حالة انقسام إلى دولات طائفية ينتمي بعضها إلى متنبدين مارقين عن الإسلام ، مثل حاميم بن من الله الملقب بالمقتدى (أو المفترى) الذي تببدأ في قومه قبائل غمارة في جبال الريف شمال المغرب ، فأجابه بشر كثير وأقروا بنبوته .

ومثل صالح بن طريف البرغواطي الذي تبأ هو الآخر في قبائل برغواطة في إقليم تامسنا أو ما يسمى اليوم بالشاوية وهي الأراضي الممتدة غرباً على المحيط الأطلسي من مكان مدينة الرباط الحالية إلى بلدة أزمور عند مصب وادي أم الربيع في غرب المغرب . وقد شرع لهم ديانة جديدة

استهواهم بخصوصها ، كما وضع لهم قرأتنا باللغة البربرية في ثمانين سورة أكثرها منسوب إلى أسماء الأنبياء .

ولم يستطع أحد من ملوك المسلمين الذين تداولوا حكم المغرب في ذلك الوقت ، القضاء على هذه الطوائف المارقة التي ظلت باقية مستقرة وخطرها يزداد شدة ، وحدوها تزداد اتساعاً على حساب المسلمين المجاورين .

وتشاء الظروف في ذلك الوقت العصي أن ينعم الله على هذا الجناح الغربي الإسلامي ، بقوة فتيبة عسكرية لتنقذه مما هو فيه ، ألا وهي قوة الصنهاجيين المعروفين باسم المرابطين والملتحين والصحراوين وصنهاجة اللثام .

وبداية تاريخ هذه الدولة الصنهاجية المرابطية ، يبدأ في الصحراء الغربية ، صحراء شنجيط أو ما يسمى اليوم بموريتانيا (٢) .

في هذه الصحراء الشاسعة التي كانت تحدّها من الجنوب بلاد السودان الغربي حيث مملكة غانا الوثنية ، وفي الغرب المحيط الأطلسي ، وفي الشرق نهر النيجر عندما يلتقي شماليًّاً إلى جهة تمبكتو ، وفي الشمال منطقة سجلماسة التي يقال لها اليوم تافيلالت (٣) .

(١) راجع التفاصيل في مقالتنا (أحمد مختار العبادي : الصفحات الأولى من تاريخ المرابطين ، مجلة كلية الآداب جامعة الإسكندرية ، المجلد العشرون سنة ١٩٦٦) .

(٢) كلمة شنجيط أو شنقيط كانت تطلق في الأصل على قرية من قرى ولاية أدرار في موريتانياً ومعنى شنجيط بالبربرية عيون الخيل ، ويقال إنها بنيت من قديم في القرن الثاني للهجرة ثم جددت في القرن السابع في موقعها الحالي . ولم يثبت اسمها أن أطلق على القطر كله وصار أهلها يعرفون بالشناجطة وما زالت شنجيط هي العاصمة الروحية للبلاد ، أما العاصمة السياسية فهي مدينة نواكشوط على ساحل المحيط الأطلسي . راجع (الشيخ ماء العينين الشريف الإدريسي الشنجيطي : كتاب الجاش الريفي في النضال عن مغربية شنجيط وعربية المغاربة من مركب وسيط ص ١١ ، مكتبة صحراء المغرب سنة ١٣٧٦/١٩٥٧ م) .

(٣) يلاحظ أن تافيلالت الحالية تقابل مقاطعة سجلماسة القديمة ، أما مدينة سجلماسة القاعدة فتقابها اليوم مدينة الريسانى .

في هذه الصحراء ، كانت تعيش قبائل صنهاجة اللثام البربرية التي يصفها المؤرخ والجغرافي الأندلسي المعاصر أبو عبد البكري (ت ١٠٩٤ هـ / ٤٨٧ م) بأنهم ظواعن رجال في الصحراء ، وهم إلى بلاد السودان أقرب ، ولا يعرفون حرثاً ولا زرعاً ولا خبزاً ، وإنما أموالهم الأنعام ، وعيشهم من اللحم والبن ، ينفذ عمر أحدهم وما رأى خبزاً أكله إلا أن يمر بهم التجار من بلاد الإسلام أو بلاد السودان ، فيطعمونهم الخبز ويتحفونهم بالدقيق^(١) ! ويضيف صاحب كتاب الاستبصار : وإنما لهم الأغذام الكثيرة ، فيعيشون من لبنها ولحمها ، فهم يجفون اللحم ويطحونه ، ويصبون عليه الشحم المذاب والسمن ويأكلونه ويشربون اللبن ، قد غدوا به عن الماء ، فيبقى الرجل منهم الشهور لا يشرب الماء ولا يأكل الخبز ولا يعرفونه ، وصحتهم من ذلك متمكنة ...^(٢) .

ومن أشهر قبائل صنهاجة اللثام : لمتونة في شمال الصحراء ، تليها جنوباً مسوفة ثم جدالة بالقرب من نهر السنغال والنيل وساحل المحيط .

وهذه القبائل كانت امتداداً لقبائل صنهاجة التي في شمال المغرب ، والتي تكونت منها الدولة الزيرية الصنهاجية في المغرب الأدنى والأوسط ، وكذلك الدولة الزيرية التي قامت في غرناطة بعد سقوط الخلافة الأموية في عصر الطوائف .

غير أن هذه القبائل الصحراوية الجنوبية كانت تختلف عن أقربائها في الشمال في عدة نواحي ذكر منها :

أولاً : إن قبائل صنهاجة الجنوب كانت تتلام أو تتقنع ، ولهذا سميت بصنهاجة اللثام يقول البكري : « وجميع قبائل الصحراء يلتزمون النقاب وهو فوق اللثام حتى لا يبدو منه إلا محاجر عينيه ، ولا يفارقون ذلك في حال من الأحوال ، ولا يميز رجل منهم وليه ، ولا حميمه إلا إذا تنقب . وكذلك في

(١) البكري : المغرب في وصف إفريقية والمغرب من ١٦٤ ، نشر دى سلان (الجزائر سنة ١٩١١) .

(٢) كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار مؤلف مجھول من ٢١٣ ، نشر سعد زغلول (السكندرية سنة ١٩٥٨) .

المعارك ، إذا قتل منهم القتيل وزال قناعه ، لم يعلم من هو حتى يعاد عليه القناع ، وصار ذلك ألم من جلودهم .^(١)

ولقد اختلفت الآراء حول هذا الذي المعين لهم وهو اللثام ، فالبعض يرى أنهم أخذوه عن زوج أفريقيا المجاورين لهم ، والذين استخدمو الأقنعة لدفع العين الشريرة عنهم^(٢) . والبعض الآخر يرى أن استخدام اللثام كان بهدف تغطية الأفواه والشفاة الذابلة المتشقة من الحر والعطش وقلة الماء بدليل قول البكري : « وهم يسمون من خالف زيهم أفواه الذبان ، بلغتهم أى الذابلة من العطش ».^(٣)

وفي لسان العرب لابن منظور : ذبن والدبنة ، ذبوب الشفتين من العطش ، والأصل : الدبلة (الذبول) فقلبت اللام نوناً . وهذا النص يدل على أن استخدام اللثام كان بهدف تغطية هذا الجزء من الروجه . ويعزز هذا المعنى قول ابن حوقل : « وهم يتلثمون وهم أطفال ويذعنون أن الفم سوأة تستحق الستر كالعورة ، لما يخرج منه ، إذ ما يخرج منه عندهم انفع مما يخرج من العورة ».^(٤)

هذا ، ويدرك علماء الأنثروبولوجيا إلى أن استخدام المرابطين للثام ، قد يكون مظهراً من مظاهر انتسابهم لأمهاتهم واحترامهم للمرأة ، ويبدو ذلك في أسماء أمرائهم وقادتهم أمثال : ابن فاطمة ، وابن عائشة وابن غانية ، وابن الصحراوية وغيرهم ، وما زالت إلى اليوم قبائل الطوارق أو التوارك أو التوارجة في صحراء الجزائر يستعملون اللثام . ويقال إنهم من قبيلة ترغه أو تارجه السالفة الذكر وهي إحدى قبائل الملثمين ، ويضمهم ابن خلدون في كتابة البربر البرانس التي تلتزم إليها صنهاجة ، كذلك يقول محمد بن الطيب القادري (ت ١١٨٧ - ١٧٧٣ م) في كتابه « نشر المثانى » ، والتوارك كلهم من لتوينة بلا ريب كما هو عند المؤرخين فمحملهم بين بلاد السودان وبلاد

(١) البكري : نفس المصدر ١٧٠ .

(٢) أنظر : André Julién : Histoire de l'Afrique du Nord P. 77, Paris 1952 .

(٣) البكري : نفس المصدر ص ١٧٠ .

(٤) ابن حوقل : صورة الأرض من ١٠٢ (ليون ١٩٦٧) .

المغرب ، وهم ذوو شوكة عظيمة تخافهم السودان ، وقد لعبوا دوراً هاماً في نشر الاسلام في السودان الأوسط ووسط افريقيا^(١) . وفي هذا المعنى لاحظ عالم الانثروبولوجيا د. أحمد أبو زيد أن التواركية في أغانيهم يحرضون على الانساب لأمهاتهم مثل قولهم :

أنا تارجي ابن تارجية الصحرا وما فيها لى^(٢) !

هذا ، ويذهب بعض المستشرقين إلى أن كلمة الطوارق تعني الحمر أو ذرو اللون النحاسي تمييزاً لهم عن السود المجاورين لهم .

والواقع إن الآراء اختلفت حول أصل عادة استخدام اللثام ، وأغلب الظن أنهم أخذوها عن زنوج افريقيا المجاورين الذين استخدموها الأقمعة لدفع العين الشريرة الحسودة عنهم . ومن الطريق أن عادة الأقمعة مازالت مستخدمة إلى اليوم في الحفلات التنكرية باسم Mascara وعربها المسلمون إلى مسخة !

ثانياً : بالنسبة لملابس المراطيين ، فتجدر الإشارة إلى أن استخدام اللثام أو النقاب كان خاصاً بالمراطيين أو صنهاجة اللثام فقط ولا يستخدمه غيرهم . وفي هذا المعنى نجد نصاً أورده أبو بكر الصنهاجي المكنى بالبيدق يصف فيه دخول داعية الموحدين محمد بن تومرت في بداية أمره مدينة مراكش عاصمة المراطيين حيث وجد الأمير المراطي على بن يوسف بن تاشفين قاعداً والوزراء واقفون . فقال له الوزراء : ود الخلافة على الأمير ، أى تؤدد وتحبب إليه) فقال لهم : ولين الأمير ؟ إنما أرى جواري ملقيات ! فلما سمع ذلك على بن يوسف ، حط النقاب عن وجهه وقال لهم : صدق فلما رأى ابن تومرت قال له : الخلافة لله وليس لك يا على بن يوسف !^(٣)

(١) محمد بن الطيب القادري : نشر المثاني لأهل القرن العادى عشر والثانى ج ١ من ١٦٤ ، نشر محمد حبى وأحمد توفيق (الرباط سنة ١٩٧٧) .

(٢) أحمد أبو زيد : دراسات أنثروبولوجية في المجتمع الليبي (فصل عن التارجية) دار الثقافة سنة ١٩٦٣ ، راجع كذلك ليثى دلانيدا (Levi Della Vida) كتاب من نسب إلى أمه من الشراء العرب لمحمد بن حبيب في :

Journal of the American Oriental Society Vol. 62, 1942) .

(٣) أبو بكر الصنهاجي المكنى بالبيدق (ق ٦٨) : أخبار المهدى بن تومرت وابناء -

هذا النص يدل على أن اللثام كان قاصراً على المرابطين الصناهجة فقط وإن كانت هناك حالات استثنائية اتخذ فيها بعض العبيد اللثام للتستر وراءه في ارتكاب المعاصي والفجور كما يقول ابن عبدون^(١).

ولقد استخدم المرابطون نوعاً من اللثام يسمى الريّط^(٢) أخضر اللون ، وقد أورد الدويري شعراً في مدحهم يقول فيه :

إذا التئموا بالريّط خلّتَ وجوهَم

أزاهِرْ تبدو من فوق الكمام^(٣)

كذلك نجد إشارة واضحة في كتاب الروض المحتون أن المرابطين كانوا يلبسون الغفارة القرمزية اللون ، والعمائم ذات الذؤبات ، والممايز التاشفينية والسيوف المحلاة^(٤) . وينبغي أن نقف هنا عند كلمة الغفارة التي وردت في النص السابق لأنها تعني ملبيين مختلفين :

المعنى الأول : الغفارة (بكسر الغين وفتح الفاء) وجمعها الغفائر وتعنى غطاء الرأس يلبس تحت العمامة مثل الطاقية أو الشاشية ، ومثل الزرد الذي يلبسه المحارب تحت القلاسوا شأنها شأن المغفر والمغافر والمغفرة^(٥) .

- دولة الموحدين ص ٦٨ وقد نشره وترجمه إلى الفرنسية ليثى بروفسال تحت عنوان:

(Documents Incdits D'Histoire Almohade P. 108, Paris 1928).

(١) ابن عبدون : رسالة في الحسبة ص ٢١٨ .

(٢،٣) اختلفت الآراء حول تفسير كلمة رابطة وريط ورياط ، فقد تكون بمعنى ثوب يشبه الملحفة أو الحبرة أو ملأة ذات قطعة واحدة ، أو بمعنى العمامة التي تلف بها الرأس كما ورد في مقامات الحريري : وقد اعتق بربرطة .

راجع :

(R. Dozy : Supplement aux Dictionnairs Arabes , I,P. 575 & R.Dozy : Noms des Vetements chez les Arabes P. 192-193) .

(٤) محمد بن غازى (ت سنة ٥٩٩ـ١٥١٣ م) : الروض المحتون في أخبار مكادة الزيتون ص ٦ (الرياط سنة ١٩٥٢) .

(٥) المدرج في اللغة والأداب والعلم مادة غفارة ؛ دوزي : معجم مفصل في أسماء الألبسة عند العرب ص ٣٦ (ترجمة عربية) .

المعنى الثاني : الغفارة (بفتح الغين أو ضمها وتشديد الفاء) بمعنى الرداء الخارجي وهى المقصودة هنا فى النص بالغفارة القرمزية ، وجمعها الغفافير وهى كلمة دخلية كانت تطلق فى الأصل على رداء واسع يلبس الأبار ورجال الدين فى الهياكل ، ثم استعملها المسلمون فى مصر والمغرب مثل العباءة أو المعطف أو الجبة أو السلهام المغربي (١) . ومثال ذلك ما يروى فى مصر أن رجلاً كان مقررياً من الخليفة الفاطمى الأمر بأحكام الله ، فكانت تصنع له ملابس مخصوصة بدمياط وتنيس من الصوف الأبيض المنسوج بالذهب ، ويلبس فوقها الغفافير الدبياج . ومثل قول التورى فى وصف حملة لويس التاسع على مصر ، ويعت مع الكتاب غفارة ريدافرانس (أى ملك فرنسا) إلى جمال الدين ، فلبسها وهى اسقلاط أحمر تحته سجاجب وفيها شكل بكلة ذهب (٢) .

كذلك استخدمت الغفارة فى المغرب كرداء خارجي مثل السلهام ، وقد أورد صاحب الحال الموشية ذكرها ضمن الهدية التى قدمها يوسف بن تاشفين إلى ابن عمه أبى بكر ابن عمر المتنوى (٣) ، ذكر منها : مائة عمامة مقصورة (٤) ، وأربعين عمامة من الشواشى (٥) (وفي رواية أخرى من

(١) العجد فى اللغة مادة غفارة ، وكذلك :

(Dozy: Suppl. aux Dict. Arabes II, P. 218)

(٢) درزى : معجم الألبسة من ٣١٧-٣١٩ وقد أطلق المقريزى على هذه الغفارة اسم كزاغند وهى المعطف الذى يلبس فوق الزردية وتصنع من الحرير المبطن . وقد وجدوا على المعطف الشعار الملكى الفرنسي وهو زهرة الزنبق Fleur de Lis . ويبدو أنها بكلة الذهب التى وردت فى النص وهى المشبك الذى يشكب فى الثياب على شكل هذه الزهرة . ومن المعروف أن هذه الغفارة كانت لكونت روبرت أرتوا أخت الملك الذى قتل فى معركة المنصورة فظلوا أنها للملك لويس نفسه (المقريزى : السلوك ج ١ ص ٢٥٣ حاشية ٤) .

(٣) الحال الموشية فى ذكر الأخبار المراكشية لمولف مجهول (القرن الثامن الهجرى) من ١٦ نشر علوش .

(٤) عمامة مقصورة أى مبيضة ، يقال قصر الثوب أى دقة وبيضته ، والقصار هو محور الثياب ومبسطها .

(٥) الشواشى ومفردتها شاشية نسبة إلى إقليم الشاش أر طشقند فى بلاد ما وراء نهر -

السوسي)^(١) ، ومائة غفارة ، ومائتين من البرانس منها بيض وكحل وحمر ، وألف شفة من الكتان ، واثنتين وخمسين جبه اشكراط^(٢) .

وهكذا نرى مما تقدم أن المرابطين ، اتخذوا أردية مختلفة مثل اللشام ، والرباط ، وال Shawashi ، والعمائم البيضاء ، والبرانس ذات الألوان المختلفة ، والغفافير القرمزية والجباب وغيرها .

على أنه يبدو أن هذه الألوان القرمزية أو الحمراء التي غلت على ملابس المرابطين في بداية عهدهم ، لم تثبت أن تغيرت بعد ذلك ومالت إلى السواد بعد أن دعا يوسف بن تاشفين لخلفاء بني العباس في بغداد واتخذ شعار الدولة العباسية وهو السواد ، فصاروا يرتدون الغفافير والعمائم السوداء ويرفعون الرأيات السود اعترافاً بسيادتهم الروحية على البلاد المغاربية^(٣) وقد يؤيد ذلك ما روى عن المعتصم بن صمادح أمير المرية حينما خرج لاستقبال يوسف بن تاشفين في عبوره الثاني إلى الأندلس سنة ٤٨١ هـ / ١٠٨٨ م أنه (أى ابن صمادح) ظهر بين فرسانه في ثوب مرابطي أسود ، فكان ، كما يصفه بعض الرواة ، كالغراب الأسود بين الحمام الأبيض^(٤) . ولعل هذا أيضاً كان من الأسباب التي جعلت الموحدين بعدهم يطلقون على أعدائهم المرابطين اسم الزراجلة ، لأن

جيجون وتطلق على الطاقية أو الكلرطة Calotte التي تلبس على الرأس ويلف حولها شال العمامة . يقول ابن بطوطة : وصريوه بالأيدي والنعال حتى سقطت عمامته وظهر على رأسه شاشية حرير فأنكرها عليه لباسه (دوزي : معجم أسماء الألبسة عند العرب من ٢٤١) ويصف أبو الحasan في نجومه الظاهرة أنه جرت العادة أن تصنع الطاقية التي تحت العمامة من قماش رخيص بينما وجده نوع مختلف من الحرير يعرف بالشاشة (ماير : الملابس الملعوكية من ٩٢ ترجمة صالح الشيشي) .

(١) السوسي يقصد بها سوسة في تونس التي اشتهرت بصناعة العمائم المنسوبة إليها (دوزي ج ١ ص ٧٠١) .

(٢) اشكراط وأشكلاط وبالفرنسية Écarlate نوع من القماش أحمر اللون من جزيرة أيرلندا (دوزي : تكميلة المعاجم العربية ج ١ ص ٢٥) .

(٣) يوسف اشياخ : تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين ج ٢ من ٢٣٣ ترجمة عبد الله عنان (القاهرة سنة ١٩٤٩) .

(٤) نفس المرجع ج ١ ص ٩٥ .

الزرجان طائر أسود البطن^(١).

أما بالنسبة لصنهاجة الشمال ، أى الدولة الزيرية فى المغاربة الأدنى والأوسط ، فقد اشتهرت بعماها - ولا سيما عماها ملوكها - التي تشبه التيجان المذهبة . يقول صاحب الاستبصار : وكان ملوك صنهاجة عماها شرب^(٢) مذهبة يعالون فى ثمانها ، تساوى العمامة الـ ٥٠٠ أو الـ ٦٠٠ دينار وأزيد . وكانوا يعمونها بأتفن صنعة فتأتى تيجانها وكان ببلادهم صناع لذلك . يأخذ الصانع على تعليم عمامة منها دينارين وأزيد ، وكانت لهم قوالب من عود فى حواناتهم يسمونها الرؤوس يعمون عليها تلك العماها^(٣) .

ثانياً : قيام دولة المراطبين فى المغرب والأندلس :

فى أوائل القرن الخامس الهجرى (١١م) حدثت فى صنهاجة اللثام انتفاضة دينية اصلاحية ألغت بين قلوبهم ووحدت صفوفهم على أساس دينية وأخلاقية صحيحة ويرجع الفضل فى تحقيق هذه الوحدة السياسية والدينية إلى زعيم سياسى هو الأمير يحيى بن ابراهيم الجدالى زعيم المثلمين ، وإلى زعيم دينى هو الفقيه عبد الله بن ياسين الجزولى ، وكلا الرجلين ، كما هو واضح من اسميهما ، كانوا من أصل صنهاجى^(٤) .

ولقد استطاع هذا الفقيه ، عبد الله بن ياسين ، بفضل ذكائه واحلامه وحزمته أن يخلق من قبائل المثلمين برياسة لمتونة قوة دينية سلفية تقوم على:

(١) ابن القطان : نظم الجمان ص ٨٥ نشر محمود مكي .

(٢) الشرب تعلى هنا نسيج كثاني رقيق غالى الثمن كان يستعمل فى معظم الأحيان .

(٣) دوزى : ملحق المعاجم العربية ج ١ ص ٧٤ .

(٤) الاستبصار فى عجائب الأمصار ص ١٢٩ نشر سعد زغلول (الاسكندرية سنة ١٩٥٨) .

(٤) سبقت الإشارة إلى أهم قبائل صنهاجة اللثام وهى لمتونة وجدة ومسوفة . وتحضيف إليهم كذلك قبائل جزولة ولمعنة وهسكة ، فهي محدودة من شعب صنهاجة نسباً . ولما كانت مواطنهم قرب مواطن قبائل المصامدة بجبال درن أو الأطلس الكبير ، فقد نسبهم بعض المؤرخين إلى مصمردة وهذا غير صحيح فهى ليست منهم وإنما من صنهاجة . راجع (عبد الوهاب ابن متصور : قبائل المغرب ج ١ ص ٢٠٢ ، ٣١١ ، ٣١٤ ، ٣١٥ ، الرباط سنة ١٩٦٨) .

- ١- الإيمان الراسخ والذود عن الإسلام بالجهاد والرباط .
- ٢- التمسك بمذهب الإمام مالك بن أنس فيما يرجعون إليه من قوانين دينية ودينوية (١) .

ويبدو أن عبد الله بن ياسين أراد أن يتوج أتباعه بتسمية تتفق مع تلك الأهداف السامية ، فساهم بتلك التسمية الخالدة ، المرابطون ، وهي التسمية التي لم تثبت أن صارت اسمًا علمًا لهم بمعنى المجاهدين الصابرين ، كما صارت كلمة مرابط بعد ذلك بمثابة وسام عسكري يمنحه كل سلطان مرابطي لأتباعه المرابطين ليؤكد من جديد سنة أسلافه في إثارة الجهاد والرباط . مثل ذلك قول عبد الواحد المراكشي :

وَحِينَ مَلَكَ يُوسُفَ بْنَ تَاشْفِينَ جَزِيرَةَ الْأَنْدَلُسِ تَسْمَى هُوَ وَأَصْحَابُهُ بِالْمَرَابِطِينَ . ثُمَّ يَقُولُ فِي تَرْجِمَةِ ابْنِهِ عَلَىٰ : وَقَامَ بِأَمْرِهِ ابْنُهُ عَلَىٰ بْنَ يُوسُفَ بْنَ تَاشْفِينَ وَتَلَقَّبَ بِلَقْبِ أَبِيهِ أَمِيرِ الْمُسْلِمِينَ وَسُمِيَّ أَصْحَابُهُ بِالْمَرَابِطِينَ ، فَجَرِيَ عَلَىٰ سِنِّ أَبِيهِ فِي إِثْارِ الْجَهَادِ وَإِخْافَةِ الْعَدُوِّ وَحِمَايَةِ الْبَلَادِ (٢) . وَمِنَ الْطَّرِيفِ أَنَّ كَلْمَةَ مَرَابِطٍ مَا زَالَتْ تُسْتَخَدِّمُ فِي بَلَادِ الْمَغْرِبِ كَلْبَقَ مِنَ الْأَقْلَابِ التَّشَرِيفِ الْمُورُوثَةِ عَنِ الْآبَاءِ .

بهذه الرسالة السامية كان خروج المرابطين من صحراء شن吉ط (موريانيا) شمالاً نحو المغرب في منتصف القرن الخامس العجري (١١ م) يقودهم زعيمهم الديني عبد الله بن ياسين وقادتهم الحربي أبو بكر بن عمر اللمتوني ومعه ابن عمه يوسف بن تاشفين .

(١) عبد القادر زمامنة : أبو عمران الفجومي (مجلة البيبلة ، يوليو سنة ١٩٦٢) وكذلك كتاب ذكر بعض مشاهير أعيان فاس في القديم لمؤلف مجهول ، نشر وتحقيق عبد القادر زمامنة في (مجلة البحث العلمي ، العدد الثالث سنة ١٩٦٤ ، والعددان الرابع والخامس سنة ١٩٦٥) .

(٢) عبد الواحد المراكشي : المعجب في تخيس أخبار المغرب من ١٦٣ ، ١٧١ . انظر مقالنا كذلك (دراسة حول كتاب الحال الموشية في ذكر الأخبار المراكشية وأهميته في تاريخ المرابطين والموحدين ، مجلة تطوان ، العدد الخامس سنة ١٩٦٠) .

فاجهوا إلى هذه القبائل المارقة غماره في الشمال ، ويرغواطة في الغرب ، فاستأصلوا شأفتها ومحوا دعوتها ، وأسلم الباقيون منهم إسلاماً جديداً (١) . ولقد استشهد الفقيه عبد الله بن ياسين سنة ٤٥١ هـ / ١٠٥٩ م أثناء قتاله برغواطة بالقرب من مدينة الرياط (عاصمة المملكة المغربية حالياً) في منطقة زعير ، ودفن هناك بموضع يسمى تيلمت على ربوة تطل على وادى كريفنه أحد فروع وادى أبي الرفراق .

ولا يزال قبره في هذا المكان ويسميه أهالى تلك الناحية سيدى عبد الله مول الغارة .

أما الأمير أبو بكر بن عمر اللمتونى ، فإنه بعد هذا النصر الذى أحرزه ، قام بتأسيس مدينة مراكش كعاصمة للدولة المرابطية الجديدة على سفح جبال أطلس سنة ٤٦٢ هـ / ١٠٧٠ م ثم اتجه بعد ذلك بجزء من جيشه نحو السودان الغربى برسم الجهاد ونشر الاسلام فى مملكة غانة الوثنية ، فأبلى هناك بلاءً حسناً إلى أن استشهد بسهم مسموم سنة ٤٨٠ هـ / ١٠٨٧ م . وكان ابن عمه يوسف بن تاشفين قد خلفه فى حكم المغرب متذر حيله إلى السودان ، وقد تم له توحيد المغاربة الأقصى والأوسط ثم العبور إلى الأندلس لإنقاذهما من براثن الملك الأسبانى الفونسو السادس ، ملك قشتالة وليون ، والانتصار عليه فى موقعة الزلاقة Sacralias وتسمى حالياً Sagradas بالقرب من بطليوس Badajoz فى غرب الأندلس ، وذلك فى رجب سنة ٤٧٩ هـ / أكتوبر سنة ١٠٨٦ م .

وبعد فترة وجيزة خلع يوسف بن تاشفين ملوك الطوائف فى الأندلس بعد أن ثبت تخاذلهم وتواطؤ بعضهم مع الأعداء . وبذلك أصبح هذان القطران المغرب والأندلس يكنان دولة واحدة عاصمتها مدينة مراكش .

(١) ويروى ابن أبي زرع فى كتابه روض القرطاس فى أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس ص ١٩٠ أن بقائياً من قبائل برغواطة ظلت موجودة فى بداية عصر الموحدين ، حاربها الخليفة عبد المؤمن بن علي وأجال فيها السيف ، ولم يبق منهم إلا من لم يبلغ الحلم .

ثالثاً : عناصر الجيش المرابطي :

كانت دولة المرابطين منذ نشأتها دولة عسكرية مجاهدة ، واستمرت كذلك بعد أن توطدت أركانها واتسعت حدودها وأزدهرت حضارتها وتطورت نظم الحكم فيها . فقد ظلت الصفة العسكرية تغلب عليها ، كما ظل الجيش هو قوام حياتها .

وكان أمير المسلمين من قبيلة لمتونة ، هو القائد الأعلى للجيش ، ويعاونه كافة أفراد أسرته الذين كانوا يلقبون بالأمراء ، بينما كانوا يدعون بلقب قائد على كل شخصية من الشخصيات البارزة التي تسند إليها المناصب الهامة في الدولة .

أما نساء المرابطين ، فكن يتمتعن بحرية كافية . وقد يحاربن مثل الرجال إذا دعت الحاجة إلى ذلك . فهناك إشارات واضحة إلى معارك حربية دارت في ديار لمتونة بالصحراء خاصتها نساؤهم ملثمات في زي الرجال لصد غازة على بيوتهم في غياب أزواجهن ، وقد انتصرن على المع狄ين (١) . واستمرت هذه الصفة الحربية ملزمة لهن حتى آخر أيام الدولة المرابطية وشهادة أعدائهما ، ومثال ذلك إشارة أبي يكر الصنهاجي المكتن (٢) بالبيدق بشجاعة الفارسة المرابطية فأنو بدت عمر بن ينتان (٣) حينما اقتحم الموحدون مدينة مراكش ، وكانت في ذلك اليوم تقاتلهم في هياءة رجل ملثم ، وكان الموحدون يتعجبون من قتالها ومن شدة ما أعطاها الله من الشجاعة وهي بكر ، فلما

(١) ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ٧ ص ١٢٩ (نشر محيى الدين عبد العميد) .
(٢) البيدق : كتاب أخبار المهدى بن تومرت ، نشر بروفسال من ١٧٠ ، ونشر حاجيات من ١١٧ .

(٣) من المعروف أن جدما ينتان بن عمر كان من كبار رجالات المرابطين وهو الذي يرجع إليه الفضل في إطلاق سراح محمد بن تومرت من سجن على بن يوسف حينما تشفع له فيه . وقد أورد كل من البيدق وابن القطان أسماء أبناءه وبناته و منهم عمر بن ينتان والد هذه الفارسة المرابطية الذي حارب الموحدين وأسروه في فاس فعفا عنه عبد المؤمن بن علي إكراماً لوالده . (البيدق : نفس المصدر ص ٩٠ ، ١١٤ ، ابن القطان :نظم الجمان ص ١٩٥ - ١٩٦ حاشية) .

ماتت حينئذ دخلوا القصر ، ولم يعرف الموجودون هل هي امرأة أم لا حتى ماتت . ولهذا كله كانت نساء المرابطين موضع تقدير واحترام الرجال ، وكثير من أمراء المرابطين وقوادهم كانوا ينتسبون إلى أمهاتهم مثل : ابن عائشة^(١) ، وابن فاطمة^(٢) ، وابن غانية^(٣) ، وابن الصحراوية^(٤) ، وغيرهم .

ويصف ابن خلkan زينب النفرارية زوجة يوسف بن تاشفين بقوله :

« وزوجته من أحسن النساء ، ولها الحكم في بلاده ، (٥) كذلك يقال مثل

(١) هو الأمير أبو عبد الله محمد بن يوسف بن تاشفين ، ويعرف بابن عائشة ، وكان من كبار قواد المرابطين . شارك في معارك عديدة أهملها موقعة أقليش Uclés ، ويرسلونه ، وسرقسطه . وقد بصره بعد كارثة البورت أو الباب عند بلدة مارتوريول التي قتل فيها القائد المرابطي ابن الحاج حاكم سرقسطة سنة ١١٤٥هـ / ٥٠٨ م . استدعاء آخره أمير المسلمين على بن يوسف إلى مراكش وولي مكانه على مرسيه أخيه إبراهيم بن يوسف (ابن القطنان : نظم الجمان ص ٨ حاشية) .

(٢) هو أبو محمد عبد الله بن محمد بن فاطمة أحد مشاهير القواد المرابطين في عهد يوسف بن تاشفين وابنه على . استولى على بلنسية بعد رفاة السيد القميطرور El Cid Campeador وشارك في معارك أقليش وطليطلة وطليبره . وولي على بلنسية وغرناطة وفاس وأشبيلية ، وتوفي سنة ١١٨٥هـ / ٥١١ م (محمد مكي : وثائق تاريخية جديدة في عصر المرابطين ، صحيفية معهد الدراسات الإسلامية بمدريد ، المجلد السابع سنة ١٩٥٩ ، ص ١٥٤) .

(٣) بن غانية ، زعماء من قبيلة مسوقة الصهاجية التي تلى لمتونة في القوة والمنع ، ومنهم على بن يحيى المسوفى الذي تربى تحت رعاية يوسف بن تاشفين الذي زوجه فتاة من أهل بيته تدعى غانية وأنجبت منه يحيى ومحمد . وقد ولى على بن يوسف بن تاشفين ، محمد بن على المسوفى (ابن غانية) على جزر البليار أو الجزر الشرقية . وقد حمل أبناء محمد وأحفاده راية المرابطين في جزر البليار بعد سقوط دولة المرابطين ، وكثيراً ما أطلق عليهم اسم الميورقيين نسبة إلى جزيرة ميورقة كبرى هذه الجزر . راجع (عصام سيسالام : التاريخ السياسي لجزر البليار ص ٢٧٨) .

(٤) هو فارس المرابطين الأمير يحيى بن أبي بكر بن يوسف بن تاشفين الملقب بالصحراوية وابن الصحراوية . وله موقف حرية مشهورة تدل على شجاعته . تزوجت أخته الوزير الأديب أبا جعفر بن عطية . (عبد الواحد المراكشي : المعجب من ٢٦٨ نشر سعيد العريان ، وكذلك البيذق : المصدر السابق ص ١٠٦ - ١٠٧ ، والترجمة الفرنسية ص ١٦٠ حاشية ٣) .

(٥) ابن خلkan : وفيات الأعيان ج ٧ من ١٢٥ .

هذا الكلام عن قمر زوجة على بن يوسف بن تاشفين التي كان نفوذها كبيراً في الدولة .

ويبدو أن هذه الحرية أو هذه المشاركة الإيجابية التي تميزت بها المرأة المرابطية ، قد استغلها أعداء الدولة المرابطية للإساءة إليها . فإمام الموحدين المهدى ابن تومرت كان يقول عن المرابطين : « وهم يشبهون النساء في تغطية الوجه والتلثم والت نقب ، ويتشبهن نساؤهم بالرجال في الكشف عن الوجه بلا تلثم ولا ت نقب ، وقد لعن رسول الله (ص) المت شبهاه من النساء بالرجال ، والمت شبهاه من الرجال بالنساء (١) ويروى ابن خلدون أن ابن تومرت لقى ذات يوم الأميرة ، الصورة ، أخت السلطان على بن يوسف بن تاشفين حاسرة قناعها على عادة قوتها المثلثين في زوجها نسائهم ، فويخها ودخلت على أخيها باكية (٢) .

كذلك نجد مؤرخي الدولة الموحدية أمثال ابن القطان ، والبيذق ، وعبد الواحد المراكشي ، يتهمون حكام دولة المرابطين بالضعف بسبب سيطرة النساء على الأحوال حتى صارت كل امرأة من أكبر متوسطة أو مسوقة تشتمل على كل مفسد وقاطع طريق (٣) .

وقد سايرهم في تلك الكراهية بعض المؤرخين الحديثيين مثل العالم الهولندي راينهارت دوزي الذي دفعه اعجابه ببني عباد ملوك أشبيلية وغيرهم من ملوك الطوائف إلى كره خالعيم المرابطين واتهامهم بالجهل والتعصب الديني (٤) . وقد رد عليه المستشرق الأسباني فرانسيسكو كوديرا متهمًا إياه بالتعصب ضد رجال الدين (٥) .

(١) ابن القطان : نظم الحمان من ٤٦ .

(٢) ابن خلدون : كتاب العبر ج ٧ من ٤٦٨ .

(٣) عبد الواحد المراكشي : المعجب في تلخيص أخبار المغرب من ٩٨ ، ١٠٣ .

(٤) راجع كتاب دوزي الخاص بتاريخ بني عباد Loco Abbadidis وكذلك : (Dozy : Hist. des Musulm. D'Espagne , III, P. 162.

(٥) أنظر :

(F. Codera : Decadencia y desaparición de los Almorávides en España P. 190, Zaragoza).

وعلى الرغم من هذه الحملة التي شنها الموحدون والأندلسيون على هذه الدولة المجاهدة ، فإنه يمكن القول بأن هذه الدولة المفترى عليها ، استطاعت على الأقل أن تنقذ الأندلس من سقوط وانهيار محقق ، لأن الأمة المرابطية كلها عملت وراء جيشه لتلبى له كل ما يحتاج إليه .

وكان الجيش المرابطى بعد ضم الأندلس ، ينقسم إلى قسمين : قسم فى المغرب مع السلطان ؛ وقسم آخر فى الأندلس وله قيادته الخاصة التى غالباً ما تكون فى يد أحد أبناء أمير المسلمين أو أحد أخوه ، ومقرها فى قرطبة وأحياناً فى غرناطة أو أشبيلية .

ويفهم من الوثائق والرسائل المرابطية أن نظام الحكم المرابطى فى الأندلس كان متوجهاً إلى الامركزية بحيث كان للأمير (الذائب) سلطة واسعة فى التصرف فى الأمور دون رجوع إلى السلطان فى مراكش (١)

وكانت وحدات جيش المرابطين فى الأندلس موزعة على الولايات الخمس الرئيسية وهى : قرطبة ، وغرناطة ، وشبيلية ، ومرسية ، وبلنسية ، يضاف إليها سرقسطة بعد انضمامها للمرابطين ، ويقدر عددها جميعاً بـ نحو سبعة عشر ألف فارس (٢) .

أما العناصر التى كان يتتألف منها الجيش المرابطى فهى على الدحو التالى :

١ - **المراطيون** : وهم القوة الرئيسية فى الجيش الذى تعتمد على قبائل صنهاجة اللثام مثل لمتونة ، ومسوفة ، وجدالة . وكان زعماء لمتونة ملوكاً لدولة المرابطين .

٢ - **الحشم** : سبقت الإشارة إلى الحشم وجمعها أحشام التى كانت تطلق

(١) حسين مؤنس : سبع وثائق جديدة عن دولة المرابطين ، صحيفـة المعهد المصرى بمدريد ، المجلد الثانى سنة ١٩٥٤ من ٥٧ ؛ محمود مكى : وثائق تاريخية جديدة عن عصر المرابطين ، صحيفـة المعهد المصرى بمدريد ، المجلد السابع سنة ١٩٥٩ من ١٤٥ .

(٢) الطلل الموشية لمؤلف مجہول ص ٦٥ نشر علوش .

في عهد الدولة الأموية على الجنود المرتزقة الذين وفروا على الأندلس من أوروبا وأفريقيا كالصقالبة والبربر والعبيد السود الأفارقة ، بينما عرف أفراد الجيش الوطني الأندلسي من أبناء الفاتحين من العرب والبربر باسم الجناد .

أما في عصر المرابطين ، فقد اختلفت الآقوال حول طائفة الحشم والعناصر التي تتألف منها . فيفهم من كلام صاحب الحل الموشية انهم كانوا عناصر مختارة من قبائل مختلفة خارجة عن جماعة المرابطين الأصليين وذلك في قوله :

، وعظم ملك يوسف بن تashfin وضم من جزولة ولمطة وقبائل زاته ومصمودة جموعاً كثيرة وسماهم بالحشم ، (١) . ومن المعروف أن قبائل جزولة ولمطة ينتمون إلى صنهاجة بالحسب ، بينما كانت مصمودة من كتلة البرانس التي تنتهي إليها صنهاجة ، ولكنها لم تختلط بسوها إلا نادراً . أما زناته فهي كتلة من البربر البتر بفروعها مثل مغراوة وبني يفون التي كانت تحكم المغرب من قبل ، وقد أصطمعها المرابطون بعد اخضاعها (٢) .

كذلك يفهم من كلام ابن عبدون في رسالته عن الحسبة ، أن طائفة الحشم هي جماعة من الأتباع الخارجين عن أصحاب السلطان من صنهاجة بوجه عام . وذلك حينما اشتكي من سوء أفعالهم بالأندلس في قوله : ويجب لا يتلثم إلا صنهاجي أو لمتونى أو لمطى ، فإن الحشم والعبيد ومن لا يجب أن يتلثم ، يلثمون على الناس فيهيبونهم ويأتون ألواناً من الفجور كثيرة بسبب اللثام ، ثم أوصى بألا يتلثم الحشم والعبيد حتى لا يحسبهم الناس نبلاء فيخدعون ، (٣) .

أما مؤرخو الدولة الموحدية أمثال ابن القطن والبيذق ، فيطلقون كلمة الحشم على المرابطين بوجه عام ، فيقول ابن القطن : وسموا - أى المرابطون

(١) الحل الموشية ص ٢١-٢٢ .

(٢) عبد الوهاب بن منصور : قبائل المغرب من ٣٢٢ ، ٣٢٧ .

(٣) رسالة ابن عبدون في الحسبة من ٢١٨ (نشر ليفي بروفسار) .

- بالحشم للثامهم كما يفعل النساء المحتشمات ، فيقولون تاشفين بن على الحشمي ، وينتان بن على الحشمي ، وهما من أبناء أمير المسلمين على بن يوسف بن تاشفين (١) .

ويقول البيذق في وصف أحد قواد المرابطين اسمه الجياني : « وكان الجياني له حظ عظيم حتى لم يكن في زمان الحشم أحظ منه » (٢) .

مثال آخر يرويه صاحب روض القرطاس ، وأغلبظن أنه نقله من أحد مؤرخي الموحدين ، يقول : « فخرجو - أى الموحدون - فاصدرين إلى مدينة أغمات ، فاتصل خبرهم بأمير المسلمين على بن يوسف بن تاشفين ، فبعث لقتالهم جيشاً من الحشم ، وقدم عليهم الأحول ، وكان له النظر على لمونة ، فهزم جيش على بن يوسف ، وقتل الأحول ، واستمرت الهزيمة على لمونة ، واتبعهم الموحدون بالسيف » (٣) .

واضح من النصوص السابقة أن الموحدين أرادوا الإساءة إلى المرابطين فأطلقوا عليهم اسم الحشم وفسروه تفسيراً يسىء إليهم وهو تشبيههم بالنساء المحتشمات الملثمات . وفي هذا المعنى الذي يلتبس فيه شكل الرجل مع المرأة ، يروى الغبريري أن بدأ غانية المرابطين حكام جزر البلبار ، لما هاجموا مدينة بجاية الجزائرية في صلاة الجمعة سنة ١١٨٥/٥٥٨١ م ، لجأوا إلى إكراه قاضيها أبي على حسن المسيلى على مبايعتهم ، وكانوا يتلذثون ، فأجابهم قائلاً نحن لا نبايع من لا نعرف هل هو رجل أم امرأة !! فكشف له الميورقى (ابن غانية) عن وجهه ، (٤) .

٣- العرب : وهم عناصر محدودة تتكون من العناصر العربية التي استوطنت المغرب من قديم ولا سيما في فاس وطاجة وسبتا على عهد

(١) ابن القطان : نظم الجمان ص ٨١ ، ١٨٢ - ١٨٢ نشر محمود مكي .

(٢) البيذق : أخبار المهدى ص ٦٥ .

(٣) ابن أبي زرع : روض القرطاس ص ١٢٢ .

(٤) الغبريري : عنوان الدرية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية ص ٦٨ ، تحقيق رابح يونار (الجزائر) .

الأدارسة . أما قبائل العرب الهمالية (١) ، فإنها لم تكن قد وصلت بعد إلى المغرب الأقصى في عهد المرابطين . وسوف يكون لهم دور بارز بعد ذلك في أحداث المغرب والأندلس على عهد الموحدين وبني مرين أو بني عبد الحق ، ومع ذلك فإن هناك من يرجح أن طائفة من عرب افريقية الهمالية جازوا إلى الأندلس برسم الجهاد وخاضوا مع جيوش المرابطين معارك عديدة في حروبهم مع الأسبان .

يقول أبو مروان بن الكربابوس : « وفي سنة تسعين وأربعين (١٠٩٧ م) ، جاز أمير المسلمين يوسف بن تاشفين إلى الأندلس الجواز الثالث ، وجرد عسكراً جراراً من مرابطين وغرب وأندلس الشرق والغرب ، وقدم عليهم قائده محمد بن الحاج ، فالتقوا بـ *بكسرة Consuegra* ، من أعمال طليطلة وفي جنوبها الشرقي ، فكانت بينهم جولات وحملات إلى أن زلزل الله أقدام المشركين وولوا مدبرين ، (١) .

كذلك يرد ذكر اشتراك العربان في موقعة اقليش Ucles شرقى طليطلة سنة ١١٠٨-٥٥٠ م التي انتهت بانتصار الأمير تيم بن يوسف بن تاشفين على جيوش الفونسو السادس ملك قشتالة ، وبمصرع ابنه الوحيد وولي عهده دون سانشو (شانجة) . وقد نبه على ذلك الدكتور حسين مؤنس في معرض التعليق على ما ورد في رسالة ابن شرف حول فتح اقليش عن بلاء الفرسان العرب في تلك الموقعة (٢) . وكذلك الدكتور محمود مكي عند نشره لأحداث هذه الموقعة كما وردت في كتاب نظم الجمان (٣) .

٤- العبيد السود : اعتمد المرابطون في جيوشهم على العبيد السود من رفيق السودان الغربي . وبيدو أنهم في بادئ الأمر كانوا بمثابة الحراس

(١) أحمد مختار العبادي : تاريخ الأندلس لابن الكربابوس ووصفيه لابن الشباط ص ١٠٧ (مدريد ١٩٧١) .

(٢) حسين مؤنس : التأثر الأعلى الأندلسي في عصر المرابطين ، مجلة كلية الآداب جامعة القاهرة ، المجلد الحادى عشر ، ديسمبر سنة ١٩٤٩ من ١٢٩ حاشية ٢ .

(٣) ابن القطنان : نظم الجمان ١٠-٩ حاشية ١ .

الخاص بالسلطان ثم توسيع الدوحة في استخدامهم بعد ذلك . يروى صاحب الحل الموسية أن يوسف بن تاشفين اشتري جملة منهم بلغ عددهم نحو ألفين ، وأركبهم فرساناً ، فلُفظ حجاته ، (١) .

ويضيف المقري أنه في موقعة الزلاقة سنة ٥٤٧٩ هـ / ١٠٨٦ م ، أمر أمير المسلمين يوسف بن تاشفين حشمه السودان ، فترجل منهم زهاء أربعة آلاف ودخلوا المعترك بدرق اللمع وسيوف الهند ومزاريق الزان . وتلاحق الأذفونش (الفنسو السادس) بأسود نفذت مزاريقه ، فأهوى ليضرره بالسيف ، فلُفظ به الأسد وقبض على عذانه ، وانتقض جنراً كان متمنطاً به فأثبته في فخذه (في رواية أخرى في ركبته) فهناك حل درعه ونفذ من فخذه ، طعنة بقى الطاغية - يخضع بها بقية عمره (٢) .

واستمر هذا العنصر الزنجي يتعدد ذكره في حروب المرابطين حتى نهاية دولتهم ، بل أن بعض الأماكن الجغرافية حول العاصمة مراكش تسمى باسمهم مثل ، كدية العييد ، على ربوة بالقرب من وادي تانسيفت (٣) .

٥- النصارى : استعان المرابطون بعنصراً مسيحية أسبانية أطلقوا عليها اسم الروم والإفرنج والعلوج . ولقد أشاد ابن خلدون بطريقة هؤلاء الجنود في القتال التي تقوم على الثبات في الزحف صفوياً . وهي في رأيه أوثق وأشد من طريقة الكر والفر السائدة بين العرب والبربر والتي تكون عرضة للإجفال والهزيمة ولهذا كان جنود الإفرنج في زحفهم وثباتهم بمثابة قلعة ثابتة حول السلطان في قلب الجيش . ويضيف ابن خلدون أن ملوك المغرب استعنوا بهذه العناصر المسيحية الأسبانية ضد الخارجيين عن الطاعة في دولتهم من العرب والبربر . أما في حالة الجهاد في دار الحرب بأسبانيا فلا يستعينون بهم حذراً من مصالاتهم على المسلمين (٤) .

(١) الحل الموسية ص ١٤ .

(٢) المقري : نفح الطيب ج ٧ ص ١٠١ - ١٠٠ مطبعة محيي الدين عبد الحميد .

(٣) انظر :

(Gaston Deverdun : Marrakech des origines à 1912 , P. 4 , Rabat 1959).

(٤) ابن خلدون : المقدمة ص ٢٧٤ .

ويروى صاحب الحل الموشية أن بداية استخدام هؤلاء الروم في دولة المرابطين كان على شكل حرس مملوكي خاص بأمير المسلمين يوسف بن تاشفين الذي بعث إلى الأندلس سنة ١٠٧١ هـ / ٤٦٤ م ، فاشترى منها جملة من العلوج فأركبهم ، وانتهى عدده منهم مائتان وخمسون فارساً شراء ماله^(١) . ثم جاء ابنه على بن يوسف بن تاشفين فتوسع في استخدامهم كجنود مرتزقة ، فأركبهم وقدمهم على جبهة المغارم وفي الأغراض الحربية بوجه عام^(٢) .

ويجدر بنا أن نشير في هذا الصدد إلى القائد الأسباني المسيحي المعنى روبيرتير Reverter^(٣) كان في الأصل من نبلاء برشلونة ، ثم أسره أمير البحر على بن ميمون وأرسله إلى مراكش حيث رحب به السلطان على بن يوسف بن تاشفين وعيده قائداً على الفرقة الأسبانية في المغرب . واستمر هذا القائد يحارب في جيش المرابطين إلى أن قتله الموحدون في إحدى المعارك عند تلمسان سنة ١١٤٥ هـ / ٥٣٩ م . وكان لهذا القائد ابن نشا مسلماً وعرف باسم أبي الحسن على بن روبيرتير . وقد دخل في طاعة الموحدين وصار من كبار قواهم ، ولعب دوراً هاماً في انتزاع جزيرة ميورقة من أيديبني غانية المرابطين على عهد يعقوب المنصور الموحدى ثم استشهد في معركة عند بلدة عمرة بنواحي قفصة بافريقية على يد ابن غانية وحلفائه من الغز والعرب سنة ١١٨٧ هـ / ٥٨٣ م^(٤) .

واستمر هؤلاء الجنود الأسبان يتمتعون بشقة المرابطين لدرجة أنهم (أى المرابطون) استعنوا بهم في بناء القلاع التي أقاموها على سفوح جبال أطلس

(١) الحل الموشية ص ١٤ .

(٢) نفس المصدر ص ٦٩ .

(٣) ورد اسمه محرقاً في بعض المصادر مثل الإبرثير والزيرتين والدبرثير والريبرثير .

(٤) حول أخبار روبيرتير وابنه أبي الحسن على ، راجع تعليف ليثي بروفسال في ترجمته لكتاب أخبار المهد للبيذق تحت عنوان :

لصد غارات المصامدة (أى الموحدين) كما ولوهم حراسة أحد أبواب العاصمة مراكش عند هجوم الموحدين عليهم . ولكن يبدو أن اخلاص هذه الفرقـة للمرابطـين لم يستمر حتى النهاية بدليل أنـهم تواظـلـوا معـ الجيشـ المهاجمـ سـراً . وفي ذلك يقول صاحـبـ الحلـ المـوشـيـةـ : « ولما أراد الله فتحـهاـ (أىـ مدـيـنةـ مـراكـشـ) دـاـخـلـ جـيـشـ الرـومـ الـذـيـ كـانـواـ بـداـخـلـهاـ عـبـدـ المؤـمـنـ بنـ عـلـىـ ، وـاستـأـمـنـوهـ فـأـمـنـهـمـ ، وـاتـفـقـواـ مـعـهـ عـلـىـ أـنـ يـدـخـلـوهـ مـنـ الـبـابـ الـمـعـرـوفـ بـبـابـ أغـمـاتـ (سـنةـ ١١٤٧ـ هـ / ٥٤١ـ مـ) (١) .

٦- **الأندلسيون** : يضاف إلى العناصر السابقة ، جيش أهل الأندلس بأعلامه الحمراء ذات الصور ، وفرقـهـ المـخـتـلـفةـ الـقادـمةـ منـ المـدنـ والـكـورـ والأـقـالـيمـ الـأـنـدـلـسـيـةـ حـسـبـ التـقـسـيمـ الإـدارـيـ الذـيـ وـضـعـهـ الـمـرـابـطـوـنـ لـلـأـنـدـلـسـ . وـيـتـكـونـ مـنـ ثـلـاثـ مـنـاطـقـ إـدـارـيـةـ كـبـيرـةـ وـهـيـ : الـشـرـقـ وـالـغـربـ وـالـمـوـسـطـةـ (٢) .

رابعاً ، أجـورـ الـمـحـارـيـنـ :

كـانـتـ أـجـورـ الـمـحـارـيـنـ تـجـمـعـ بـيـنـ الـاقـطـاعـ الـعـسـكـرـيـ ، وـالـرـاتـبـ الشـهـرـيـ ، وـقـدـ أـشـارـ الطـرـطـوشـيـ - كـمـاـ أـسـلـفـاـ - إـلـىـ أـنـ الـمـرـابـطـوـنـ أـعـادـوـ نـظـامـ الـإـقـطـاعـ الـعـسـكـرـيـ فـيـ الـأـنـدـلـسـ بـعـدـ أـنـ كـانـ الـمـنـصـورـ بـنـ أـبـيـ عـامـرـ قـدـ أـلـغـاهـ ، وـذـلـكـ فـيـ قـوـلـهـ :

« مـازـالـ أـهـلـ إـلـسـلـامـ ظـاهـرـيـنـ عـلـىـ عـدـوـهـ ، وـأـمـرـ العـدـوـ فـيـ ضـعـفـ وـأـنـتـقـاصـ ، لـمـ كـانـ الـأـرـضـ مـقـطـعـةـ فـيـ أـيـدـىـ الـأـجـنـادـ ، فـكـانـواـ يـسـتـغـلـونـهـ ، وـيـرـفـقـونـ بـالـفـلاـحـيـنـ ، وـيـرـبـيـونـهـ كـمـاـ يـرـبـيـ الـتـاجـرـ تـجـارـتـهـ . وـكـانـتـ الـأـرـضـ عـامـرـةـ وـأـمـوـالـةـ وـافـرـةـ ، وـالـأـجـنـادـ مـتـوـافـرـيـنـ وـالـكـرـاعـ وـالـسـلـاحـ فـوـقـ مـاـ تـحـتـاجـ إـلـيـهـ ، إـلـىـ أـنـ كـانـ الـأـمـرـ فـيـ آخـرـ أـيـامـ اـبـيـ عـامـرـ ، فـرـدـ عـطـاـيـاـ الـجـنـدـ مـشـاهـرـةـ بـقـبـضـ الـأـمـوـالـ ، وـقـدـمـ عـلـيـهـ جـبـاهـ يـجـبـونـهـ ، فـأـكـلـواـ الرـعـاـيـاـ ، وـاجـتـاحـوـ أـمـوـالـهـ ،

(١) الحلـ المـوشـيـةـ صـ ١١٤ـ .

(٢) حسينـ مؤـنسـ : سـبعـ وـثـاقـ جـديـدـةـ عنـ دـوـلـةـ الـمـرـابـطـوـنـ ، صـحـيفـةـ الـمـعـهـدـ الـمـصـرـىـ للـدـرـاسـاتـ الـإـلـسـلـامـيـةـ بـمـدـرـيدـ الـمـجـدـ الثـانـىـ سـنةـ ١٩٥٤ـ ، صـ ٧٣ـ .

واستضعفوهم فتهاريت الرعایا وضعفوا من العمارة، فقلت الجبابیات المرتفعة إلى السلطان ، وضفت الأجناد وقوى العدو على بلاد المسلمين حتى أخذ الكثير منها . ولم يزل أمر المسلمين في نقص وأمر العدو في ظهور إلى أن دخلها المتناثرون (أى المرابطون) فردو الاقطاعات كما كانت في الزمان القديم ، ولا أدرى ما يكون وراء ذلك .^(١)

ولعل صاحب الحل الموشية قد أيد هذا الكلام حينما قال :

« وكان ترتيبهم (أى المرابطون) في الأندلس ، أنهم لا يزيدون فارساً على خمسة دنانير للشهر شيئاً ، مع نفقته وعلف فرسه ، فمن ظهرت نجده وإعانته وشجاعته أكرمه بولاية موضع ينفع بفوائده »^(٢) .

وتجدر الإشارة هنا إلى حالة الرخاء الاقتصادي التي سادت المغرب والأندلس في عهد المراطيين خصوصاً بعد سيطرتهم على مراكز تجارة الذهب مثل سجلماسة^(٣) وأوداغشت ، وطرق القوافل والمسالك الغربية المؤدية إلى ذهب السنغال والسودان الغربي . ولهذا استفاد المراطيون من فيضان الذهب المار عبر هذه المسالك الصحراوية الغربية . ولعل أبلغ دليل على ذلك ، تلك الشهرة العالمية والسمعة الاقتصادية التي تتمتع بها الدينار الذهبي المراطي^(٤) ،

(١) أبو بكر الطوطوشى : سراج الملوك من ٢٩٩ .

(٢) الحل الموشية : من ٦٧ .

(٣) ولادة سجلماسة مكانها اليوم تافيلالت في جنوب المغرب الأقصى ، أما القاعدة مدينة سجلماسة فهي اليوم قرب مدينة الريسانى . ولعل الأطلال الموجودة هناك والتي يسمى بها العامة بالمدينة العامرة ، هي أطلال هذه المدينة التاريخية سجلماسة التي ينسب إليها الدينار السلمياني الذي كان سائداً في الأندلس في العصرالأموي والذي صار الدينار المراطي استمراً له بعد ذلك . راجع ما كتبه بن حوقل والبكري وابن عذاري عن سجلماسة .

(٤) يصف المؤرخ الغرناطى ابن الخطيب الدينار المراطي بقوله : وكان درره مه فضة وديناره تبر محض ، في إحدى صفحاته : لا إله إلا الله محمد رسول الله ، وتحت ذلك « أمير المسلمين يوسف بن تاشفين » ، وفي الدائرة : « ومن ينتهي غير الإسلام دينًا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين » . وفي الصفحة الأخرى : الإمام عبد الله أمير المؤمنين . (ويقصد به الخليفة العباسي) ، وفي الدائرة تاريخ مصرية وموضع السكة . راجع (ابن الخطيب : الإحاطة في تاريخ غرناطة لوحة ٣٩٣ نسخة الاسكوريا) .

وكان يعرف باسمهم Marabotin ، حتى غدت دول العالم الإسلامي والمسيحي تتنازع عليه. وكل هذا من غير شك ساعد على الانفاق والتسلح والازدهار الحضاري^(١) .

خامساً : التحصينات العسكرية :

تأثرت دولة المرابطين بالبيئة الصحراوية التي نشأت فيها، ونلحظ هنا التأثير في كثرة اعتمادهم على الجمال بدلاً من الخيول ، وكثرة استخدامهم للعبد السود من مشتروات غانا وغينيا بالسودان الغربي المجاور لها . كذلك نلحظ هذا التأثير في اهتمامها بإنشاء القلاع والحصون ، لأن الصحراء المنسية تستلزم إقامة مثل هذه الاستحكامات الدفاعية لصد غارات المغربين . وقد عرفت هذه الحصون باسم « تاجرات » أو « تاقررت »، ومعناها بلسان البربر المحلة أو المعسكر أو المجتمع^(٢) . ومن المعروف أن النواة الأولى لكل من مدینتى تلمسان في الجزائر ، ومكناة في المغرب الأقصى كانت حصناً من هذه الحصون التي بناها المرابطون باسم تاجررت^(٣) .

وحينما هاجم يوسف بن تاشفين بلاد غمارة بجبال الريف في شمال المغرب ، استعان في مهاجمتها بحصون وقلاع شيدها في مواجهتها مثل

(١) راجع (موريس لمبار : الذهب الإسلامي منذ القرن السابع إلى الحادي عشر الميلادي من ٦٢ ، ترجمة توفيق إسكندر (القاهرة ١٩٦١) ، وكذلك أرشيبالد لويس : القرى البحرية والتجارية من ٣٨٦ ترجمة أحمد محمد عيسى .

(٢) محمد بن غازى المكتاسى : الروض الهتون في أخبار مكناة الزيتون من ٦ (الرياط ١٩٥٢) .

(٣) يقول الإدريسي : ومدينة مكناة هي المسماة بتاقررت ، وهي مدينة حسنة مرتفعة على الأرض ، يجري في شرقها نهر صغير عليه أرهاع وتنصل بها عمارات وجذان وزروع وأرضها طيبة (الإدريسي : وصف إفريقيا الشمالية والصحراوية من ٥٢-٥١ ، نشرهلى بيرس ، الجزائر ١٩٥٧) وحينما استولى يوسف بن تاشفين على مدينة تلمسان أنس بجوارها مدينة عسكرية أسمها تاجررت ، ولم ثبت المديتان أن اندمجاً وأصبحتا تلمسان . راجع :

(Ency . of Islam art Tlemecen by Alfred Bel) .

حصن تاودا أو توده ، وحصن أمرجو Amergo الذى استخدمت فيه الأبراج المستديرة . وقد أشاد المؤرخون بمناعة تلك الحصون ، وبالدور الهام الذى قامت به فى فتح هذه البلاد وتطهيرها من العبث والفساد المنتشر فيها ومثال ذلك قول صاحب الاستبصار :

وكانت تاودا مدينة كبيرة أسسها الملثمون ليتمكنوا منها جبل غمارة ، وكان يسكنها ولاة المغرب منهم بالعسكر . وكانت فى أيامهم معمورة بالمبانى الحسان والقصور المليعة ، وهى على وادى ورغبة ، وعليها جبل متيف فيه حصن كبير من بناء الملثمين يسمى أمرجو وهو مبنى بالحجارة والجير ، ولا يقدر أحد على هدم شيء منه إلا بالمشقة (١) .

ومازالت أطلال مدينة تودا باقية إلى اليوم شمالي فاس بـحو تسعين كيلومتراً في طريق وزان وتعرف الآن بقلعة فاس البالى ، وقد تهدمت في عصر السعديين (٢) .

كذلك يلاحظ أن بناء مدينة مراكش أو مروكش (٣) سنة ٥٤٦ هـ / ١٠٧٠ م ، عاصمة للمرابطين على يد أميرهم أبي بكر بن عمر المتنونى عند سفح جبال أطلس ، كان في بداية الأمر يهدف إلى هذا الغرض الدفاعي وهو حماية جيوش الدولة وأموالها وسلامتها من غارات قبائل المصامدة الضاربة في جبال أطلس . وفي ذلك يقول ابن خلدون : « وجعل يوسف بن تاشفين مدينة

(١) كتاب الاستبصار لمؤلف مجهول ص ١٩٠ نشر سعد زغلول .

(٢) الصديق بن العربي : كتاب المغرب ص ١١٩ ، عبد العزيز بن عبد الله : مظاهر الحضارة المغربية ج ٢ ص ٥٤ وكذلك :

(Henri Terrasse : Histoire du Maroc , I, P. 248-249) & Le Guide Blue : Maroc P. 396).

(٣) ورد اسم مراكش في صيغة مروكش على لسان الأمير عبد الله به زيرى الصنهاجى أمير غرناطة في عصر الطوائف في القرن الخامس الهجرى (١١) م راجع مذكرة التي نشرها ليلى روئسال في مجموعة ذخائر العرب ص ١٢٥ ، ١٦١ . وهذه الرواية إن صحت أنه يكون اسمها مروكش أيام المرابطين ، فإن التسمية الأسبانية التي نقلت عنها تكون مطابقة : Marruecos .

مراكش لعسكره ، وللتمرس بقبائل المصامدة المصيبة (المقيمة) بمواطنهن بها في جبل درن^(١) (أطلس) .ولهذا كانت مدينة مراكش منذ تأسيسها بمثابة قلعة عسكرية غير صالحة للسكنى ، وقد بني فيها الأمير أبو بكر بن عمر بن قصر الحجر أو دار الحجر وهي تعنى عدد العرب من قديم القلعة أو القصبة أو المدينة الحصينة .ويلاحظ أن مدينة مراكش في البداية ، اقتصر سورها على القصبة والمسجد فقط إلى أن جاء على بن يوسف بن تاشفين فأمر بتسوير المدينة كلها سنة ١١٢٦هـ / ١٥٢٠ م بناء على نصيحة الفقيه الأندلسي أبي الوليد بن رشد (الجد)^(٢) .

لهذه الأسباب السابقة ، بقيت مدينة أغمات المجاورة لها ، حاضرة لهذا الحوز الجنوبي مدة زمنية لما كانت تتمتع به من أسباب الرخاء والاستقرار الحضاري . ولكن مع مضي الوقت انقلب الآية ، وأخذت مراكش في الاندثار والعمaran في عهد المراطين والموحدين على حساب أغمات التي صارت في النهاية قرية خاملة .

وما يُقال عن بناء العاصمة مراكش ، يقال أيضًا عن سلسلة الحصون والقلاع التي شيدتها المراطون جنوبًا على سفوح جبال أطلس الكبير لمراقبة تحركات المصامدة الموحدين وصد غاراتهم . ولقد أفرد المؤرخ المودعى المعاصر أبو بكر الصنهاجي المكتن بالبيذق فصلاً خاصاً عن هذه الحصون وأسمائها وأسماء من كان فيها من مدافعين ، ونهاياتهم المحترمة^(٣) .

(١) سبقت الإشارة إلى أن جبال درن بلسان البربر تعنى ملك الجبال لعلها وضخامتها ومن الطريق أن ملك أشبيلية المخلوع المعتمد بن عباد لما نفاه المراطون إلى أغمات على سفح جبال درن هجأها بقوله :

هذى جبال درن وكم بها من درن
فليتني لم أرها وليتها لم ترني !

(٢) الاستبصار ص ٢٠٩ ، ابن القطنان :نظم الحمان ص ١٠٦ ، حمدى عبد المatum حسين : تاريخ المغرب والأندلس فى عصر المراطين ص ٣٧٣ .

(٣) البيذق : كتاب أخبار المهدى ابن تومرت نشر وترجمة ليثى بروفنسال ص ١٢٨ - ١٣١ ، والترجمة الفرنسية ص ٢١٨ - ٢٢١ .

ولم يتردد المرابطون في الاستعارة بالأندلسيين لبناء هذه القلاع والحسون لخبرتهم في هذا المجال مثال ذلك ما رواه صاحب الحل الموسية من أنه حينما استقر المهدى بن تومرت وأصحابه في قلعة تينمل بقلب جبال أطلس ، كان يوجد بمدينة مراكش رجل من أصل أندلسي يعرف بالفالك أو الفلكي الأندلسي ، وكان فاتحًا شهـماً قاطع سبيل ، فعـا عنه سلطان المرابطـين على بن يوسف بن تاشفين ، وسد به ثور مراكش . فأول ما صنع له حصوناً ضبط بها أنقاب (مـالـك) جـبل درـن (أـطـلـس) الـذـي يتـوقـع بـسـبـبـها الخـوف من نـزـولـهم (أـيـ المـوـحـدـينـ أوـ المـصـامـدـةـ) إـلـىـ الـبـاسـائـطـ ، فـمـعـهـمـ منـ الـهـبـوتـ عـلـيـهـاـ (١) .

ولم تقتصر أعمال المرابطـين الدـفـاعـيـةـ عـلـىـ الـمـنـاطـقـ الـجـبـلـيـةـ ، بل شـلـعتـ أـيـضـاـ الـمـنـاطـقـ السـاحـلـيـةـ ، وـيـكـفـىـ أـنـ نـشـيرـ إـلـىـ سـلـسلـةـ الـرـيـاطـاتـ وـالـمـارـسـ وـالـقـلـاعـ الـتـىـ اـنـشـرـتـ فـىـ أـيـامـهـمـ عـلـىـ طـولـ السـواـحلـ الـمـغـرـبـيـةـ . ولـعلـ منـ أـهـمـهـاـ ذـلـكـ الـمـحـرـسـ أـوـ الطـالـعـ (٢)ـ الـعـظـيمـ الـذـيـ بـنـوـهـ فـىـ مـدـيـنـةـ سـبـتـةـ ليـشـرـفـ عـلـىـ كـلـ حـرـكـةـ فـىـ مـضـيقـ جـبـلـ طـارـقـ ، وـقـدـ شـرـحـ أـهـمـيـتـهـ مـحـمـدـ بـنـ الـقـاسـمـ الـأـنـصـارـيـ السـبـتـيـ (قـ ١٥٩ـ هـ / مـ ١٥٠ـ مـ) بـقـوـلـهـ :

«وـمـنـهـاـ الطـالـعـ الـكـبـيرـ الـفـذـ النـظـيرـ ، طـالـعـ سـبـتـةـ الـذـيـ بـأـعـلـىـ جـبـلـ مـيـنـائـهـ الـمـعـرـوفـ عـنـدـنـاـ بـالـنـاظـورـ . اـبـتـاهـ الـمـرـابـطـونـ هـنـالـكـ لـلـنـاظـرـ الـرـاتـبـ ، بـهـ حـصـنـاـ وـبـهـ قـلـهـةـ كـبـيرـةـ (٣)ـ ، وـيـدـخـلـ الـقـلـهـةـ مـسـجـدـ ، وـكـانـ ذـلـكـ عـلـىـ يـدـ الـقـاضـىـ أـبـىـ السـبـتـيـ (قـ ١٥٩ـ هـ / مـ ١٥٠ـ مـ) بـقـوـلـهـ :

(١) الحل الموسية ص ٩٣ ويفهم من كلام ابن القطان (نظم الحسان ص ٨٥) أن هذا الفلكي اعتنق بعد ذلك مبادئ التوحيد وانضم إلى الموحدين في عهد الخليفة عبد المؤمن بن علي .

(٢) سبقت الإشارة إلى أن الطالع والطلائع بمعنى الحراس الأمامية قد انتقلت إلى الأسبانية باسم Atalayas .

(٣) يروى دوزي نقلاً عن سيمونيت الأسباني أن قلعة من أصل بشكسي وتتكون من كلمتين الأولى Cala بمعنى قصر والثانية Gorri بمعنى الأحمر أي القصر الأحمر . كذلك من معانيها القلعة أو برج القلعة .

(Dozy : Supplement aux Dictionnaires Arabes , II, P. 401) .

الفضل عياض^(١) . وهذا الطالع من أعجب الطلائع لكونه يكشف البرين ، ويشرف على العدوتين إلى بادس من بر الريف ، ومن مالقة شرقاً وإلى ما وراء طريف غرباً ، فلا يخفى عليه من الزقاق شيء لكونه تحت أسوار وأبواب داخل المدينة ، وفي حكم أهلها ، إذا تقع فتنة أو يحصل حصار^(٢) .

كذلك يشير صاحب الحل الموسية إلى القصبة المتبعة التي بناها أمير المسلمين تاشفين بن على في الرياط عندما احتل الموحدين مدينة سلا المجاورة^(٣) . وأغلبظن أن هذه القصبة كانت مكان قصبة الوداية الحالية في العاصمة المغربية .

هذا ، ولم تقتصر أعمال المرابطين الدفاعية على المغرب فحسب ، بل شملت أيضاً بلاد الأندلس ، باعتبارها جزءاً من دولتهم . يروى ابن عذاري أن الفقيه أبي الواليد بن رشد قاضي قرطبة وجّد الفيلسوف ابن رشد المعروف ، سافر إلى العاصمة مراكش وتحدث مع السلطان على بن يوسف بن تاشفين حول تجديد وترميم الحصون والأسوار المحبيطة بالمدن الأندلسية الكبرى لمقاومة الغزو الأسپاني^(٤) ، وأن السلطان اهتم بهذه المسألة وأمر عماله في الأندلس باصلاح الحصون والأسوار التي حول المدن الرئيسية . كما فرض ضريبة جديدة على أهل الأندلس سنة ٥١٩ هـ / ١١٢٥ م تحت اسم « التعبيب » ، وكان الغرض منها تعبيب المدن أي بناء أسوارها وترميم حصونها ، ويقوم

(١) هو القاضي المعروف في عصر المرابطين عياض بن موسى اليحصبي السبتي (توفي سنة ٥٤٤ هـ) صاحب المؤلفات الجليلة في الدين واللغة وال نحو والأنساب ومن أهمها الشفاء ، ومشارق الأنوار ، والدارك وغيرها وقد كتب المقرئ له كتاباً بعنوان ، أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض .

(٢) محمد بن القاسم الأنصارى السبتي : اختصار الأخبار عما كان ينشر سبته من سلي الآثار (نشر ليفي بروفسال ، مجلة هسبريس سنة ١٩٣١ ج ١٢ ص ١٥٠) .

(٣) الحل الموسية ص ١١٢ .

(٤) في خلال هذه الفترة كان ملك أراجون الفونسو الأول المحارب قد قام بحملة على الأراضي الشرقية الأندلسية سنة ١١٢٥ دامت أكثر من سنة ولم تجد مقاومة جدية . ولعل هذه الزيارة جاءت بسبب ذلك :

بسادها أهل هذه المدن المنتفعه بها^(١) . ويبدو أن هذه الضريبة أو أتاوة الدار ، ظل معمولاً بها حتى أواخر الحكم الاسلامي في الأندلس ، وهي وإن كانت خارجة عن الضرائب الشرعية ، إلا أن فقهاء الأندلس أجازوها لأن المصلحة تقضى بذلك ، بدليل قولهم :

وكان خراج السور في بعض مواضع الأندلس في ذلك الوقت على أهل الموضع ، وقد أجاز ذلك الفقيه أبو اسحاق الشاطبى^(٢) معتمداً على قيام المصلحة التي إن لم يقم بها الناس فيعطون ، صناعت عليهم^(٣) .

ولقد حاول المرابطون منذ دخولهم الأندلس استرجاع قواعد الثغر الأدنى وعلى رأسها مدينة طليطلة التي احتلها الأسبان سنة ٤٧٨هـ / ١٠٨٥م ، ونجحوا في عهد السلطان على بن يوسف بن تاشفين استرداد قلعة افليس Ucles في شرق طليطلة سنة ٥٠١هـ / ١١٠٨م بعد معركة ضارية قتل فيها دون سانشو (شانجة) الابن الوحيد للملك الفونسو السادس ومعه كبار قواده السبعة . ثم نجح المرابطون في العام التالي سنة ٥٠٢هـ / ١١٠٩م في الاستيلاء على قلعة طلبرة Talavera في غرب طليطلة بقيادة السلطان على بن يوسف نفسه ، محاولين بذلك تطويق العاصمة طليطلة والاستيلاء عليها . وعلى الرغم من الحملات الشديدة التي شنها المرابطون على طليطلة وأحوازها ، إلا أنهم لم يتمكنا من استردادها لارتفاع موقعها وحصانة أسوارها والتفاف نهر التاجو

(١) أريثي ميراندا : على بن يوسف وأعماله في الأندلس ، مجلة طوان سنة ١٩٥٨ من ١٧٣ وما بعدها .

(٢) هو أبو اسحاق ابراهيم الشاطبى ويقال له أيضاً الغرناطى وكان عالماً بالزصول والفقه والتفسير واللغة وتوفي في غرناطة سنة ٧٩٠هـ / ١٣٨٨م (ابن القاضى : درة الحجال في غرة أسماء الرجال ج ١ ص ٩٧ رقم ٢٣٦) .

(٣) تحدث الحميري (الروض المعطار نشر وترجمة ايفي بروفسار) أثناء وصفه لمدينة المرية عن ضريبة التعليب التي كانت تجيء منها ومقدارها . وقد ورد ذلك في الترجمة الفرنسية ص ٢٢٣ بينما لا نجد له ذكرًا في الأصل العربي ص ١٨٤ !! راجع كذلك (أحمد بابا التمبكتى : نيل الابتهاج من ٤٩ ، ٥٠-٥١)

(López Ortiz : Fatwas & Granandinas de los siglos XIV, XV, Al Andalus, Vol. VI fasc. I, 1941)

حولها واستمانته أهلها في الدفاع عنها . واضطرب المرابطون إلى الانسحاب عنها ، ولكنهم تركوا حولها حصوناً متعددة ظلت شوكة في جنوبها مثل حصن قاصرش Caceres وحصن ترجاله Turjillo اللذين وصفهما الجغرافي المعاصر الشريف الادريسي (ت سنة ١١٥٤ هـ / ٥٤٨ م) بقوله :

، ومدينة قاصرش حصن منيع ومحرس رفيع ، فيه خيل ورجال يغافرون في بلاد الروم وترجاله كبيرة كالحصن المنيع وأسوار عالية وخيل ورجال يقطعون أعمارهم في الغارات على بلاد الروم ، (١) .

أما منطقة الثغر الأعلى سرقسطة Zaragoza في شمال شرق إسبانيا ، فقد حرص المرابطون على تركها مستقلة في يد ملوكها بني هود الجذاميين الأندلسيين ليكونوا حائلًا بينهم وبين العدو في الشمال . ولكنهم أيضًا أخبروا بأحوال هذه المنطقة ، وأدرى ببقاء العدو وشن الغارات ، فضلًا عن مناعة وقوة حصونها مثل حصن رودة Rueda الذي وصفه ابن الكرديبوس بأنه معقل على مقربة من سرقسطة مساو لأعنان السماء ، وفي غاية المنعة والارتفاع ، كان المستعين بن هود قد أعده وبناه ، وبالأقوات والسلاح قد شحده ، وحفر فيه إلى الوادي سرباً أتقنه ، أدراجه تنبع على الأربع مائة درج ، مما يقطع له شرب ولا منهج . (٢) .

ولهذا حرص المرابطون على مساعدة بني هود والإحسان إليهم . فكانوا متى وصلتهم خيل من العدوة المغربية ، بعثوا بها إلى أهل هذه الثغر . وكانت وصية يوسف بن تاشفين لابنه ولوي عهده أبي الحسن على يوسف ، أن يهادن بني هود ، وأن يتركهم حائلًا بينهم وبين الروم . (٣) .

غير أن هذه السياسة لم تثبت أن تغيرت وعلى يد السلطان أبي الحسن على بن يوسف نفسه الذي اضطر إلى احتلال سرقسطة سنة ١١٠٣ هـ / ٥٠٣ م

(١) الإدريسي : نزهة المشتاق ، نشر دى خويه من ١٨٧ (لyon سنة ١٨٦٦) .

(٢) ابن الكرديبوس : كتاب الاكتفاء في أخبار الخلفاء من ١١٩-١٢٠ ، نشر أحمد مختار العبادى (مدريد ١٩٧١) .

(٣) الحال الموشية : ص ٦٧ .

بعد مصرع أميرها المستعين بن هود في معركة بلتيرة Valtierra أمام الفونسو الأول الملقب بالمحارب El Batallador ملك أراجون ، وفارار ولده عبد الملك عماد الدولة إلى حصن روطة المنبع بعد ثورة الأهالي ضنه واستنجادهم بالمرابطين .

كان احتلال المرابطين لسرفسطة ، بداية لمعاقبهم في هذه الجبهة الشمالية الشرقية ، إذ كان عليهم أن يحاربوا ضد ملك قطالونيا ، إلى جانب عدد كبير من المتطوعين الفرنسيين والإنجليز وسكان الجبال المعروفين باسم أئم المغاربة Almogavares على أعدائهم واكتسبوا شعبية كبيرة في إسبانيا وأوروبا فاقوا فيها شهرة فرق الفرسان ولم يلبث اسم Almogavares أن صار اسمًا علمًا لهم أي المغاربون .
ولقد انتهى الأمر بسقوط سرفسطة وانهيار مملكة الثغر الأولى سنة ١١١٨هـ/٥١٢م . وكان لهذه الكارثة أثر كبير في نهاية دولة المرابطين وسقوطها عقب ذلك بوقت قصير .

سادساً : أسلحة المرابطين وطريقة قتالهم :

أشاد المؤرخون بشجاعة الملثمين في القتال ، وبقوّة ضربات سيفهم عند الالتحام فقال ابن خلkan : وكان قد ظهر لأبطال الملثمين في المعارك ضربات بالسيوف تقد الفارس ، وطعنات تنظم^(١) الكلى ، فكان لهم بذلك ناموس ورعب في قلوب المتدبين لقتالهم^(٢) . ويصف المؤرخ المعاصر أبو عبيد البكري طريقة قتالهم في الصحراء بقوله : « ولهم في قتالهم شدة وبأس وجذ ليس لغيرهم ، وهم يختارون الموت على الانهزام ، ولا يحفظ لهم فرار من زحف ، وهم يقاتلون على الخيول والذبابة^(٣) ، وأكثر قتالهم رجاله

(١) انظم الصيد : طعنه أو رماه حتى ينفذه .

(٢) ابن خلكان (ت سنة ١٢٨٢هـ/٥٦٨١م) : وفيات الأعيان ج ٧ من ١١٣ ترجمة رقم ٨٤٤ .

(٣) وردت في الحل الموشية ص ١١ : وكان قتالهم على الذبابة أكثر من الخيول .

صفوفاً^(١)، يكون بأيدي الصف الأولى القنا الطوال للمداعسة والطuan ، وما يليه من الصفوف بأيديهم المزاريق ، يحمل الرجل الواحد عدة يزرقها فلا يكاد ، يخطئ ولا يشوى^(٢) . ولهم رجل قد قدموه أمام الصفوف ب بهذه الرأية ، فهم يقفون ما وقفت متنصبة ، وإن أمالها إلى الأرض جلسوا جميعاً ، فكانوا في ذلك أثبت من الهضاب ، ومن فرّ أمامهم لم يتبعوه^(٣) .

ولا شك أن هذه الطريقة الصحراوية التي وصفها البكري في بداية عهدهم^(٤) ، لم تثبت أن تعذلت وتطورت بعد عبور المرابطين إلى الأندلس والتحامهم مع الأسبان ، فلجأوا إلى تغييرها عندما دعت الحاجة إلى ذلك . ومن أمثلة ذلك ما حدث في موقعة الزلاقة عندما وجد يوسف بن تاشفين أن خيول العدو المدرعة لا يؤثر فيها السلاح ، أمر العبيد فترجلوا عن الخيل في نحو ألف ودخلوا المعترك بالمزاريق كي يتمكنوا من طعن الخيل في الأماكن الغير مدرعة من أجسامها ، وبذلك أثربت فيها بالطعن ، فجعلت ترمح بفرسانها^(٥) .

وهذا موقف مشابه تعرض له السلطان على بن يوسف بن تاشفين حينما حاصره الموحدون بمدينة مراكش ، وكان في صيافته فارس مشهور من أصحابه الأندلسيين وهو القائد أبو محمد إبراهيم بن همشك ومعه مائة فارس من أصحابه الأندلسيين . فعم الخوف والهرج في أنحاء المدينة ، وقتل من الازدحام على الأبواب خلق كثير ، واستمر الحصار أربعين يوماً . فسأل ابن همشك السلطان عن جدواي المقام تحت هذا الحصار ؟ فضحك أمير

(١) في الحل الموشية ص ١١ : وكان معظم قتالهم مرتجلين يقفون على أقدامهم صفاً بعد صف .

(٢) أشوى السهم : أخطأ الفرض .

(٣) البكري : كتاب المغرب في ذكر بلاد افريقيا والمغرب من ١٦٦ نشر دى بلان (الجزائر ١٩١١) .

(٤) يلاحظ أن البكري أنهى كتابه المذكور آنفًا في سنة ٤٦٠ هـ أي وقت قيام دولة المرابطين في المغرب ، وقبل عبورها إلى أسبانيا ب نحو ١٩ سنة . فهذا الوصف الذي أورده ينطبق على طريقتهم في القتال في ذلك الوقت البكر .

(٥) ابن الخطيب : أعمال الأعلام - القسم الثالث أخاوس بتاريخ المغرب - ص ٢٤٣ نشر أحمد مختار العبادي ومحمد إبراهيم الكتابي (الدار البيضاء ١٨٦٤) .

ال المسلمين من قوله وقال : أبو محمد يحسب أن قتال المصادمة مثل قتال الروم !
 فقال له : يا أمير المسلمين ، قد كان عندي ببلاد الأندلس جماعة منهم ، نعلم
 خفتهم وشجاعتهم وتسارعهم للقتال ، ولكن المقام هكذا ليس بصواب ،
 فالفرسان والرماة عندكم كثيرون ، والكل غير نافع ، إذ ينظر بعضهم بعضًا ،
 وإنما يصنع ذلك مع القلة ، أما مع الكثرة فلا . ثم طلب من السلطان أن يأذن
 له في الخروج إليهم ، فأذن له ، فخرج ابن همشك بن من تجمع له من أصحابه
 الأندلسيين لقتال الموحدين ، فتعرف على أحواهم وكيفية قاتلهم ، فرأى لهم
 عوالي كثيرة الطول (أى رماحًا طويلة) ، عند ذلك أشار على أصحابه
 (المرابطين) أن يقتصروا رماحهم وأن يردوها من ستة أذرع (أى يجعلوها أقل
 من ستة أذرع لمساعدتهم على الإلتحام) . وخرج المرباطون بقيادة الشيخ أبي
 محمد بن وانودين وانتصروا على الموحدين انتصاراً ساحقاً وقتلوا قائدهم الشيخ
 أبي محمد البشير وذلك في موقعة البحيرة بأحواز مراكش سنة
 ١١٢٥هـ / ١٩٥١م^(١) . هذه الرواية السابقة تبين كيف اضطرب المرباطون إلى
 إجراء تعديل فني في بعض أسلحتهم القتالية التي اعتادوا عليها إذا دعت
 الحاجة إلى ذلك .

كذلك استخدم المرباطون في معاركهم طريقة التعبئة الخماسية المعروفة
 وهي :

المقدمة والقلب والجناحان ثم المسافة في مؤخرة الجيش . ونجد ذلك
 بوضوح في الوصف الذي أورده كل من ابن الخطيب وصاحب الحال الموشية
 لطريقة القتال التي اتبعها الأمير تاشفين بن على بن يوسف بن تاشفين في
 المعركة التي خاضها بقرب موضع الزلاقة في غرب الأندلس سنة
 ١١٣٣هـ / ١٩٢٧م يقول :

، فكان في القلب مع الأمير تاشفين وجوه المرباطين ، وأصحاب الطاعات
 والبنود البيض الباسقات ، مكتبة بالأيات . وفي الجانبين الكفاه والحماه من
 أبطال الأندلسيين ، ودمار المجاهدين ، عليهم حمر الرايات بالصور الهائلات .

(١) الحال الموشية من ٩٤-٩٥.

وفي الجنادين أهل الثغر وذوو الجلادة والصبر ، وفي المقدمة مشاهير زناته ولنيف الحشم بالزرايات المصبغة والأعلام المليفة ، فهزم الروم واستنقذ الأسرى^(١) .

ويلاحظ من الوصف السابق وغيره من النصوص أن المراقبين قد غالوا في كثرة استخدام الرأيات والبنود والأعلام المختلفة الألوان لإرهاب العدو ويثر الرعب في نفسه ، بدليل أن إمام الموحدين ابن تومرت كان كلما رآها حاول أن يستهين من شأنها ويقلل من تأثيرها ، فيسميها بالخرق ، ويصبح في أصحابه : لا تهولنكم هذه الخرق ! ، (٢).

أما عن أسلحة المراطيين ، فكانت في البداية أسلحة خفيفة تناسب طبيعتهم الصحراوية البدوية مثل الرماح والمزاريق والسيوف ونوع من الخناجر المقوسة أو المعقوفة يطلقون عليها اسم الأطاس أو الطاس . ويبدو أن هذا السلاح الأخير لم يكن معروفاً لدى الأسبان بدليل أن الملك الفونسو السادس قد ظنه منجلاً حينما طعنه به في فخذه أحد عبد يوسف بن تاشفين في موقعة الزلاقة إذ صاح قائلاً :

^(۲) ضریبی غلام اسود بمنجل آراق دمی،

كذلك استخدم المرابطون الدرق اللامطية الخفيفة الاستعمال فى تلقي ضربات العدو وسهامه . واللمط حيوان من فصيلة الظباء يعيش فى صحارى بلادهم بافريقيا . وقد ورد ما يقىد أن لمطة اسم مكان وقبيلة من قبائل صنهاجة عند السوس الأقصى قرب ساحل المحيط الأطلسى وقاعدتها نول لمطة (حالياً وادى نون) قال ابن حوقل : وهى معدن الدرق اللامطية ، ولا يوجد مثلها فى الدنيا ، (٤) .

(١) ابن الخطيب : أعمال الأعلام - القسم الثالث الخاص بالمغرب - ص ٢٥٨ ; الحال المنشية ص ١٠١ .

^{٢)} ابن القطان : نظم الجمان ص ١٢٨ .

(٣) الحال الموسية من ٤٨ طبعة علوش وكذلك المخطوطة الأصلية رقم ٢٣٠٠ ورقة ٢١ (خزانة الرباط).

(٤) ابن خلkan : وفيات الأعيان ج ٦ ص ١١٤ ترجمة يوسف بن تاشفين رقم ٨١٥

ولا شك أن هذا النوع من الطرق قد عرفه الأندلسية من قبل ، واستخدمه الأمويون في جيوشهم كما أسلفنا ، ولكن عن طريق استيراده من المغرب ، يؤيد ذلك ما روى من أن يوسف بن تاشفين حينما رد على خطاب المعتمد بن عباد بقوله نجده ، أرفق بخطابه درعاً لمطية مما لا يكون إلا في بلاده (١) .

على أن المرابطين لم يكتفوا بهذه الأسلحة اليدوية الخفيفة ، بل عملوا على تطويرها ، واستخدام كل ما هو معروف وشائع من أسلحة هذا العصر ، فيروى صاحب الحل الموسوية أنه لما عزم يوسف بن تاشفين العبور إلى الأندلس ، أرسل وفداً إليها برسم شراء العدد وألات الحروب ، فاشترى له منها الكثير ، وعرف ذلك العام بعام افتتاح العدد واتخاذ السلاح واختبار الرجال (٢) . وقد عرف عن الأندلسية أنهم كانوا يتلقون صنع الأسلحة ولهم مصانع لهذا الغرض في أشبيلية والمرية حيث يتوفر معدن الحديد .

كذلك كانوا يستوردون السلاح الجيد من أوروبا ولا سيما من فرنسا حيث اشتهرت مدينة بردا أو برديل (بالإمالة) (وهي بوردو الحالية عند مصب الجارون) بجودة سيفاتها البردليات . وقد أشار المؤرخ الغرناطي ابن سعيد المغربي إلى شهرة هذه الأسلحة الفرنسية وإقبال الأندلسية على شرائها (٣) .

ومن الأسلحة الهامة التي اعتمد عليها المرابطون في قتالهم الإبل والخيول .
| وقد سبقت الإشارة إلى أن المرابطين في بداية عهدهم بالصحراء كان قتالهم على الحجب أو الإبل أكثر من الخيول . صرخ بذلك صاحب الحل الموسوية وأيداه في ذلك صاحب كتاب مشاهير أعيان فاس (٤) ، عند وصفه لهجوم المرابطين

- البيدق : كتاب أخبار المهدى بن تومرت من ١٤٠ نشر عبد العميد حاجيات ؛ وتروي الأساطير اليهودية أن النبي يونان (يونس) خرج من بطن الحوت وأجأ إلى مكان قريب من نزل موطنه .

(١) ابن خلكان : نفس المصدر ج ٦ من ١١٣ ترجمة رقم ٨١٥ .

(٢) الحل الموسوية من ٢٤ ، ابن الخطيب : الإحاطة لوحه ٣٩٣ (نسخة الاسكوريا) .

(٣) المقرى : فتح الطيب ج ١ من ١٨٨ .

(٤) كتاب مشاهير أعيان فاس في التقديم لمؤلف مجهول ، نشر عبد القادر زمامنة (مجلة -

على قبائل برغواطة في جنوب غرب المغرب بقوله : إن المرابطين رابطاً على الجبال التي تليهم في شمال الصحراء في ثلاثة ألف جمل بخت^(١) ، وقليل من الخيول ، وانهم دعوا البرغواطيين إلى دين الإسلام أو أداء الجزية ، فرفضوا ... فقاتلتهم وانهزم أهل بلاد السوس أتباع صالح بن طريف ، وسمى عبد الله بن ياسين أتباعه بالمرابطين من صبرهم ورياطهم عليهم . وفي موضع آخر يقول : إن يوسف بن تاشفين كان له من الجيوش مائة ألف نجيب^(٢) . وحينما دخل الموحدون مدينة مراكش عاصمة المرابطين ، غنموا من الجمال عدداً كثيراً قيل ثمانين ألفاً^(٣) .

واضح من النصوص السابقة أن استخدام المرابطين لسلاح الأبالة (أي الإبل) كان في معارك المغرب والصحراء . وهذا شيء طبيعي ومعقول ومقبول في نفس الوقت .

أما من جهة المعارك التي خاضها المرابطون في إسبانيا ، فالوضع فيها يختلف لأن طبيعة أراضيها وطرق القتال فيها تحتم عليها استخدام الخيول بدلاً من الجمال ، ونجد ذلك واضحاً في المصادر العربية والإسبانية التي تناولت وصف هذه المعارك ابتداء من الزلافة فكلها تجمع على استخدامهم للخيول مثل قولهم : وركب يوسف بن تاشفين وأحدق به جياد خيله ورجله^(٤) ... فترجل العبيد عن الخيول^(٥) ... وأحدقت بهم الخيول . وقولهم : « ولما انقض الجيش عن الأمير تاشفين ، قدم له سائسه فرسه لينجو عليه ، فانتهره وقال لا أسلم وأسلم الأمة »^(٦) .

- البحث العلمي العدد الثالث - سبتمبر - ديسمبر ١٩٦٤) .

(١) البخت كلمة فارسية عربتها الحظ والمعنى هنا الجمال المحظوظة .

(٢) الجبيب من الرجال الكريم ذو الحسب وكذلك تطلق الجبيب على البعير والفرس إذا كانوا كريمين عتيقين والجمع نجباً ونجباء . ونجائب الإبل عناقها التي يسابق عليها (لسان العرب لابن منظور) .

(٣) ابن عذاري : البيان المغرب ، القسم الثالث ، ص ٢٢ .

(٤) المقرى : نفح الطيب ج ٦ ص ١٠١ .

(٥) ابن الخطيب : أعمال الأعلام ص ٢٤٣ .

(٦) ابن الخطيب : أعمال الأعلام ص ٢٥٩ (القسم الثالث الخاص بالمغرب) .

على أن هذا لا يمنع القول من أن المرابطين استخدمو الإبل كقوة عسكرية في ميادين القتال لأغراض متعددة مثل إحاطة معسكراتهم بها كى تنفر خيل العدو من صوت رغائهما ، وتجمع من رؤيتها . ومثل استخدامها فى حمل الأثقال والأمتعة والمعدات الحربية ، بالإضافة إلى شيء هام آخر وهو شرب لبنها الذى يعتبر الغذاء الرئيسي لأهل منهاجمة جمیعاً . ولا صحة لقول ابن خلکان من أن عبور الجمال إلى الأندلس كان لأول مرة في عهد يوسف بن تاشفين^(۱) . وقد سبق أن بينا في الفصل السابق أن الأندلسيين عرفوا الجمال منذ وقت مبكر، واهتماموا بتربيتها في مراعي خاصة بشرق الأندلس ، واستخدموها في نقل أثقالهم وأمتعتهم في السلم وال الحرب .

ومن آلات العرب التي استخدموها المرابطون وغالوا في استعمالها ، آلات الطبول التي أكثروا من قرعها في معاركهم لإرهاب العدو وإثارة خيوله ، وكذلك عند البشرى بخبر هام . وقد سبقت الإشارة إلى أن الأندلسيين في العصر الأموي ، استخدمو الطبول والأبواق في مواطن الحروب ، ولكن يبدو أن المرابطين قد بالغوا في استخدامها بشكل أقوى من ذي قبل ، متأثرين في ذلك بزنجافيريا بحكم الجوار والنشأة ، وقد يؤيد هذه العلاقة أن الطلب الكبير ما زال يعرف في المغرب باسم طبل جنادة أي الطلب المنسوب إلى غينيا Guinée (جنوب السنغال) يقول العمري : « وكانت تحد أفريقية جنوباً الصحراء بينها وبين بلاد جنادة المسكونة بأمم من السودان »^(۲) .

وقد عبرت المصادر الأندلسية والمغربية عن هذه الظاهرة عند وصفها لقاء المرابطين والأسبان في موقعة الزلاقة (۱۰۸۶ھ / ۱۷۷۹م) ، فالمقرى يصف جيش المرابطين بقوله :

« وركب أمير المسلمين يوسف بن تاشفين ، وأحدق به جياد خيله ورجله »

(۱) ابن خلکان : وفيات الأعيان ج ۶ من ۱۱۵ رقم ۸۱۵ وقد نقل المقرى هذه الرواية (نفح الطيب ج ۶ من ۹۴) .

(۲) ابن فضل الله العمري (ت سنة ۱۷۴۸ھ) : مسالك الأنصار في معالك الأمصار ، الجزء الخاص بوصف أفريقية والأندلس ص ۲ نشر حسن حسلي عبد الوهاب بتونس .

من صنهاجة ورؤسae القبائل ، وقصدوا محلة الأنفونش فاقتهموها ، وضررت
الطبول وزعقت الأبواق ، فاهتزت الأرض وتجاوخت الجبال والآفاق ، ودخلوا
المعترك بدرق اللمط ، وسيوف الهند ، ومزاريق الزان ، (١). بينما يصف ابن
الكردبوس جيوش الأسبانية بقوله :

، كأنها الليل الدامس ، والبحر الطامس ، قد لبسوا الدروع الصافية ،
وتقلدوا السيوف الماضية ، تقفسوا بالحديد بباس شديد ، طبولهم القرون ،
وألويتهم السحاب الجن ، (٢).

وفي خطاب ليوسف بن تاشفين يصف المعركة بقوله : ، وأطلتهم سحائب
الرماح ، وزلزلت حوافر خيولهم رعد الطبول بذلك الفياح ، (٣). وقولهم
أيضاً : واجتمع النصارى للقتال على نفح القرون والمزمار ، واجتمع المسلمين
على قرع الطبول ، (٤). وقولهم : ، واقتحم أمير المسلمين محلات العدو وقد
قرعت الأسماع طبلوه ، (٥).

أما عن تعداد جيوش المسلمين والمبغيين ، فقد بالغت المصادر المسيحية
في تعداد الجيوش الإسلامية ، كما بالغت الرواية العربية في تقدير عدد الجيوش
المسيحية . وحسبنا أن نكتفى برواية صاحب الحال الموشية المعتدلة التي تقدر
عدد جيوش المسلمين في الزلاقة بنحو خمسين ألف فارس ، أربعة وعشرون
ألف فارس من الأندلسيين ومثلها أو أكثر من المرابطين وأهل العدوة

(١) المقري : نفح الطيب ج ٦ من ١٠١ .

(٢) أبو مروان بن الكردبوس : كتاب الاكتفاء في أخبار الخلفاء من ٩٢ نشر أحمد مختار
العيادي (مدريد ١٩٧١) والجن (الجمع بضم الجيم والمفرد بفتحها) لها معانٍ كثيرة
منها ضرب من القطاوسد البطن والأجلحة ولعل المراد هنا بالسحاب الجن هو الكثيف
القائم اللون كناثة عن سود الألوية أو كثرتها .

(٣) ابن أبي زرع : روض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس من
١٥٠ .

(٤) أشباح : تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين من ١٠٣ ترجمة عبد الله عنان .

(٥) ابن الخطيب : أعمال الأعلام - القسم الثالث - من ٢٤٣ .

المغربية^(١) . ويقدر ابن الأثير تعداد جنود الأسنان في هذه المعركة بخمسين ألف فارس أيضاً^(٢) . فهناك إذن نوع من توازن القوى في حشود الجانبين .

سابعاً : العيون والجوايس وخدع الحرب :

جرت العادة أن يصاحب الجيش ، العيون ، والأدلة ، إلى جانب الفقهاء والوعاظ والشعراء والخطباء وكل ما يساعد على سلامة الجيش وقوية روحه المعنوية وتحقيق النصر .

ومن أمثلة أخبار التجسس في هذا الصدد ما يرويه المقري من أنه قبيل وقعة الزلاقة استطاع جواسيس المعتمد بن عباد أن يصلوا إلى داخل محلة الملك الأسپانى الفونسو السادس وأن يسمعوا ما دار بينه وبين أصحابه من حديث ، يقول : ثم جاءت الجوايس من داخل محلتهم تقول : استرقدنا السمع فسمعنا الأذفونش يقول لأصحابه : ابن عباد مسرع هذه الحروب ، وهؤلاء الصحراويون وإن كانوا أهل حفاظ وذوى بصائر في الحروب ، فهم غير عارفين بهذه البلاد ، وإنما قادهم ابن عباد ، فاقصدوه واهجموا عليه واصبروا ، فإن اكتشف لكم ، هان عليكم الصحراويون بعده ، ولا أرى ابن عباد يصبر لكم إن صدقتموه الحملة . عند ذلك بعث ابن عباد كاتبه أبا بكر بن القصيرة إلى محلة السلطان يوسف بن تاشفين يعرفه بجلية الأمر^(٣) .

ويضيف المقري في هذا الصدد أيضاً ، أن المعتمد بن عباد أذكى عيونه في محلات الصحراويين خوفاً عليهم من مكابد الأذفونش ، إذ هم غرباء لا علم لهم بالبلاد ، وجعل يتولى ذلك بنفسه حتى قيل إن الرجل من الصحراويين لا يخرج على طرف المحلة لقضاء حاجة أو أمر إلا ويجد ابن عباد بنفسه مطيناً بالحلة بعد ترتيب الخيل والرجال على أبواب المحلات^(٤) .

(١) الحل الموشية ص ٤٤ .

(٢) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ج ١٠ ص ١٥٣ (طبعة صادر) .

(٣) المقري : فتح الطلب ج ٦ ص ٩٨-٩٩ نشر محي الدين عبد العميد .

(٤) نفس المصدر السابق ص ٩٧ .

كذلك يروى عبد الواحد المراكشي أن المرابطين قبيل عبورهم إلى الأندلس ، أرسلوا مجموعة من عملائهم في شكل زهاد وعباد ومجاهدين ، وهم في الحقيقة عيون ودعاة وجواسيس يعملون لحسابهم لتهيئة الجولهم وتمهيد الطريق أمامهم أي ما يسمى بالطابور الخامس في عصرنا الحديث . يقول المراكشي :

، فانفق رأي يوسف بن تاشفين ورأي أصحابه أن يراسلوا المعتمد بن عباد يستأذنوه في رجال من صلحاء أصحابهم رغبوا في الرياط بالأندلس ومجاهدة العدو والكون (أي الإقامة) ببعض الحصون المصادقة للروم إلى أن يموتوا . ففعلوا وكتبوا إلى المعتمد بذلك ، فأذن لهم بعد أن وافقه على ذلك المتوكل بن الأفطس صاحب الثغر (بطليوس) ، وإنما أراد يوسف وأصحابه بذلك أن يكون قوم من شيعتهم مبثوثين بالجزيرة فإذا كان أمر من قيام بدعوتهم أو إظهار مملكتهم وجدوا في كل بلد لهم أعواناً ، (١) .

ثم يضيف المراكشي بعد ذلك أحداثاً لاحقة لتأييد هذا الكلام بقوله:

، وجهز يوسف بن تاشفين من خيار أصحابه رجالاً انتخبهم ، وأمر عليهم رجالاً من قرابته يسمى بلجيين (٢) ، وأسر إليه ما أراده . فجاز بلجيين وقصد المعتمد وقال له أين تأمرني بالكون ؟ (أي لإقامة) ، فوجه معه المعتمد من أصحابه من ينزله ببعض الحصون التي اختارها لهم ورحب القوم الذين قدمنا ذكرهم الكائنين في الحصون إلى قربة ، فحاصروها وفيها عباد بن المعتمد الملقب بالمؤمن (٣) وهو من أكبر ولاده ، فدخلوا البلد وقتلوا . وأعلم المعتمد بما اعتقده الطائفة المذكورة ، وكشف له عن مرادها ، وأثبت عنده سوء اعتقادها (٤) . بل وتذهب الرواية إلى أن هؤلاء الجواسيس حاول بعضهم اقتحام

(١) عبد الواحد المراكشي : المعجب في تلخيص أخبار المغرب من ١٣٨ - ١٣٩ نشر سعيد العريان .

(٢) بلجيين هو الصيغة العامية لاسم بلقين أو بلجين .

(٣) من المعروف أن زوجة المؤمن المعروفة باسم زايدة المسلمة فرت إلى قشالة بعد مقتل زوجها حيث تزوجها الملك الفونسو السادس وأنجب منها ولد الوحيد سانشو الذي سيقتل في موقعة أقليس على يد المرابطين .

(٤) عبد الواحد المراكشي : المعجب في تلخيص أخبار المغرب من ١٣٩ وما بعدها .

قصر المعتمد بن عباد في اشبيلية ، وكان في الحمام حين بلغه النباء ، فخرج للغاره في قميصه لا درفة له ولا درع عليه وسيفه بيده ، فلقي على باب من أبواب المدينة يسمى بباب الفرج فارساً من الداخلين شاكى السلاح ، فرمي الفارس برمي قصير القناة طويلاً شفرة السنان ، فالتوى الرمح بغلالته وخرج تحت إبطه ، وعصمه الله منها ، وصبّ هو سيفه على عاتق الفارس فشقه إلى أصلاعه فخرّ صريراً وانهزمت تلك الجموع ^(١) .

وما يُقال عن المسلمين يُقال عن المسيحيين ، فالحرب خُدعة كما قال الرسول ^(عليه السلام) إذا يرى ابن القطن أنه لما اقتحم أمير المسلمين على بن يوسف بن تاشفين مدينة طليبرة ، لجأ بعض النصارى إلى قصبتها وتحصنوا فيها إلى أن جنَّ عليهم الليل فتلثموا على هيئة المرابطين وخرجوا على خيولهم فارين على وجوههم ^(٢) .

ونفس هذا الشبيه أيضاً فعله الأمير المرابطي سير بن أبي بكر حينما جنَّ أجناداً على هيئة الفرنج وزفهم لكي يتمكن من الاستيلاء على إحدى القلاع المنيعة التي استعصت عليه ^(٣) .

ثامناً: تقوية روح الجنود المعنوية :

تعددت الوسائل التي تهدف إلى تقوية روح الجنود المعنوية ، وأولها الوعظ والإرشاد ، يقول المقرى أنه قبيل وقعة الزلاقة ، قامت الأساقفة والرهبان ورفعوا صلبانهم ، ونشروا أناجيلهم ، وتباهوا على الموت ، بينما قام كل من يوسف بن تاشفين والمعتمد بن عباد يعظ أصحابه ، كما قام الوعاظ والصالحون مقام الوعظ ، وحضوهم على الصبر والثبات وحذروهم من الفشل والفرار ^(٤) . وفي أثناء المعركة كان أمير المسلمين يوسف بن تاشفين على فرس أثني عشر بين صفوف المسلمين يحرضهم ويقوى نفوسهم على الجهاد

(١) نفس المصدر السابق ص ١٤٠ ؛ ابن الخطيب : أعمال الأعلام ص ٢٨٢ .

(٢) ابن القطن :نظم الجمان ص ١٤ .

(٣) المقرى : نفح الطيب ج ٦ ص ١٠٤ - ١٠٥ .

(٤) المقرى : نفح الطيب ج ٦ ص ٩٨ .

والصبر ويقول : يا معاشر المسلمين اصبروا لجهاد أعداء الله الكافرين ، فمن رزق منكم الشهادة فله الجنة ، ومن سلم فقد فاز بالأجر العظيم والغنية (١) .

ومن أمثلة ذلك أيضًا قصة الحلم الذي رأه الفقيه النايسك أبو العباس أحمد بن رميلا القرطبي وكان في محله المعتمد بن عباد قبيل موقعة الزلاقة ، إذ رأى في اللوم في تلك الليلة النبي ﷺ يبشره بالفتح والموت على الشهادة ، فانتبه فرحاً مسروراً ، ودعا وتأهب ودهن رأسه وتطيب . ولما علم المعتمد بن عباد بهذا الخبر ، بعث به إلى يوسف بن تاشفين وأذاعه بين الجنود لتقوية روحهم المعلوقة (٢) .

وهذا المبارزات الفردية التي كانت تحدث بين أبطال الجيشين قبل الموقعة لإثارة حماس الجنود وشحذ هممهم ، وهي عادة معروفة عند العرب من قديم . وهذا تشير المصادر إلى تلك المبارزة العنيفة التي دارت قبل موقعة أقليش Uclés بين أحد أبطال المرابطين ، وأحد أبطال الأسبان ، انتصر فيها المسلم على النصراني فكان ذلك إيذاناً بانتصار المرابطين في تلك الموقعة سنة ١١٠٨/٥٥٠ م (٣) .

وأخيراً نختم هذا الفصل بقصيدة شعرية معاصرة في سياسة الحرب ، أهديت إلى الأمير تاشفين بن على بن يوسف بن تاشفين ، وهي من نظم كاتبه المؤرخ الشاعر أبي زكريا يحيى بن الصيرفي الغرناطي (٤) (ت سنة

(١) ابن أبي زرع : روض القرطاس من ١٤٨ (طبعة دار المنصور ، الرباط سنة ١٩٧١) .

(٢) المقري : نفح الطيب ج ٦ ص ٩٨ .

(٣) أورييلي ميراندا : وقعة أقليش ومصرع الأمير شانجه ، مجلة تلوان ، العدد الثاني سنة ١٩٥٧ ص ١١٥ وما بعدها .

(٤) هو أبو زكريا يحيى بن محمد بن يوسف الأنصاري الغرناطي ، يكنى بأبي بكر ويعرف بابن الصيرفي . كان كاتباً للأمير أبي محمد تاشفين بغرناطة وألف تاريخاً للمرابطين بعنوان : الأنوار الجلية في أخبار الدولة المرابطية . وهذا الكتاب في حكم المفقود الآن للأسف ، وإن كان المستشرق الأسباني بونس بويجس قد أشار إلى وجوده في تونس وإلى استفادة كل من درزي وكونديرا منه . وتوفى ابن الصيرفي في سنة ١١٧٤/٥٧٠ م .
راجع مقالنا (دراسة حول كتاب الحال المروية وأهميته في تاريخ)

(٥٧٠ م / ١١٧٤ م) الذي يلقبه ابن خلدون بشاعر لمتونة وأهل الأندلس (المقدمة ص ٢٧٥) وهذه القصيدة أنشدت عقب معركة أصابت الأمير تاشفين خلال معركة خاضها مع الأسبان ليلاً في مكان يعرف بالبكار أو فحص البكار^(١) في شمال قرطبة في جمادى الأولى سنة ٥٢٨ هـ / ١١٣٣ م) في هذه المعركة انهزمت جيوش تاشفين وانقض أتباعه من حوله لدرجة أن سائسه قدّم له فرسه ليتجو عليه ، فانتهروه وقال : لا أسلم وأسلم الأمة ! وظل قائماً بسيفه ودرقه بين يده ، فأحدق به عبيده وأفذاده من المرابطين ورجال من أهل الأندلس ، وتمكنوا من قتل أحد قادة الأسبان المهاجمين ، فكانت المحاجزة وتوقف القتال.

ولولا ثبات هذا الأمير وشجاعته لكانت الهزيمة محققة^(٢).

والقصيدة ، كما قلنا ، تتضمن ألواناً من سياسة الحرب وفنونها وحيلها . وتبداً بمدح الأمير تاشفين على ثباته ، وتهللته بسلامته ، ثم توجه له نصائح حربية أو وصايا وتحذيرات ، كما يسميه ابن خلدون ، لمراعاتها في القتال ، ثم تنتهي بعتاب صنهاجة على تركها لفائدها في ميدان القتال وحده^(٣).

- المرابطين والموحدين ، مجلة نطران ، العدد الخامس سنة ١٩٦١ من ١٤٠) .
وكذلك :

Pons Boigues : Historiadores y Geógrafos Arabigo - Espanoles P. 240
núm . 193 , Madrid 1898)

(١) حصن البكار ، لعله عقبة البقر الذي يسمى إلى الآن Castillo del Vacar في شمال قرطبة في منطقة فحص البلوط حالياً Pedroches وكان هذا الحصن يحتل موقعًا استراتيجياً هاماً لأنه يتحكم في طريق وادي أنه المؤدي إلى بطليوس .

راجع : Lévi Provençal : L'Espagne au X eme siècle P. 149 , Paris 1932).

وكذلك (ابن الخطيب : أعمال الأعلام - القسم الثالث الخاص بالمغرب - من ٢٥٩ حاشية ١) .

(٢) حول أخبار هذه المعركة راجع (ابن القطان :نظم الجمان من ٢١٥ - ٢١٦ ، حاشية ٣ ، ابن الخطيب : أعمال الأعلام - القسم الثالث - من ٢٥٨ - ٢٥٩ ; ابن عذاري : البيان المغرب ج ٤ من ٩٠ - ١١ ، الحال الموشية من ١٠٢ وما بعدها .

(٣) أورد هذه القصيدة كل من : ابن الخطيب أعمال الأعلام - القسم الثالث - من ٢٦٠ -

والقصيدة طويلة ولا يتسع المجال ذكرها كاملاً ، ولهذا أكتفى بذكر بعض أبياتها المتصلة بفنون الحرب والقتال وهي :

يا أيها الملا الذى يتلقى
ومن الذى غدر العدو به دجى
تمضى الفوارس والطعان تصدّها
والليل (٢) من وضح الترائق (٣) بينهم
يا أشجع الأبطال ليلة أمسى
اهديك من أدب الوغى حكمًا بها
لا أنى أدرى بها أكتها
خندق عليك إذا ضربت محلة
والواحد لا تغبُره وإنزل عنده
قبل التهارش عب حيسك مفسحا
إياك تعبئة الجيوش مضيقا
حصن حواشيهما وكن فى قلبهما
والپس ليسوا لا يكون مشهرا

- ٢٦٣ - ابن خلدون : المقدمة ص ٢٧٥-٢٧٧ ، صاحب الحال الموشية ص ١٠٣ -
 ١٠٦ ، وقد أورد الأستاذ علوش ناشر هذا الكتاب اسم الشاعر محرفاً ، أبو زكريا بن
 العربي ، من ١٠٢ ، وبالرجوع إلى النسخة الخطية لكتاب الحال الشورية (رقم ٥٢٣
 خزانة الرباط) وجدنا أن الاسم كما في المتن أبو زكريا بن الصيرفي .

(١) يقصد المرابطين لأنهم يتقعن باللثام .

(٢) اشارة الى، أن المعركة دارت في الليل .

(٣) الترائقك هي بيضات الحديد أو الخوذات الناصعة البياض التي يضعها المحارب على رأسه ومغفردها التربكة والترفة .

(٤) الفحص هو الضرب بالأرجل .

وصى بها صنع الصنائع تُبَيِّنُ
 حُصْنًا حصينًا ليس فيه مدفعٌ
 وأمضى كمِينَكَ خلفها إذ تدفعُ
 تلقى العدو فشره متوقَّعٌ
 ووراءكَ الهدفُ الذي هو أمنٌ
 بعد التقدُّم فالنكوص يضيقُ
 ضنكَ فاطراف الرماح توسيع
 للصدقِ فيهم شيمة لا تخديع
 لا رأي للكذاب فيما يصنعُ
 وإليكم في الرؤُوعِ كان المفرغُ
 لكم التفاتٍ نحوه وتجمُّعٌ
 جفنٌ وقلبٌ أسلمتُهُ الأضلُّعُ!
 كلَّ وفضلَ سابقٍ لا يُدفعُ؟
 وبكلِّ جيدٍ رقةٌ لا تخليع؟
 إحسانه لم يمحيكم يتسرعُ!
 ولسطوه ، لوشاء ، فيكم موضعٌ
 فيها من الظفرِ الرضيِّ والمقطوعِ
 سعي به الإسلام ليس يضيئُ
 فهو الحفيظ لكلَّ ما يستودعُ

والبس من الحلقِ المضاعفةِ التي
 واركب من الخيل السواقي عدَّةٌ
 وأخذْ كمينَ الروم عند لقائهما
 لا تُبَقِّيَنَ الدهرَ خلفَكَ عندما
 واجعل منجازةَ العدو عشيَّةً
 وأصلَمْهُ أولَ وهلةٍ لا تكررُ^(١)
 وإذا تصايقتَ الجيوش بمعركَ
 واجعل من الطلَّاعِ أهلَ شهامةٍ
 لا تسمعُ الكذابَ جاءكَ مرجفًا
 أَنَّى نَزَعْتُمْ يا بني صنهاجةَ
 ما بالُ سيدُكُمْ تورطَ لم يكنَ
 إنسانٌ عينٌ لم يصبُها ملوكُ
 أَوْمَا لِيُوسُفَ جَدَهُ منْ علىِ
 أَوْمَا والدهُ عليكم نعمةٌ
 أبطأتمُ عن تاشيفين ولم ينزلُ
 ولقد عفا والعفو منه سجينةٌ
 النعمةُ العظمى سلامتكَ التي
 لا ضيَّعَ الرحمنُ سُغْيَكَ إنَّهُ
 نستحفظُ الرحمنَ مثلكَ وديعةٌ

(١) المؤرخ عبد الرحمن بن خلدون الذي جاء بعد ابن الصيرفي بأكثر من قرنين من
 الزمان ، اعترض في مقدمته (من ٢٧٥ - ٢٧٧) على قول الشاعر هنا : واصدمه
 أول وهلة لا تكرر ... الخ قائلاً : إن البيت مخالف لما عليه الناس في أمر العرب ثم
 استشهد في ذلك بعمربن الخطاب حينما ولَّ عبد بن مسعود الثقفي حرب فارس
 وال伊拉克 ، إذ نصحه بالتألق وعدم التسرع في الحرب حتى يتبيَّن الوضوء لأن الحرب لا
 يصلح لها إلا الرجل المكيث . ثم يقول : وكلام عمر عكس ما قاله الصيرفي ، إلا أن
 يريد أن الصدم بعد البيان فله وجه ، والله تعالى أعلم .

وبعد وفاة على بن يوسف سنة ١١٤٣/٥٥٣٧ م خلفه ولده تاشفين بن على الذي يمثل عهده الفصل الختامي لدولة المرابطين ، وسقوطها على يد الموحدين بقيادة خليفتهم عبد المؤمن بن على . قامت حرب ضارية بين هذين القائدين الكبيرين تجلت خلالها ضروب من الشجاعة والمهارة والحكمة العسكرية التي تميز بها كل منهما .

حارب كل فريق في البيئة الجغرافية ، التي تعود عليها ، إذ اخذ المرابطون الصحراويون طريق السهول في محاربة خصومهم ، بينما اخذ الموحدون المصامدة الجبلية طريق الجبال الوعرة حتى يجد المرابطون مشقة في الوصول إليهم (١) .

واستمرت الحرب سجالاً بينهما إلى أن حدث تصدع في جبهة المرابطين نتيجة لوقوع شقاق بين قبيلتي لمتونة ومسوفة ، وانضم عدد من زعماء مسوفة إلى الموحدين مما أثار الاضطراب في الجبهة المرابطية . ثم نجح الموحدون أخيراً في استدراج الأمير تاشفين إلى حصن جبلي قرب وهران بالجزائر ، وحاصروه هناك ، فخرج تاشفين من الحصن راكباً فرسه ، فتردى من بعض حافات الجبل ومات في ٢٧ رمضان سنة ١١٤٤/٥٥٣٩ م . وبموت تاشفين ثم ولده إبراهيم من بعده سنة ١١٤٧/٥٥٤١ م ، دخل الموحدون العاصمة مراكش ، وتنتهي بذلك دولة المرابطين .

(١) راجع (السلاري : الاستقصاء لأخبار المغرب الأقصى جـ ٢ ص ٦٢ ؛ مني حسن أحمد محمود : تاشفين بن على بن يوسف بن تاشفين ، الأمير المرابطي (٥٢٠ - ١١٤٤ - ١١٢٦ م) ص ٦٦ (دار الفكر العربي ، القاهرة سنة ١٩٩٠) .

الفصل الثالث

صور من حياة الحرب والجهاد بالأندلس

في عصر الموحدين

(٥٤١ - ٦٦٨ هـ / ١١٤٧ - ١٢٦٨ م)

الفصل الثالث

صور من حياة الحرب والجهاد بالأندلس في عصر دولة الموحدين (١٢٦٨-٥٤١ هـ / ١١٤٧ م)

أولاً، قيام دولة الموحدين وأهدافها التوسعية:

خلفت دولة المرابطين في حكم المغرب والأندلس، دولة مغربية مجاهدة أخرى وهي دولة الموحدين. قامت هذه الدولة الجديدة على أساس دعوة دينية أصلاحية طابعها التجديد والجهاد والاتساع، وهدفها تحقيق وحدة إسلامية شاملة ترأسها خلافة دينية شرعية خاصة بالموحدين.

مؤسس هذه الدعوة هو الفقيه أبو عبد الله محمد بن تومرت^(١)، الهرغى المصمودى السوسي، واضح من اسمه أنه من قبيلة هرغة إحدى بطنون مصمودة الساكنة في بلاد السوس وجبل أطلس في أقصى المغرب.

رحل ابن تومرت في شبابه إلى الأندلس، ودرس في قرطبة، ثم رحل إلى الشرق في أواخر القرن الخامس الهجرى (١١٥٠) وطارف بعواصم الحجاز والشام والعراق ومصر طلباً للعلم.

وهناك لمس حالة الضعف التي يعانيها المجتمع الإسلامي في ظل الخلفيين الهرجتين: العباسية والفااطمية، ونجاح الصليبيين في الاستيلاء على بيت المقدس وتأسيس إمارات لهم في الرها وأنطاكية وطرابلس. عندئذ لم يطق صبراً على ذلك وانبرى بهاجم الأوضاع السائدة بكل شدة وعنف.

(١) يرى المستشرق الفرنسي ليث بروفسال أن لفظ تومرت لعله اسم أمه أو إحدى جداته، بينما يقول البيذن أن كلمة تومرت معناها بلسان البربر الفرح وذلك لأنه أمه فرحت بمولده وكانت تقول «ديك تومرت» أي صار فرحاً فقلب عليه ذلك الاسم (ليث بروفسال: الإسلام في المغرب والأندلس من ٢٦٥) ومن الطريق أن اسم يوسف بن تاشفين مؤسس دولة المرابطين السالف الذكر، ورد اسمه في كتاب أعمال الأعلام لابن الخطيب - القسم الثالث الخاص بالمغرب ص ٢٣٣ - وهكذا: يوسف بن تاشفين بن ابراهيم بن تومرت ١١٥٠).

ومن وصف رحلة عودته إلى وطنه المغرب بحراً ويراً عن طريق الإسكندرية وتونس والجزائر والمغرب نجد أبن تومرت ثالثاً غاضباً يعلم على محاربة البدع ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ، وأنه كثيراً ما استخدم عصاه وأصطدم بالأهالي وخرج هارباً ساخطاً من بلد إلى آخر(١) .

ولا شك أن ابن تومرت قد أيقن بعد هذه الرحلة الطويلة في المشرق والمغرب ، أن علاج هذه الحالة يقتضي إنشاء خلافة إسلامية جديدة تضم تحت لوائها العالم الإسلامي وتتولى علاجه واصلاحه .

ومن ثم ، شرع ابن تومرت في نشر دعوته بين ذويه وعشيرته المصامدة في أقصى المغرب ولقب نفسه بالمهدي والشيخ وأمغار ومعناها الشيخ بالبربرية ، كما اتخذ قاعده في بادئ الأمر في جبل إيجليز عند مدخل مدينة مراكش ، ولما اشتدت حركته انتقل إلى قلعة حصينة مليعة في قلب جبال أطلس الكبير وهي قلعة تينمال أو تيممل(٢) التي أشاد المؤرخون والجغرافيون بحصانتها .

في هذه القلعة الثانية ، عاش ابن تومرت مع أصحابه ومربيه ، وفي مقدمتهم الشاب عبد المؤمن بن على الكروم الزناتي الذي كان قد التقى به إما في بلدة تاجره بالقرب من تلمسان في غرب الجزائر ، وإما في بلدة ملأة (الفتح ثم التشديد) قرب بجاية على ساحل البحر في شرق الجزائر(٣) . ثم لم يلبث أن تبناه وصار أقرب المقربين إليه من طلبه ، وخليفته من بعده ، ولقبه

(١) وصف هذه الرحلة كل من أبي بكر الصدّهاجي المكتن بالبيدق في كتابه أخبار المهندى بن تومرت ، وابن القطان في كتابه نظم الجمان .

(٢) تيممل كلمة بربرية مؤلفة من شقين : الشق الأول : تين يعني ذات ، والشق الثاني : مل بمعنى المدارج أو الحواجز التي توضع في سفوح الجبال لجعلها صالحة للزراعة والسوق . وهذه القاعدة الجبلية الحصينة ، كانت مهد دولة المرحدين ، وبها بني ابن تومرت داره ومسجده ثم دفن بها بعد مماته . راجع الإدريسي : نزهة المشتاق ص ٦٤ ، الاستبصار من ٢٠٨) وكذلك :

(Basset et Terrasse : Tinmel , Hésperis 1924) .

(٣) لقاء ابن تومرت بعد المؤمن اختلف في مكانه فيذكر صاحب القرطاس وابن الخطيب في أعمال الأعلام أنه كان في تاجره غرب الجزائر بينما يذكر عدد كبير من المؤرخين أمثال ابن شداد والدبيري وابن الأثير ، وسبط بن الجوزي ج ٨ ص ١٥١ ، والبيدق ، والمراكشي وابن خلakan وابن خلون ، أن اللقاء كان في ملأة شرق الجزائر .

سراج الموحدين .

وكان حكام المغرب والأندلس في ذلك الوقت هم المرابطون ، وهم جماعة سلفية على مذهب أهل السنة والجماعة ، يتمسكون بمذهب مالك بن أنس ، ويكرهون المتكلمين وعلم الكلام ، وينفرون من الرأي والتأويل والخوض في العقائد وسائل التوحيد ، ويررون الاقتداء بالسلف الصالح في قبول النصوص على علاتها وإقرار المشابهات كما جاءت والإيمان بها كما هي .

فالمهدي بن تومرت هاجم المرابطين وفقهاء المالكية من هذه الناحية وقال بضرورة تأويل النصوص ونفي الصفات والتشبيه عن الخالق ، واتهم المرابطين بالتجسيم والشرك لأنهم يقررون الصفات إلى الله تعالى وهي شبهة إشراك غيره معه ، بينما سمي أصحابه بالموحدين تعريضاً بالمرابطين فيأخذهم بالعدول عن التأويل ، وهو يعني بذلك أن أصحابه هم الذين يفهمون معنى التوحيد ومعنى تزكية الذات الإلهية من الصفات المشبهة^(١) .

ولقد دون ابن تومرت تعاليم هذه الدعوة باللسانين العربي والغربي (أى بلسان البربر) في كتب عديدة أهمها كتاب التوحيد المعروف باسم «أعز ما يطلب»^(٢) . والجدير بالذكر أن دعوة التوحيد التي نادى بها محمد بن تومرت ، عبارة عن مزيج بما قالت به المعتزلة الذين عرروا بأهل العدل والتوحيد ، وبما قالت به الظاهيرية في محاربة التقليد والاحتقار المذهبى ، ويفكرة المهدوية والعصمة إذ لقب نفسه بالمهدي المنتظر والإمام المعصوم .

وواضح أن ابن تومرت أراد أن يضمن لدعوته النجاح عن طريق إرضاء أصحاب المذاهب والأراء المختلفة ، فجعلها مزيجاً من كل هذه التيارات والاتجاهات الفكرية والفقهية التي كانت كلها معروفة في المغرب من قبل ، ولكنها كانت في معظمها مدعومة من الظهور في عهد المرابطين حكام

(١) راجع مقالنا (الموحدون والوحدة الإسلامية ، مجلة التربية الوطنية بالمملكة المغربية ، مارس ، أبريل سنة ١٩٦٢) .

(٢) كتاب أعز ما يطلب نشره المستشرق المجري جولدزيهير (الجزائر سنة ١٩٠٣) .

المغرب في ذلك الوقت^(١). فابن تومرت من هذه الناحية لم يأتِ بجديد في الواقع ، ولكن أحياه لها مجتمعة في دعوة إصلاحية جديدة يعتبر نوعاً من التجديد في الإسلام .

وعلى هذا الأساس رأى الموحدون أنهم أحق الناس بالخلافة ، وأن من حقهم أن ينالوا هذا اللقب اتباعاً لما فعله الصحابة كما نقول الرسالة الرسمية . فأقاموا لأنفسهم خلافة شرعية خاصة تستند إلى هذه العقيدة الموحدة الجديدة ، ولقبوا أنفسهم بأمراء المؤمنين^(٢) .

ولكي تستند خلافتهم إلى الأسس الشرعية الازمة كالنسب النبوى أو الأصل العربى ، قالوا بانتماء كل من المهدى بن تومرت ، وعبد المؤمن بن على ، إلى الرسول^(عليه السلام) عن طريق الأشراف الأدارسة العلوبيين . وإذا تصفحنا كتاب أخبار المهدى للبيذق ، نجد شجرة طويلة لنسب كل من ابن تومرت وخليفته عبد المؤمن ، وكلها ترتفع إلى البيت النبوى الكريم^(٣) .

أما من جهة الأصل العربى ، فيرى أن عبد المؤمن بن على ، كان يقول لمن يذكر له اسم قبيلة كومية البربرية الزناتية : « أنا لست منهم ، وإنما نحن لقيس عيلان ، ولكومية علينا حق الولادة بينهم ، والمنشأ فيهم ، وهو الأخوال »^(٤) . وقد حرص مؤرخو وشعراء هذا العصر على إثبات هذا الأصل العربى في كتاباتهم وأشعارهم ، فأطلقوا على عبد المؤمن كنية القيسى بدلاً من الكومى كما أطلقوا على أبنائه وذراته اسم السادة والأسياد (مفردها السيد) بمعنى الأمراء الأشراف . أما كلمة الشيخ فتعنى القائد عددهم^{(٥) ، (٦)} .

(١) عبد الواحد المراكشى : المعجب فى تخيس أخبار المغرب من ٢٠١ .

(٢) عبد الواحد المراكش : نفس المصدر السابق ص ١٩٢ .

(٢) أبو بكر الصنهاجى : المكتن بالبيذق : كتاب أخبار المهدى بن تومرت ص ٢١ نشر بروفسار ، الحل الموشية ص ١٥٤ .

(٤) عبد الواحد المراكشى : المعجب ص ١٩٧ .

(٥) ابن الخطيب : أعمال الأعلان س ٩٦٦ ، الحل الموشية ص ١٥٤ ، المقرى : نفح الطيب ج ٤ ص ١٠٧ .

(٦) استخدم فى المشرق قبل هذا التاريخ لقب السادة والسدادات بمعنى الأشراف الذين يرتفع نسبهم إلى الرسول^(عليه السلام) .

وأول عمل حرصت عليه دولة الموحدين في سياستها التوسعية^(١) ، هو توحيد المغرب الكبير من أقصاه إلى أدناه ، ففي عهد الخليفة الأول عبد المؤمن بن على ، تكفلت جيوش الموحدين من الاستيلاء على ملك بني حماد وأقربائهم الزيديين في الجزائر . ويقال إن عبد المؤمن بن على حينما مرّ بموكبه هناك بمسقط رأسه في الجزائر لزيارة قبر أبيه بقرية ناجرا بالقرب من مرسى هنفين (عنابه) ، من أعمال تلمسان حيث تقيم قبيلة كومية ، تسبّبت امرأة عجوز بعنان فرسه وأخذت تصيح : هكذا يعود الغريب إلى بلده ! ،^(٢) وهي عبارة جميلة تحمل أسمى معانٍ السمو والطموح لأن الشاب الغريب ينبغي أن يعود إلى وطنه ظافراً^(٣) .

واستطاع عبد المؤمن بعد ذلك أن يحتل إفريقياً ويطرد التورمانديين من تونس والمهدية ثم يسيطر على طرابلس وما وراءها ، فامتد ملكه بذلك من الحدود المصرية شرقاً إلى المحيط الأطلسي غرباً وإلى الصحراء الكبرى

(١) تجدر الإشارة إلى أن هذه السياسة التوسعية الموحدية كانت ترمي إلى تحقيق وحدة إسلامية شاملة ويفتخر بذلك في قول شاعرهم أبي العباس الجراوي :

ستملك أرض مصر والعراق وتجرى تحوك الأمم استباقا
وقوله :

سينظم السعدُ مصراً في ممالكه
حتى يدُوخ منها خبله حلبًا
إلى العراق إلى أقصى الحجاز إلى
أقصى خراسان ينطو جيشه الرعباً
هو الذي كانت الدنيا تؤمه
وكل عصر له مازال مرتقباً
راجع كتابنا (دراسات في تاريخ المغرب والأندلس من ١١٥) .

(٢) عبد الواحد المراكشي : المعجب ص ٢٣٢ وكان والد عبد المؤمن بن على صانعاً في عمل الطين يعمل منه الأواني والجرار فيبيعها (المعجب ص ٢٠١ حاشية ص ٢) .

(٣) أورد صاحب المعجب (ص ١٨٢ - ١٨٣) بعض القصص التي تعبّر عن طرح عبد المؤمن عندما كان صبياً مثل الحلم الذي رأه في نومه وكأنه يأكل مع السلطان على بن يوسف بن تاشفين في طبق واحد وإذا به يزيد على أكل السلطان ثم تزداد شراهته إلى الطعام لدرجة أنه اختطف الطبق من بين يديه وانفرد بها ل نفسه . ومثل قصة صاحبه الفقير المعدم الذي يصبح فجأة صاحب ضيافة واسعة ، فيقول عبد المؤمن ، إن كانت حالة فلان انتهت إلى هذا ، فلا بد أن أكون أنا غداً أمير المؤمنين افكان الأمر كما قال .

والسودان جنوباً ، وفي ذلك يقول صاحب كتاب الاستبصار :

، وكلمة التوحيد والهداية ، متصلة من طرابلس إلى مدينة غانة ، (١) .

وكان من الطبيعي لهذه الدولة الموحدية الفتية ، بعد أن تم لها توحيد المغرب ، أن تربو بأبصارها شماليّاً عبر المضيق نحو الأندلس كي يتم لها توحيد الغرب الإسلامي ضد القرى المسيحية في أسبانيا .

ولم يلق الموحدون صعوبة في ضم الأجزاء الغربية والوسطى من الأندلس ، إذ سارع أمراء هذه المناطق بإعلان ولائهم وانضمامهم للموحدين . وكانت ولاية شريش Jerez في جنوب غرب الأندلس في طليعة هذه الولايات ، ولذا سمى أهلها بالسابقين الأولين (٢) وصاروا منذ ذلك الوقت مقدمين على غيرهم من الأندلسيين في أصناف (أى طبقات) الموحدين ، وفي مراسم التشريفات أو البروتوكول عند مقابلة خلفاء الموحدين (٣) . كذلك أرسلت ولاية إشبيلية وفداً من أعيانها برئاسة القاضي الفقيه أبي بكر بن العربي المعافري لمبايعة الخليفة عبد المؤمن بن علي بالعاصمة مراكش (٤) . وفي أثناء عودة هذا الوفد ، توفي أبو بكر بن العربي بالقرب من مدينة فاس سنة ٥٤٣ هـ (١٤٩ م) . ولا يزال قبره هناك خارج الباب المحروق ويجواره قبر الوزير الفرناطي لسان الدين بن الخطيب الذي توفي بعده بمدة سنة ٦٧٧٦ هـ (١٣٧٤ م) .

(١) كتاب الاستبصار لمؤلف مجهول ص ١١١ نشر سعد زغلول .

(٢) السابقون الأولون في أصناف الموحدين ترجع إلى الآية الكريمة ، والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين تبرعم بهم إيمان رضي الله عنهم ورضعوا عنه ، وأعد لهم جنات تجري تحتها الأنهر خالدين فيها أبداً ، ذلك الفوز العظيم ، (سورة التوبة رقم ٩ الآية ١٠٠) .

(٣) ابن أبي زرع : روض القرطاس ص ١٨٨ ، السلاوي : الاستقصاء ج ٢ ص ١٠٤ .

(٤) يروى أن الخليفة عبد المؤمن بن علي سأله الفقيه أبي بكر بن العربي عن المهدى بن تومرت ، وهل رأه أو لقيه في مجلس أبي حامد الغزالى ببغداد ، فقال له : لم ألقه وإنما سمعت به وأن الشيخ الغزالى كان يقول لا بد من ظهوره . (الحل الموشية ص ١٢٢ ، السلاوى : الاستقصاء ج ٢ ص ١٠٥) .

كذلك انضم للموحدين أمير البحر على بن ميمون قائد أسطول المرابطين
في قادس Cadiz .

أما القسم الشرقي من الأندلس Levante ، فقد عارض أمراؤه أمثال ابن مردنيش ، وابن همشك ، وابن غانية ، فكرة الوحدة مع المغرب ، وانضموا صراحة إلى ملوك الأسبان المسيحيين ، فاضطر الخليفة يوسف بن عبد المؤمن إلى محاربتهم وإخضاعهم (١) . ومن الغريب إننا إذا تصفحنا تاريخ هذا الجزء الشرقي الأندلسي في مختلف عصوره الإسلامية ، نجد أنه كثيراً ما نزع إلى الاستقلال وإثارة الفلاقل في وجه الأمويين والمرابطين والموحدين بل وفي أيام بني الأحمر ملوك غرناطة ، وهذه ظاهرة تدعوا إلى الالتفات والدراسة .

ثانياً : التربية العسكرية والثقافية لشباب الموحدين :

بعد نجاح الموحدين في توحيد الغرب الإسلامي سياسياً ، أخذوا يعملون على توحيده في مختلف النواحي الثقافية والعسكرية كي تقوم الوحدة على أساس متكامل في أهدافها ومشاربها . الذي يهمنا في هذا الصدد هي الناحية التربوية الخاصة بإعداد الجيل الناشئ الذي يتوقف عليه مستقبل الأمة . وفي هذا الإطار يقول ابن القطن في كتابه نظم الجمان :

«ومن مكارمه (أى عبد المؤمن) العظيمة ، رضى الله تعالى عنه ، حضنه الناس على العلم ، وإرادته لهم ولبنائهم ما يريده لنفسه ولبنيه ، واستدعاوه الصبيان الصغار الأسنان من أبناء اشبيلية وقرطبة وفاس وتلمسان إلى حضرته العلية ليعلمهم ويحفظهم القرآن وحديث النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) فانتخب الأولاد النجباء الحفاظ من كل بلد ، ووجهوا محسناً إليهم مزودين ، فكان عدد الذين توجهوا من اشبيلية خمسين صبياً ، فسافروا نحو الحضرة العلية مع

(١) عرف عن الخليفة يوسف بن عبد المؤمن أنه كان أعسراً - أى يعمل بشماله - ولهذا عرف بيوسف العسرى (روض القرطاس ص ٢٥٥) وقد تزوج صحفة المشهورة باسم الزرقاء المردنيشية ، إحدى بنات الأمير الأندلسي أى عبد الله محمد بن سعد بن مردنيش بعد إخضاعه ، وتزوج أختها ولده يعقوب الذى لقب بالمنصور (المعجب ص ٢٥٠) .

الأستاذ أبي الحسن ، والأستاذ أبو بكر الحصار ، نهضوا في كفالتهم حتى وصلوا حضرة مراكش حرسها الله تعالى . فأنزلوا أكرم إزال ، وتلقاهم أبو جعفر ابن عطيه مأموراً بذلك ، وقد قبلوا بما أحسنهم من الإحسان والإنعام وإجراء الطرف والتحف ثلاثة أيام . ثم أمروا بالدخول والسلام ، وعلموا كيف يسلمون ويأخذون باليد الكريمة ، ففعلوا ذلك (١) . ثم أمروا بكتاب التوحيد وحفظه (٢) ، وكتاب موطاً الإمام المهدى (٣) وحفظه ، وصحيح مسلم وحفظه . وأقاموا كذلك تحت جرایة واسعة ، وجباية بالغة ، وأسذاهم المذكوران معهم ، ستة أشهر ، حتى بدا عليهم نور الإمامة ، وتميزوا بالحفظ وامتازوا بالكرامة . ثم ولّى سيدنا ومولانا الخليفة (عبد المؤمن) ولده أبي يعقوب يوسف الشيشلي وقرطبة ، ووجه معه الوزير أبي جعفر بن عطيه ، وبعث الصبيان الحفاظ معه إلى آبائهم وقد نالوا من الخير ما نالوا ، وانصرف الأستاذ أبو بكر الحصار معهم ، (٤) .

ويضيف صاحب الحلل الموشية وصفاً هاماً آخر يبين فيه مدى حرص الموحدين على تربية هؤلاء الحفاظ ، أي صغار الطلبة ، تربية عسكرية اسلامية وإعدادهم لتولي مناصب الإدارة والقيادة في الجيوش وفي الدولة ، يقول :

« وكان الخليفة عبد المؤمن يجمعهم كل يوم جمعة بعد الصلاة في قصره ، وهم نحو ثلاثة آلاف طالب كأنهم أبناء ليلة واحدة . فيمتحنهم فيما

(١) هذه العبارة الخاصة بالسلام على الخليفة ، ساقطة في كتاب ابن القطان المنشور ، راجع النسخة الخطية (ورقة ٥٣) .

(٢) كتاب التوحيد هو كتاب أعز ما يطلب للإمام المهدى ويقصد بأعز ما يطلب هو العلم الذي جعله الله سبب الهدى إلى كل خير . والكتاب يتضمن فصلاً في التوحيد وفي التشبيه بين الحال والخلق . وفي الأصل والفرع وفي الصلاة وتحريم الخمر ... الخ . وقد نشره جولدزيهر مع مقدمة علمية (الجزائر ١٩٠٣) .

(٣) موطاً الإمام المهدى بن تمرت منشر في مطبعة فونتانا الشرقية بالجزائر سنة ١٩٠٧ وهو عبارة عن الأحاديث البوية التي وردت في موطاً مالك بن أنس براوية الفقيه أبي زكريا يحيى بن عبد الله بن بكر المخزومي وذلك بعد حذف معظم الإسناد منها للاختصار .

(٤) ابن القطان : نظم الجمان ص ١٣٢ - ١٤٠ نشر محمود مكي .

درسوه ، ويزودهم بنصائحه تشجيعاً لهم على الاجتهد . ثم يعمد في أيام أخرى إلى تدريبهم على فنون الحرب المختلفة ، كالطعن بالحراب ، والرمي بالقوس والنُّشَاب ، والمبرزة وركوب الخيل والركض ، ثم في تعلم السباحة وخوض المعارك البحرية ، وذلك في بحيرة خاصة أنشأها لذلك الغرض بالقرب من قصره في الحى المعروف بأكدا (ومعناها البستان بالبربرية) ، وأعد فيها طائفة من السفن الكبيرة والصغيرة ليتمرن فيها الشباب على القتال في البحر والتجديف وقيادة السفن والوثب إلى سفن العدو ، ومزاولة جميع التمارين البدنية التي تقضي بها الخدمة البحرية . وكانت نفقتهم وسائر مزونتهم وخيلهم وعددهم من عنده . هذا إلى جانب تشجيعه للشباب على قراءة الكتب التي تتحدث عن الفروسية وسير أبطالها (١) .

ولما كمل هذا المراد فيهم عزل الخليفة بهم أشياخ المصامدة عن ولاية الأعمال البحرية والرياسة وقال : العلماء أولى منكم فسلمو لهم الأمر ، وأبقاهم معه في المشورة (٢) .

ومما يدل على استمرار هذه العادة في أبناء عبد المؤمن ، ما رواه عبد الواحد المراكشي من أن الخليفة يوسف بن عبد المؤمن ، أمر العلماء بإلقاء محاضرات على الشباب في موضوع الجهاد ليدرسوها ، وأن الخليفة شارك في إلقائها ، فكان ي مليها عليهم بنفسه ، وكان كل واحد من هؤلاء الطلبة يحمل لوحًا يكتب فيه ما يملئ عليه . ثم يحكى المراكشي في هذا الصدد قصة مؤثرة يقول فيها : لما تجهز أمير المؤمنين أبو يعقوب يوسف بن عبد المؤمن إلى غزو الروم (سنة ٥٦٦ هـ / ١١٧٠ م) أمر العلماء أن يجمعوا أحاديث في الجهاد تملأ على الموحدين ليدرسوها - وهكذا جرت عادتهم إلى اليوم سنة ٦١١ هـ - فجمع العلماء ذلك وجاءوا به إليه ، فكان ي مليها على الناس بنفسه . فكان كل

(١) مثال ذلك قصة جازية والشريف التي هي في الواقع أصل لقصة أبي زيد الهلالي عند دخول العرب الهلالية لإفريقية . راجع (السلاوي : الاستقصا ج ٢ ص ١٤٩ عن ابن خلدون في تاريخه) .

(٢) الحال الموسوية ص ١٢٥ ، نظم الجمان لابنقطان ص ١٣٩ ، محمد المنوبي : الطروم والآداب والفنون على عهد الموحدين ص ٩٨ .

واحد من الموحدين والصادق يجيء بلوح يكتب فيه الإملاء . فجاء هلال بن محمد بن سعد بن مردنيش (صهر الخليفة وشقيق زوجته الزرقاء) يوماً ولا لوح معه ، فأخرج القوم الواحهم ، فقال له الوزير : أين لوحك أبا القمر ؟ فخجل وافتتح يعتذر ، فأخرج له أمير المؤمنين من تحت برنسيه لوحًا وناوله إيه و قال : هذا لوحه ! . فلما كان من الغد جاء ومعه لوح غير الذي دفعه له أمير المؤمنين . فلما نظر إليه قال : أين لوحك بالأمس يا أبا القمر ؟ فقال : خبأته وأوصيت إذا مت أن يجعل بين جلدي وكفني ! وأنبع ذلك بكاء حتى أبيى بعض من كان في المجلس ! فقال أمير المؤمنين : هذا المحب الصادق ! وأمر له بخييل وأموال وخلع ، ولبنيه بمثل ذلك ، (١) .

على أن هذه التدريبات العسكرية لم تقتصر على صغار الطلبة من الحفاظ فقط ، بل شملت أيضاً كل فرسان الجيش الموحدى بما في ذلك قائداته الأعلى أمير المؤمنين ، فكثيراً ما كانت تقام مداررات تدريبية أو ما يسمى « بحملات الخيل » في ميدان متسع خارج باب الشريعة ، أحد أبواب العاصمة مراكش ، حيث كانت تقام هناك أيضاً صلاة العيدتين ، وصلاة الاستسقاء . ويقدم لنا ابن صاحب الصلاة ، وصفاً لإحدى هذه المداررات التي جرت هناك بمناسبة التقاء الخليفة يوسف بن عبد المؤمن بشقيقه السيد أبي حفص عمر القادر من الأندلس بجنوده ، يقول :

« ووقف العسكر مع السيد القادر أبي حفص بإزار الشريعة ، ووقف عسكر الإمام في أول البراح المذكور ، وتجاوزت الخيل من فرسان العسكر بالجري واللعب والدفاع بالحملات والكرات ، والطبول تضرب من صحوة النهار إلى آذان الظهر من اليوم المذكور ، حتى حمل الأمير بنفسه في تلك الدفعات سروراً فافظهر من ركوبه وفروسيته أمراً عجباً . ثم نزل الأمير عن فرسه ، ونزل السيد الواثق أيضاً والتقيا وتصافحاً وسلماً ثم سلم الناس الواثقون بعضهم على الأمير وعلى من حضر . وركبوا وعادوا إلى العسكر ، ودخلوا إلى القصر العتيق »

(١) عبد الواحد المراكشي : المعجب في تخیص أخبار المغرب من ٢٥٤ - ٢٥٥ نشر سعيد العريان ومحمد العربي العلمي (القاهرة ١٩٤٩) .

في دار الحجر في أعظم بروز وأحفل تمييز بعد صلاة العصر ،^(١)

ثالثاً : عناصر الجيش الموحدى :

حرص المهدي ابن تمرت منذ تأسيس دعوته على وضع برنامج حربى دينى صارم^(٢) يهدف إلى تكوين أمة فتية قوية تعيد للإسلام سيرته الأولى ومجده الحربى القديم . وكان كثيراً ما يتشبه بالرسول ﷺ : فهو له أيضاً هجرته ومغاريته ، ومباعدة تحت شجرة الخروب ، ومؤاخاة بين الموحدين الأصليين والمهاجرين أو المضائف . كما كانت قاعدته تشمل عند الموحدين بمثابة مكة عند المسلمين جميعاً ، وأهل تيمال بمثابة الصحابة وهكذا^(٣) .

وكان هذا البرنامج الجديد الذى وضعه المهدى يقوم على أساس ترتيب أتباعه الموحدين فى طبقات أو أصناف هرمية الشكل على نظام المراتب الهراركية أو الكهنوتية Hierarchy على حسب أقدميتهم فى التوحيد ، وهى كما يلى :

الإمام المهدى فى القمة ، ويليه أهل داره ، ثم مستشاروه أو أعضاء حكومته ويعرفون بالعشرة أو أهل الجماعة ، وهم أصحابه العشرة الذين بايعوه تحت شجرة خروب ، ثم يليهم أشياخ الموحدين ويعرفون بأيت خمسين أو أهل خمسين^(٤) ، وأيت سبعين^(٥) ، ثم يليهم كافة أصناف الموحدين حسب درجاتهم فى التمييز .

وكان لكل صنف من هذه الأصناف رتبة لا يتعادها غيرهم لا فى سفر ولا فى حضر ، ولا ينزل كل صنف إلا فى موضعه لا يتعاده .

(١) ابن صاحب الصلاة : المن بالإمامية على المستضعفين ص ٢٩٠ - ٢٩١ ، نشر عبد الهادى النازى (بيروت ١٩٦٤) .

(٢) كان المهدى بن تمرت متشددًا فى تطبيق تعاليمه ولا يتردد فى تعزيز المخالف بضرره بالسياط أو بقتله إن تماهى فى ذلك (ابن القطن ص ٢٩) .

(٣) الحال الموشية لمؤلف مجھول ص ٨٨ .

(٤) آيت فى البربرية تنى أهل أربى أو أولاد (filo de) .

(٥) ورد اسم هذه الطبقة آيت سبعين فى الحال الموشية ص ٨٨ نقلًا عن أبي يحيى -

على أنه يلاحظ أن هذا الترتيب الظبقي أو الهرمي لأصناف الموحدين ، نجده غير موحد في المصادر المعاصرة ، فهناك خلافات ونقصان وزيادات في ترتيبها وأعدادها وأسمائها ، بحيث يمكن تتبع ذلك بسهولة فيها . ومن أهم تلك المصادر ذكر :

كتاب الأنساب في معرفة الأصحاب مؤلف مجاهول (١) ، وكتاب نظم الجمان لابن القطان ، وكتاب الحال الموشية في ذكر الأخبار المراكشية ، وكتاب المعجب في تلخيص أخبار المغرب لعبد الواحد المراكشي .

وكان للموحدين سقائف مكسوة أو أسطوان ، أي قاعات تتسع لكل أصنافهم . وكان لهذه السقائف باب عام يعرف بباب الأسطوان يدخل منه الخليفة ويجلس في داخله ، وقد عرفت هذه السقائف باسم متنيقى بالبربرية (أي باب الدار) فهي بمثابة البرلمان في العصر الحديث (٢) . وفيما يلى

- اليسع، وقد ذكره ابن القطان (من ٢٩ - ٣٠) بقوله : وأما ما ذكره اليسع من أمر السبعين فلا أعرفه ولا أراه صحيحا وإنما أعرف العشرة وأهل الخمسين . ويؤيد هذا خلو كلام البيذق ، وابن صاحب الصلاة ، وابن خلدون من ذكر السبعين . ومن المعروف أن اليسع صاحب هذه الرواية هو أبو يحيى اليسع بن عيسى الغافقي الجياني أو البلسي ، كتب لبعض الأمراء في شرق الأندلس ثم رحل إلى مصر حيث صار مقرياً لصلاح الدين الأيوبي ، وكتب له كتاباً بعنوان ، المغرب في أخبار محاسن أهل المغرب ، بل انه تطوع بأن يدعوا للخليفة العباسي في بغداد المستضيء بنور الله على مدير الفاطميين كتجربة أولية ، فقصد المدير وجند الأغذار حوله وسيوفهم مسلطه خوفاً عليه من الشيعة (ابن الآبار : المعجم من ٣٢٢ ترجمة رقم ٣١٥ ، ابن القطان من ٣٠ ، ابن صاحب الصلاة : المن بالإمامية من ١١٩) وتوفي اليسع بمصر سنة ٥٥٧هـ / ١٧٩١م .
 (١) كتاب الأنساب في معرفة الأصحاب (أي أصحاب المهدى) نشره ليفى بروفسال مع تاريخ أخبار المهدى للبيذق تحت عنوان :

(Lévi Provençal : Documents Inédits D'Histoire Almohade P. 29-48, Paris 1928).

(٢) ابن صاحب الصلاة : المن بالإمامية من ٤٢٠ ، ٢٧٥ ; هوبكنز : النظم الإسلامية في المغرب في القرن الوسطى من ١٨٨ ، نقله عن الانجليزية د. أمين توفيق الطيبى (ليبيا - تونس سنة ١٩٨٠) .

J. Hopkins : Medieval Muslim Government in Barbary (London 1958).

عرض موجز لأهم أصناف أو طبقات الموحدين على اعتبار أنها أساس الجيش الموحدى .

(١) العشرة أو أهل الجماعة : وهم مستشارو المهدى ومعاونوه فى إدارة حكمته . وقد أورد صاحب كتاب الأنساب^(١) المهمات المنوطة بكل واحد منهم فقال :

«من ذلك أهل الجماعة ، رضى الله عنهم ، أمير المؤمنين أبو محمد عبد المؤمن بن علي ، كان الإمام المهدى ، رضى الله عنه ، يسميه صاحب الوقت ، اختصه بفرس أحضر . سليمان أحضرى ، وكان يكتب الرسائل عن إذن الإمام المهدى ، واستشهد يوم البحيرة رحمه الله^(٢) . وأبو ابراهيم اسماعيل بن بلالى الهزرجى ، وكان يقضى بين الناس عن إذن الإمام . وأبو عمران موسى بن نمارى الجدميوى ، وكان أمين الجماعة ، واستشهد يوم البحيرة . وأبو عبد الله محمد بن سليمان وكان يوم فى الفريضة عن إذن الإمام المهدى ، واستشهد يوم البحيرة . وأبو حفص عمر بن يحيى الهاشمى^(٣) ، اختصه الإمام المهدى بالدرقة ودعا له بالبركة . وأبوب الجدميوى وهو الذى تولى قسمة الإقطاع بين الموحدين أول الأمر . وأبو عبد الله محمد بن محسن البشير وهو الذى تولى عملية تعييز قبائل الموحدين .

(٢) أهل الخمسين : وهم يلون العشرة ، وهم من أشياخ الموحدين ويماثلة مجلس الشعب فى عصرنا الحديث . وقد أورد أسماءهم كل من ابنقطان وصاحب كتاب الأنساب مع وجود خلافات بينهما . وتتجدر الملاحظة

(١) كتاب الأنساب ص ٣٢-٣٣ .

(٢) حدثت موقعة البحيرة بأحواز مدينة مراكش سنة ٥١٩/١١٢٥ م بين المرابطين بقيادة الشيخ أبي محمد بن واندين وبين الموحدين بقيادة الشيخ أبي محمد بن محسن البشير الذى قتل فى هذه المعركة وقتل معه عدد كبير من المصامدة وانتهت بهزيمة الموحدين .

(٣) اسمه فضكه بن ومزان وسماه ابن تومرت باسم عمر وكناه أبا حفص ، وهو المشهور بعمرايلتنى ، وهو جد الحفصيين بتونس بعد ذلك . واسم الهاشمى نسبة إلى جبل وقبيلة هشانة المصامدة بجبال أطلس .

هنا بصدق مجلس العشرة والخمسين ، أن الأسماء التي أوردها كتاب الأنساب عن أهل الجماعة أو العشرة كانت تزيد على العشرة ، كما أن الأسماء التي أوردها ابن القطان عن أهل الخمسين كانت تقل عن الخمسين وتخرج من هذه الملاحظة أن الغرض من هذه المجالس هو أسماؤها كأنظمة حربية بريبرية بغض النظر عن عدد أعضائها ، أى أنه ليس من الضروري أن يرتبط اسم المجلس بعدد أعضائه في كل وقت . وقد يوضح هذه الفكرة ما نراه اليوم متبعاً في النظام القبلي بالمغرب حيث نجد أن مجلس التقبيلة يسمى آيت أربعين مع أن عدد أعضائه قد لا يصل إلى نصف هذا العدد .

ولقد استمر العمل بنظام هذه المجالس العشرة والخمسين منبعاً بعد عهد الموحدين في زمن الدولة الخصبة بتونس^(١) .

(٣) الطلبة : وكانوا يحتلون مكانة مرموقة في الدولة الموحدية ، وقد قسمهم صاحب المعجب إلى طائفتين : طلبة الموحدين ، وطلبة الحضر :

أ) طلبة الموحدين : كانوا من عني بالعلم من المصامدة ثم سموا بالموحدين بعد أن تسمى المصامدة بالموحدين . وكان الأشياخ من طلبة الموحدين يحضرون مجالس الخليفة ، ويصحبونه في سفره حيث يقرأون خلفه حزيناً من القرآن في نهاية الترتيب وهم سائرون سيراً رفيفاً ، ثم شيئاً من الحديث ، ثم يقرأون تاليف ابن تومرت في العقائد بسانهم وباللسان العربي^(٢) .

ويبدو أن طلبة الموحدين كانوا يعملون بمثابة عمال أو رسل الدولة في سائر أنحاء بلاد المغرب والأندلس . فهناك إشارات في كتاب البيذق لأبي بكر الصنهاجي إلى أسماء طلبة الموحدين الذين أرسلوا إلى القبائل . كذلك يلاحظ أن الرسائل الرسمية الموحدية كانت موجهة إلى الطلبة في مختلف مدن المغرب والأندلس مما يدل على أنهم كانوا يتمتعون بنفوذ إداري كبير . مثال

(١) ابن فضل الله العمرى : مسالك الأنصار في ممالك الأنصار ، الجزء الخاص بوصف إفريقية والأندلس من ٩ وما بعدها ، نشر حسن حسنى عبد الوهاب في مجلة البدر بتونس .

(٢) عبد الواحد المراكشى : المعجب ص ٣٤٢ .

ذلك ابن صاحب الصلاة - الذى يبدو أن يكون هو نفسه واحداً منهم⁽¹⁾ - فى قوله :

، ووجه الخليفة عبد المؤمن وزيره عبد السلام الكومي في قطعة من قطع البحر إلى جزيرة الأندلس ليطلع أحوالها في أقرب مدة ، فوصل إلى اشبيلية ثم إلى قرطبة ثم إلى غرناطة ، وطلع أحوال الأندلس كلها ، وأنهى إلى الطلبة الذين فيها الأوامر العزيزة التي حملها وانصرف إلى أمير المؤمنين بسلامة في خمسة عشر يوماً غاب عنه ،^(٢) . ولعل أبلغ تعبير يدل على سمو مكانة طلبة الموحدين تلك العبارة التي نعتهم بها الخليفة يعقوب المنصور قبيل وفاته حين قال : وهو لاء الطلبة يعني السادات ... الخ^(٣) أى أنه جعلهم في مرتبة الأمراء .

ب) طلبة الحضر: أما طلبة الحضر فهم العلماء الذين كان خلفاء الموحدين يجمعونهم من شتى أنحاء دولتهم في عاصمة ملوكهم مراكش . فهم يكثرون في بعض الأوقات ويقلون كما يقول صاحب المعجب (٤) . ولقد أوردت المصادر المعاصرة أسماء بعض أشياخ طلبة الحضر مثل أبي عبد الله محمد بن عيسى الأنصارى المالقى شيخ طلبة الحضر عند الخليفة عبد المؤمن كما كان وزيره وأمينه ، وكان فقيهاً وخطيباً مفوهاً وأديباً وتوفي بمراكش سنة ٥٧٤هـ (٥) ومثل الخطيب على بن محمد بن خليلالمعروف بابن الأشبيلي شيخ طلبة الحضر على عهد عبد المؤمن وكان الخطيب بين يديه عبد حضور الوفود وتوفي بمراكش سنة ٥٦٧هـ (٦) . ومثل العلماء أبي بكر بن الجد ، وأبي

(١) هويكتز: النظم الإسلامية في المغرب في القرون الوسطى ص ١٨٦ ترجمة أمين توفيق الطيبى .

(٢) ابن صاحب الصلاة : المن بالإمامية على المستضعفين ص ١٧٣-١٧٤ نشر عبد الهادي التازري .

(٣) ابن عذاري : البيان المغرب ص ٢٠٨ .

(٤) عبد الواحد المراكشي : المعجب ص ٣٤٢ ، هوكنز : نفس المرجع ص ١٨٦ .

^(٥) ابن الآبار : التكملة لكتاب الصلة ترجمة رقم ١٣٩٤ .

• ۱۸۶۲ • • • • • : • • (۷)

بكر بن طفيل^(١) ، والفيلسوف ابن رشد وغيرهم ، كانوا كلهم من أشياخ طلبة الحضر على عهد الخليفة يوسف بن عبد المؤمن ، ويصاحبونه في أسفاره^(٢) .

(٤) الحفاظ : يفهم من كتابات المؤرخين أن الحفاظ هم صغار الطلبة أو الشباب المغربي والأندلسي الذين حرص خلفاء الموحدين على إعداده وتربيته تربية عسكرية إسلامية ، وتأهيله لتولي مناصب الإدارة والقيادة في الدولة . وقد سبقت الإشارة إلى النظم التربوية التي اتباعها الموحدون في سبيل إعدادهم لهذا الهدف ، مثلهم في ذلك مثل طيبة الموحدين كذلك . وهذا التقارب قد يرجح أن الطلبة والحفاظ كانوا من طائفة واحدة . مثال ذلك قول ابن صاحب الصلاة : « وضبط أشباعية السيد الأعلى أبو يعقوب يوسف رضي الله عنه بسعده وحزنه وبمن كان عنده من حفاظ الموحدين الكبار ، وطلبتهم أعزهم الله »^(٣) .

ويقول ابن عذاري في وصف شجاعتهم : « وفي سنة ٦٠٦ هـ ثبت الشيخ أبو محمد بن أبي حفص ، صاحب أفريقية بمركزه بقلب الساقية مع من كان معه من أهل الحفاظ الصابريين »^(٤) .

(٥) أهل السدار : هؤلاء كانوا جماعة من أصحاب المهدى الذين اختصوا بخدمته ليلاً ونهاراً . ويبدو من المصادر أن بعض رجال هذه الطبقة كانوا يحملون أيضاً بعض لقاب الطبقات الأخرى مثل العشرة والخمسين والحفظ . ولعل ذلك كان من باب التشريف فقط .

ومن الشخصيات البارزة في هذه الطبقة : أبو محمد واستار الذي كان مختصاً بخدمة المهدى ، وقد وصفه عبد الواحد المراكشي بقوله : « وهو رجل

(١) يروى عبد الواحد المراكشي (المعجب ص ٣١٢) أن أبي بكر بن طفيل كان يأخذ الجامكية مع عدة أصناف من الخدمة .

(٢) ابن صاحب الصلاة : المن بالإمامية ص ٤٩٦ - ٢٩٧ .

(٣) ١ ١ ١ ١ ١ ص ١١٩ .

(٤) ابن عذاري : البيان المغرب ص ٢٣١ - ٢٣٢ (القسم الثالث الخاص بالموحدين (تطوان سنة ١٩٦٠) .

دباغ أسود من أهل مدينة أغمات ، صحب ابن تومرت حين مرّ بها ، فاختصه لخدمته لما رأى من شدته في دينه وكتمانه لما يرى ويسمع فكان يتولى وضوءه وساواكه والإذن عليه للناس ، وحجابته ، والخروج بين يديه . فلم يزل على ذلك إلى أن توفي ابن تومرت سنة ٥٢٤ هـ فكان يتولى خدمة ضريحه وضريح عبد المؤمن حين دفن هناك . وتوفي واستار هذا في صدر دولة أبي ععقوب يوسف بعد أن علت سنته ، (١).

(٦) **قبائل الموحدين :** هم قبائل الموحدين الأصليين التي انضمت إلى المهدى بمقتضى عملية التمييز التي قام بها أحد أصحاب المهدى المقربين وهو أبو عبد الله محمد بن محسن البشير . ثم يلى هؤلاء أسماء القبائل الأخرى التي انتصافت إليها بعد ذلك وعرفت باسم المضاف أو المهاجرين . ولقد آخى البشير في هذا التمييز بين الموحدين الأصليين وبين المهاجرين أو المضافين ، تشبيهاً بما فعله الرسول (صلوات الله عليه) في إخاء المهاجرين بالأنصار . وتعطينا المصادر قائمة بأسماء هذه القبائل الموحدية عموماً . وتتفق جميعها على أسماء هرغة ، وأهل تيدمل ، وهناتنة ، وجدميوه ، وجفنيسة ، ولكنها تختلف حول بعض القبائل الأخرى مثل كومية الزناتية ، فالبعض يذكرها والبعض لا يذكرها . وهذا أمر طبيعي لأن قبيلة كومية في بداية الدعوة الموحدية كانت تعيش بعيداً عن المغرب الأقصى في نواحي تلمسان بالمغرب الأوسط على ساحل البحر المتوسط ، ولا يمثلها في مدينة مراكش سوى أفراد قلائل أمثال عبد المؤمن بن على الكومي . ولكن عندما ولى عبد المؤمن خلافة الموحدين بعد المهدى ، عمل على تدعيم مركزه باستدعاء قبيلاته كومية . فهاجرت إلى المغرب الأقصى في جموع كبيرة حتى صارت على رأس القبائل الموحدية ، وفي ذلك يقول صاحب المعجب :

، ثم قبيلة عبد المؤمن ، تسمى كومية ، وهى قبيلة كثيرة العدد ، جمّة الشعوب ، لم يكن لها فى قديم الدهر ولا فى حديثه ذكر فى رياضة ، ولا حظ من نباهة ، وإنما كانوا أصحاب فلاحه ورعاة غنم ، وأصحاب أسوق يبيعون

(١) عبد الواحد المراكشي : المعجب ص ٣٢٨ - ٣٣٩ وكذلك (هوكلز : نفس المرجع ص ١٦٢)

فيها اللبن والخطب وسوى ذلك من سقط المتع ! فتبارك المعز المذل المعطى المانع ! فأصبح القوم اليوم وليس فوقيهم أحد ببلاد المغرب ، ولا تطاول أيديهم يد ، لكون عبد المؤمن منهم ، (١) .

(٧) عبيد المخزن : المخزن اسم يطلق في المغرب الأقصى حتى الآن على دوائر الحكومة بصفة عامة والإدارة المالية بصفة خاصة . ويفهم من كلام البيذق ، أن طبقة عبيد المخزن في أصل تكريتها ، كانت من العبيد السود ، وذلك في قوله في الباب المخصص لغزوات المهدي : «اعلم يا أخي أن الله تعالى لما أزعج سيدنا المعصوم لغزارة تازاكورت Tazagurt ، فتحها الله وكانت يومئذ بلا سور ، فأخذنا بها عبيداً ، فقال المهدي لميمون الكبير : «خذ هؤلاء أخوتك ، أى في اللون ، وكانت الفتى مع عبيد آزليم Azallim (أى الذين أسروا في آزليم) فسماه المعصوم عبيداً المخزن» ، (٢) .

فإذا كان المراد بعبيداً المخزن - على هذا الأساس - هم العبيد السود من أهل غانية والسودان ، فإنه من المعروف أن الموحدين قد اتخذوا منهم أعداداً كبيرة (٣) . فيروى صاحب القرطاس أن الخليفة الناصر الموحدى كان لديه في موقعة العقاب ثلاثين ألف عبد يمشون بين يديه ويدورون حوله بالحراب (٤) .

كذلك يشير صاحب المعجب إلى الخصيابان والعبيد السود الذين اتخذهم خلفاء الموحدين حجاباً لهم مثل أبي المسك كافور الشخصى الذى كان حاجباً لل الخليفة أبي يعقوب يوسف ، ومثل عنبر الشخصى ، وريحان الشخصى من حجاب ولده أبي يوسف يعقوب المنصور ، (٥) .

ويبدو أن اختلاط الموحدين بالسودانيات قد انعكس على لون بعض أفراد

(١) عبد الواحد المراكشى : المعجب ص ٣٣٩ .

(٢) أبو بكر الصنهاجى المكنى بالبيذق : أخبار المهدى بن تومرت ص ٧٧ (نشر بروفسار) وص ٧٠ (نشر حاجيات) .

(٣) ابن عذارى : البيان المغرب (القسم الثالث) ص ١٧٤ ، ١٨٠ .

(٤) ابن أبي زرع : روض القرطاس ص ٢٤٠ .

(٥) عبد الواحد المراكشى : المعجب ص ٣١٠ - ٣٣٨ .

ذريتهم مثال ذلك الخليفة الموحدى أبو الحسن على بن ادريس المأمون بن يعقوب المنصور الملقب بالسعيد ، وكان أسود اللون حتى قيل إن والى سجلماسة عبد الله بن زكريا الهزرجى رفض مبايعته ، وقال : كيف أبايع أسوداً جبشاً؟^(١) .

وعلى الرغم من هذا الاعتقاد السائد بأن عبيد المخزن كانوا من السودان، فإن بعض المصادر خالفت هذا الرأى مثل كتاب الأنساب الذى أطلق اسم عبيد المخزن على قبائل لمطة وجزلة وغيرها من قوات المرابطين التى استسلمت للموحدين وانضمت لطبقة عبيد المخزن^(٢) . أما العمرى ، فإنه حين يتكلّم عن الدولة الحفصية وموكب السلطان الحفصى فى تونس ، فإنه يطلق اسم عبيد المخزن على أهل الأسواق وعوام البلد الذين كانوا يتقدّمون الموكب مع عبيد جناوة^(٣) .

(٤) الغزاة : من المعروف أن الغزاة (جمع غازى) هم المجاهدون فى سبيل الله ، غير أن ابن القطان عرّفهم يقوله : « وهم الأحداث الصغار الأميون » . وقد ترجم ليثى بروفسال لفظ الغزاة بكلمة Champions وفسرها بأنها الحرس الخاص بالإمام ، وألّيده المستشرق الأسبانى أوينى ميراندا فى ترجمته لكتاب الحل الموسى ، وأصناف كلمة الرماة Arqueros ملتزمًا بنص الحال الموسى ، الغزاة الرماة ،^(٤) .

وقد اعرض الدكتور محمود مكي ، محقق كتاب ابن القطان ، على كلمة الغزاة ، وقال إنها لا بد وأن تكون « الغرّات » ، جمع غرّ ، كى يتفق معناها مع

(١) ابن عذارى : البيان المغرب من ٣٥٩-٣٦٠ .

(٢) كتاب الأنساب نشر ليثى بروفسال :

(Levi Provençal : Documents inédits P. 46) .

(٣) ابن فضل الله العمرى : مسالك الأبصار ، الجزء الخاص بوصف إفريقية والأندلس ص ١٠ ، نشر حسن حسنى عبد الوهاب ، وكذلك (هوينز : نفس المرجع ص ١٧٠) .

(٤) الحل الموسى ص ٨٩ حيث وضع الغزاة والرماة فى الصحف الثالث عشر .

الأحداث الصغار (١).

كذلك وردت كلمة الغزاة في كتاب الأنساب بتفسير آخر مختلف يقول فيه : « والمصناف هم المسمون بالغزاة عن إذن أمير المؤمنين أبي يوسف يعقوب المنصور » (٢). بمعنى أن الخليفة المنصور قد أمر بإطلاق لفظ الغزاة على القبائل والعنابر التي كانت تصاف وتضم إلى الموحدين والتي كانت تسمى قبل ذلك بالمصناف والمهاجرين . ويبدو أن هذا التفسير الأخير أقرب إلى المعقول من تفسير ابن القطان لأنه يتمشى مع طبيعة نمو دولة الموحدين واسعها .

ولم يلبث لفظ الغزاة أن اتسع مدلولة حتى شمل المحاربين في البحر أيضاً، إذ صار يطلق عليهم غزاة البحر وغزاة الأسطول في أواخر عهد الموحدين (٣) . أما في البر فقد ارتفعت مكانة الغزاة في عهد دولة بنى مرين أو بنى عبد الحق عندما صاروا هم أنفسهم شيوخاً للغزاة في الأندلس لأنهم كما يقال « يعسوب زنانة ، أى أمراؤها ورؤساؤها » (٤) .

(٩) **الطبالة** : أفرد لها كتاب الأنساب طبقة خاصة بها لأهميتها في ميادين الحرب والسلام في عهد الموحدين . كان أفراد هذه الطبقة من العبيد السود . وعلاقة طبل السودان له ما يبرره حتى الآن ، إذ أن طبل مازال يعرف باسم طبل جناوة نسبة إلى غينيا بين السنغال والكونغو في السودان الغربي . يقول العمري في هذا الصدد : « وكانت تحدُّ إفريقية جنوباً الصحراء

(١) ابن القطان : نظم الجuman ص ٢٨ حاشية ٣ ، وقد وضعهم في الصنف الرابع عشر والأخير ، وتجدر الإشارة هنا إلى أن عباره « الغزاة والرماة » ، تذكرنا بعبارة الأغذار والرماة ، التي وردت في بداية عهد يوسف بن تاشفين أى قبل وصول الأغذار الأتراك إلى المغرب (القرطاس من ١٣٩ ، أعمال الإعلام من ٢٣٥) وهذا يحملنا على الاعتقاد بوجود خلط بين الغزاة والأغذار في بعض المصادر .

(٢) كتاب الأنساب ٤٧ .

(٣) هربرت : نفس المرجع من ١٨٧ .

(٤) راجع كتابنا (دراسات في تاريخ المغرب والأندلس من ٤٤٥) .

الفاصلة بينها وبين بلاد جنواة المسكنة بأمم السودان^(١) . وسوف ترد الإشارة في الجزء الخاص بالأسلحة إلى وصف طبول الموحدين الضخمة التي تسمع على مسيرة نصف يوم .

(١٠) الجناد أو الأجناد : وهم الجنود النظاميون المحترفون أو المرتزقة الذين يتتقاضون أجراً ثابتاً على رأس كل شهر . فهم في أوقات ينضمون إلى الجيوش المحاربة ، وفي أوقات السلم ينضمون إلى الحرس الخاص بالسلطان أو الخليفة في العاصمة مراكش . ولعل السبب في استخدامهم يرجع إلى أن الجندي الغريب عن وطنه يكون في العادة أكثر طاعة وأشد ولاء للسلطان من أي فرد آخر من ذوى النفوذ القبلي أو العائلي . فلو أنه فكر يوماً في العصيان أو الثورة ، لما وجد تأييداً أو سدداً محلياً من الأهالي بحكم كونه غريباً عندهم ولا تربطه بهم روابط الدم أو العصبية . ولهذا كان من الطبيعي أن يكون ولاؤه لسيده ولوي نعمته الخليفة أو السلطان .

وكانت المدن هي المكان الطبيعي المناسب لإقامة هؤلاء الجناد الغرباء ، إذ ليس من المعقول أن يتركوا المدن ويقيموا في البوادي بجوار قبائل البربر التي قد لا تسجم معهم . ويمكن أن يقال مثل هذا الكلام على سكان البوادي الذين فضلوا ترك مواطنهم الأصلية وهاجروا إلى المدن حيث عاشوا فيها كغرباء بعد أن انقطعت الصلة بينهم وبين أهليهم وعشائرهم .

ولما كان الموحدون قد نشأوا في الأصل على نظام قبلى في جبال أطلس بعيداً عن المدن وأهلها ، فإنهم بعد أن احتلوا المدن المغربية ، وجدوا أن أهالى تلك المدن لا محل لهم في طبقاتهم أو أصنافهم العسكرية ، ولهذا عملوا على تجنيدهم كقوة عسكرية منفصلة وأطلقوا عليها اسم الجناد أو الأجناد . هذا ما يمكن استنتاجه من النصوص التي وردت في هذا الصدد : فصاحب كتاب روض القرطاس يفرق دائماً بين الجناد وقبائل الموحدين^(٢) . وكذلك ابن

(١) ابن فضيل الله العمري : مسالك الأنصار ، الجزء الخاص بوصف إفريقية ، ص ٢ ، مجلة الدر ، نشر حسن حسلى عبد الوهاب .

(٢) ابن أبي زرع : روض القرطاس ص ١٤٠ .

صاحب الصلاة في قوله : فتقدم السيد أبو سعيد بالموحدين والجند الأندلسيين حتى وصل فحص غرناطة ^(١).

ويقول عبد الواحد المراكشي في هذا الصدد : « وللمصادمة (أى الموحدين) بعد هذا جند من سائر أصناف الناس كالعرب والغز والأندلس والروم وقبائل من المرابطين وغيرهم » ^(٢).

أما صاحب كتاب الأنساب فيعرف الجند بأنهم من أهل أغمات وغيرهم من أهل الحضر (أى المدن) ^(٣). وعلى هذا الأساس يمكن القول بأن جيش الموحدين كان ينقسم بصفة عامة إلى طبقتين ، أو صنفين وهما :

أ- الجند : وهم الجيش الثابت الذى يعسكر فى العاصمة والمدن الكبرى .

ب- القبائل : وهى التى كانت تقيم فى موطنها ولا تحمل السلاح إلا إذا دعيت إلى الحرب والجهاد .

وقد يوضح هذا التقسيم قول عبد الواحد المراكشي :

«وجيوش الموحدين صنفان :

الصنف الأول : يدعون ، الجميع ، وهم المرتزقة الذين يكونون بمراكش لا يبرحونها . والصنف الآخر : يدعون ، العموم ، وهم الكائنون ببلادهم لا يحضرون إلى مراكش إلا في التغير الأعظم ^(٤).

فالجموح هنا ترادف كلمة الجند ، والعموم ترادف قبائل الموحدين .

ويؤيد ذلك قول ابن عذاري : وأمر الخليفة يوسف بن عبد المؤمن بتفرق العموم ورجوع كل واحد منهم إلى قبيلته ^(٥) . وقوله في مكان آخر : واستنفر

(١) ابن صاحب الصلاة المن بالإمامية ص ١٩٢ .

(٢) عبد الواحد المراكشي : المعجب ص ٣٤١ .

(٣) كتاب الأنساب نشر ليفي بروفنسال ص ٤٧ .

(٤) عبد الواحد المراكشي : المعجب ص ٣٤١ وكذلك (هوبكينز : النظم الإسلامية في المغرب في القرون الوسطى ص ١٨٢ - ١٨٣) .

(٥) ابن عذاري : البيان المغرب - القسم الثالث - ص ١٣٧ .

العموم من القبائل (١).

وإذا تناولنا أصناف الجموع أو الجنود المرتزقة ، نجد أنها متعددة الطوائف مثل : جموع الأندلسيين ، والأغزاز ، والعرب ، والأكراد ، والروم ، وغيرهم كما هو مبين فيما يلى :

١- **الأندلسيون** : طوع عدد كبير من الأندلسيين كجنود مرتزقة في الجيش الموحدى بالمغرب ، وكان مقرهم العاصمة مراكش ، ويريد ذلك قول ابن صاحب الصلاة :

، واختص السيد الأعلى أبو حفص بن الخليفة يوسف بن عبد المؤمن ، من الصنف الأندلسي أشياخاً فرساناً أبطالاً من الأجناد الساكنيين بحضور مراكش من أهل الأندلس ، انتخبهم ، واستصحبهم مع نفسه لمعرفتهم بالأندلس وحروبيها ولغاتها ، (٢).

وهذا قصة طريفة لها صلة بهذا الموضوع رواها عن نفسه ولد الله الشيخ الصوفى أبو مدين شعيب الأنصارى الأندلسي دفين تلمسان سنة ٥٩٤هـ / ١١٩٧م ، وقد أوردها ابن الزيات التارى فى كتابه التسحوف إلى رجال التصوف يقول فيها :

، حدثى محمد بن ابراهيم الأنصارى قال : سمعت أبا مدين يحدث بيده أمره يقول :

، كنت بالأندلس يتبعياً ، بنواحي اشبيلية ، فجعلنى أخوتى راعياً لهم لمواشיהם ، فإذا رأيت من يصلى أو من يقرأ . أعجبنى ودنوت منه ، وأجد فى نفسي غماً لأنى لا أحفظ شيئاً من القرآن ولا أعرف كيف أصلى . فقررت عزيمتى على الفرار لأنعلم القراءة والصلاه . ففررت ، فلحقنى أخي وبهذه حرية ، فقال لي : والله لدن لم ترجع لأقتلنك ! فرجعت وأقامت قليلاً ، ثم قررت عزيمتى على الفرار ليلاً ، وأسررت ليلة وأخذت فى طريق آخر ،

(١) ابن عذارى : نفس المصدر ص ١٩٨ .

(٢) ابن صاحب الصلاة : المن بالإمامه من ٤٠٠ نشر عبد الهاوى التازى .

فأدركني أخي بعد طلوع الفجر ، فسلَّ سيفه على وقال لي : والله لأقتلك
وأستريح منك ! فعلاني بسيفه ليضربني ، فتلقيته بعود بيدي ، فانكسر سيفه
وتطاير قطعاً ! فلما رأى ذلك قال لي : يا أخي ! اذهب حيث شئت ! فذهبت
إلى البحر وعبرت إلى طنجة ، ثم ذهبت إلى سبته ، فكنت أجير الصيادين ، ثم
ذهبت إلى مراكش فدخلتها ، وأدخلني الأندلسيون معهم في جملة الأجناد ،
فكانوا يأكلون عطائني ولا يعطونني منه إلا اليسير . فقيل لي : إن رأيت أن
تتفرغ لدينك فعليك بمدينة فاس ، فتوجهت إليها ولزمت جامعها ... الخ (١) .

يتضح من النص السابق أن الأندلسين انخرطوا في جلة الأجناد أو الجنود
المرتزقة المقيمين في العاصمة مراكش . وكانوا في العادة من المشاة الرماة ،
ويرمون بقوس الرجل أو القسيّة الفرنجية التي اعتاد على استعمالها أهل
الأندلس (٢) .

بـ- الغز أو الأغزان : المعروف أن الأغزان أو الغز ، هو الاسم العربي
لقبائل الأوغوز التركية التي هاجرت من أوسط آسيا إلى شرق العالم الإسلامي
حيث اعتدلت الإسلام و منهم كانت دولة السلاجقة وممالكها الأتراك الذين

(١) ابن الزيات التادلي (توفي سنة ٦٢٧هـ) : التشوف إلى رجال التصوف ص ٣١٧ ،
نشر أوليف فور (الرياط ١٩٥٨) ومن المعروف أن الشيخ أبو مدين شعيب الأنصاري
الأندلسي ، لما انتقل إلى المغرب درس على مشايخ عصره مثل أبي يعزى يلدور ،
والدقاق . ثم ذهب إلى الحجاز لتأدية فريضة الحج وهناك قابل عبد القادر الجيلاني
مؤسس طائفة القادرية أو الجيلانية ، فدرس عليه وليس خرفة التصوف على بيده . ولما
عاد إلى المغرب استقر في بجاية بالجزائر ، ودرس عليه عدد كبير من المتصرفين
المعروفين أمثال سيدي حرازم ، ومحبي الدين بن عربي . وفي سنة ١١٩٧هـ / ١٥٩٤ م
استدعاه الخليفة الموحدى يعقوب المنصور إلى العاصمة مراكش فرحل إليها ولكنه توفي
قرب تلمسان ودفن في قرية العباد خارجها .

راجع شعره الديني في (كتاب الجراهر الحسان في نظم أولياء تلمسان ، نشر عبد الحميد
 حاجيات الجزائر سنة ١٩٨٢) وكذلك (أحمد بابا التمبكتي : نيل الابتهاج بتطريز
الديبايج من ١٢٢٧ ، المقرى : نفح الطيب ج ٩ ص ٢٤٢ ، نشر محبي الدين عبد
الحميد) .

(٢) ابن هذيل : حلية الفرسان وشعار الشجعان من ٢١١ نشر محمد عبد الفتى حسن
(مجموعة ذخائر العرب رقم ٦) .

شاركوا في تكوين جيوش الدولة الأيوبية في الشام ومصر ، وانساح بعضهم غرباً إلى إفريقية حيث عرفوا هناك باسم الغز أو الأغذاز في القرن السادس الهجري (١٢م) . والعجيب في الأمر أن بعض المصادر المغربية أشارت إلى استخدام الأغذاز في جيوش المغرب كجنود مرتزقة في أواسط القرن الخامس الهجري (١١م) أي قبل تاريخ وصولهم إلى هناك بنحو قرن من الزمان . فيروى كل من ابن الخطيب ، وأبن أبي زرع أن أمير المرابطين يوسف بن تاشفين استركب في بداية عهده ، الأغذاز والرماة ، سنة ٥٤٥هـ / ١٠٦٢م (١) . ولعل صحتها ، الغزاة والرماة ، لأن هذا التاريخ متقدم عن موعد وصولهم إلى المغرب وهو القرن السادس الهجري (١٢م) مع بداية عهد الموحدين (٢) .

ففي ذلك الوقت - أي في القرن السادس الهجري - بداية عهد الموحدين - كان يحكم مصر الملك الناصر صلاح الدين الأيوبى ، وكانت جيشه تشمل على طوائف مملوكية تركية تسمى بأسماء أسانذتها وقادها مثل الأسدية (نسبة إلى أسد الدين شيركوه) ، والصلاحية (صلاح الدين) والعادلية (العادل أخوه) وهكذا . ويبدو أن المنافسات التي كانت تحدث عادة بين هذه الطوائف ، قد دفعت ببعضها إلى ترك الديار المصرية ، ففي سنة ٥٦٨هـ / ١١٧٢م خرجت طائفة من المماليك الأسدية بقيادة شرف الدين قراقوش التقوى (٣) مملوك الأمير تقى الدين عمر بن شاهنشاه بن أبيب إلى المغرب الأدنى لعلها تجد متنجعاً هناك خارج مصر . فاستولت على طرابلس ودعت

(١) ابن الخطيب : أعمال الأعلام ص ٢٣٥ - القسم الثالث الخاص بتاريخ المغرب - ابن أبي زرع : روض القرطاس ص ١٣٩ .

(٢) من المعروف أن موقعة ملاذكرد التي انتصر فيها السلاجقة على البيزنطيين في أعلى القرات شمال بحيرة قان ، كانت في سنة ٥٤٦هـ / ١٠٧١م . ومن ثم أخذت قواتهم في الانتشار شرقاً وغرباً بعد ذلك .

(٣) يلاحظ أن قراقوش التقوى مملوك آخر غير بهاء الدين قراقوش الأسدى نائب صلاح الدين في القاهرة ، وإنما هو قراقوش الغزى التقوى مملوك تقى الدين عمر بن أخي صلاح الدين الأيوبى صاحب حماة (٥٨٦-٥٧٤هـ) وجده المزرك أبي الفداء صاحب كتاب المختصر في أخبار البشر .

لصلاح الدين وأنشأ جالية مملوكية تركية يبدو أنها كانت أصل العلاقات المضطربة بين مصر والمغرب أيام الأيوبيين والمماليك^(١).

ولقد أشار صاحب المعجب إلى بداية ظهور الغز في المغرب بقوله : « وفي أيام الخليفة أبي يعقوب يوسف الموحدى ، ورد علينا أول من وردها من الغز وذلك في آخر سنة ٥٧٤ هـ (١١٧٨ م) وما زالوا يكترون عندنا إلى آخر أيام أبي يوسف يعقوب المنصور »^(٢).

ولقد اقترن أحداث ظهور الغز في المغرب بأحداث ثورة بنى غانية المرابطين حكام جزر البليار الذين ثاروا ضد الموحدين وأعلنوا عودة حكم المرابطين والدعاة لبني العباس في بغداد ، وخرجوا بأساطيلهم نحو سواحل تونس والجزائر ولاد الجريد ، واستولوا على أهم مدنهما ، وتحالفوا مع أعراب بنى هلال وسلمي المقimين هناك ، كما تحالفوا أيضاً مع جنود الغز المرتزقة بقيادة فراقوش التقوى الغزى ، وأخذوا يثيرون الفتنة هناك ضد نفوذ الموحدين في شمال أفريقيا ، وتمكنوا من قتل قائدهم أبي الحسن بن الريتير ، وعدد كبير من أشياخ الموحدين عند بلدة عمرة من أعمال قفصة سنة ٥٨٣ هـ / ١١٨٧ م.

وأمام هذا الموقف المتدهور ، اضطر الخليفة الموحدى يقارب المنصور إلى الخروج إليهم بجيشه وأساطيله ، وحرص على عدم استصحاب عرب المغرب الأقصى معه خوفاً من خيانتهم وانضمائهم إلى إخوانهم عرب أفريقيا بدافع العصبية . وعند بلدة الحمة شمالي توزر في بلاد الجريد ، وفي يوم كثير الضباب ، انتصر المنصور على الثوار ، وفر على بن غانية المعروف بالميرقى إلى الصحراء محتمياً بها فمات فيها وخلفه أخوه يحيى من بعده سنة ٥٨٥ هـ / ١١٨٨ م.

أما فراقوش وجنوده الأغراز وحلفاؤه الأعراب ، فقد عفا عنهم المنصور

(١) ابن واصل : مفرج الكروب في أخبار بني أيبوب ج ١ ص ٤٢ ، نشر جمال الدين الشيال (راجع كذلك) دائرة المعارف الإسلامية مادة ، القرك ، كتبها بارتولد .

(٢) عبد الواحد المراكشي : المعجب في تلخيص أخبار المغرب ص ٢٥٩ .

وأصطبغهم في جيشه ، وأرسل عدداً كبيراً منهم إلى الأندلس برسم الجهاد^(١). وتشير المصادر إلى أن الأغزاز والرماة كانوا في مقدمة جيش المنصور في موقعة الأرك Alarcos المشهورة بالأندلس التي انتصر فيها على الأسبان بقيادة الفونسو الثامن سنة ٥٩١ هـ / ١١٩٥ م^(٢).

ويبدو أن المنصور كان معجباً بشجاعة هؤلاء الغز وإخلاصهم إذ بالغ في إكرامهم وأصطحب قادتهم معه في رحلاته وتنقلاته . ويروى صاحب المعجب في هذا الصدد قصة طريفة تقوم على نبوءة للمهدي ابن تومرت بأن أمراء أهل مصر سوف يستظلون بشجرة الخروب التي أمام المسجد في تينمل . فحينما جاء يعقوب المنصور وجلس مع قواد الغز تحت الشجيرة ، احتفل الناس بذلك واتصل التكبير من كل جهة ، وجاء النساء يولون ويضربن بالدفوف ويقلن صدق مولانا المهدى !^(٣)

ويضيف صاحب المعجب أن الخليفة المنصور جعل للغز مزية ظاهرة على أشياخ الموحدين إذ جعل للغز جامكية مستمرة كل شهر لا تختل ، بينما كانت جامكية الموحدين كل أربعة أشهر أى ثلث مرات في السنة ، وعلل ذلك بأن الغز غريباء ولا شيء لهم في البلاد يرجعون إليه سوى هذه الجامكية ، بينما كان للموحدين الإقطاعات والأموال المتصلة^(٤) .

وقد أيد ابن عذاري هذا الكلام مشيراً إلى أن الخليفة المنصور أوصى بالأغزاز خيراً قبيل وفاته في قوله : « وهؤلاء الأغزاز أمرنا لهم بهذه البركة يأخذونها ، فائزوكوها على ما رتبنا وربطنا لأن الموحدين لهم سهام (اقطاع)

(١) راجع التفاصيل في (ابن عذاري : البيان المغرب من ١٦٢ - ١٦٩) وكذلك الرسائل السلطانية التي بعث بها المنصور إلى طلبة مراكش يصف فيها انتصاراته في إفريقية في :

(Levi Provençal : Les trente-sept lettres officielles almohades P. 180-210).

(٢) ابن أبي زرع : بعض القرطاس من ٢٢٦ .

(٣) عبد الواحد المراكشي : المعجب من ٢٩١ .

(٤) عبد الواحد المراكشي : المعجب من ٢٨٩ .

يرجعون إليها ، وليس للأغذاء سهام ، (١) .

ومنذ ذلك الحين استمر الجنود الغز يعملون في جيوش الموحدين بل وفي
جيوش دولة بنى مرين أو بنى عبد الحق بعد ذلك حيث وصفهم ابن الخطيب
بقوله :
، وتقدمت كراديس الغز الرماة الناشبة ، (٢) .

ج- العرب : اعتمد الموحدون منذ بداية دولتهم على عرب إفريقية
المهلاوية على نطاق واسع . وقد سبقت الإشارة إلى اعتماد المرابطين على
طائفة منهم عقب تغريبهم من مصر إلى إفريقية . ولكن الأمر الذي لا شك فيه
هو أن الموحدين كانوا أول من عمل على جلب العرب من إفريقية على نطاق
واسع للاشتراك معهم في جهاد المسيحيين في إسبانيا . وكان الخليفة المروحي
الأول عبد المؤمن بن علي القمي أول من فعل ذلك تقريراً إليهم بحكم هذا
الأصل العربي المشترك الذي أعطاه حقاً شرعياً لخلافته الجديدة بالغرب .
وقد اقتفى أثره أبناءه من بعده ، وأوزعوا إلى الشعراة ثبات ذلك في كتاباتهم ،
فجد شعراً الموحدين يدعونهم بأسماء العم ويدركونهم بصلة النسب وشائع
القربى التي تجمع الموحدين مع العرب في قيس عيلان .

وقد نسب لعبد المؤمن نفسه قصيدة في هذا الصدد يقول فيها مخاطباً
العرب :

أقيموا على العلياء هُوجَ الرواحلَ وَقدوا إلى الهيجاء جُرْدَ الصواهِلِ (٣)

وهذاك قصيدة الفيلسوف الشاعر أبي بكر بن طفيل الذي خاطبهم بقوله :

أقيموا صدر الخيل نحو المغرب لغزو الأعداء واقتقاء الرغائب (٤)

(١) ابن عذاري : البيان المغرب من ٢٠٨ .

(٢) ابن الخطيب : نفاضة الجراب في علة الاغتراب من ٣١١ نشر أحمد مختار العبادي .

(٣) ابن صاحب الصلاة : المن بالإمامية من ٤١٥ ، المعجب من ٢٢٥ والمقصود بالهروج
أى السريعة .

(٤) ابن صاحب الصلاة : نفس المصدر من ٤١١ حاشية ٢ .

ويقال إنه لما وصلت هاتان القصيدين إلى العرب في إفريقيا والزارب والقيروان ، هبوا لطلبية النساء ومعهم أحمال الأموال ، والخيل العراب ، العتاق الأحساب ، المدرية عند الأعراب ^(١) .

كذلك عمد خلفاء الموحدين أثناء حملاتهم على المغاربيين الأدنى والأوسط ، إلى جلب أعداد من كل قبيلة عربية بعثا لهم وأبنائهم ، فعادوا ومعهم منعرب جسم ورياح ولنی عدى وغيرهم ، ما يضيق بهم الفضاء ، على عدد الذباب وعدد الحصاء ، على حد قوله ^(٢) .

ولقد عبر عدد كبير من هؤلاء الوفدين إلى الأندلس برسم الجهاد منذ عهد الخليفة عبد المؤمن الذي رتبهم فيها - كما يقول صاحب المعجب - فجعل بعضهم في نواحي قرطبة ، وبعضهم في نواحي إشبيلية مما يلى مدينة شريش وأعمالها ، فهم بها باقون إلى وقتنا هذا وهو سنة ٦٢١هـ (١٢٢٣م) وقد انتشر من نسلهم بتلك المواقع خلق كثير ، وزاد فيهم أبو يعقوب يوسف ، وأبو يوسف يعقوب (المتصور) حتى كثروا بذلك ، وبالجزيرة (أى الأندلس) من زغبة ورياح وجشم بن بكر وغيرهم نحو من خمسة آلاف فارس سوى الرجال ، ^(٣) .

أما في المغرب فقد استقرت هذه القبائل العربية في مواطن مختلفة ، نذكر على سبيل المثال : عرب زغبة الذين تحيزوا للموحدين ضد بنى غانية منذ بدئ الأمر ، فراعوا لهم ذلك فصيروهم السابقين الأولين من العرب عند التمييز لتقديمهم في التوحيد ^(٤) . كما جعلوهم يداً واحدة مع ببر بنى باديس في حماية المغرب الأوسط . ثم انتقلت فروعهم من بنى عامر ولنی مالك والحسين إلى س肯ى المغرب الأقصى بنواحي القنيطرة الحالية وسلا والعراشق وطلجة . وهناك عرب الخلط من جسم الذين أسكنهم يعقوب المتصور بسيط

(١) ابن صاحب الصلة : نفس المصدر ص ٤١٨-٤١٩.

(٢) ٠ ٠ ٠ : ص ١٤٤ ; ابن أبي زرع : روض القرطاس ص ١٩٩ .

(٣) عبد الواحد المراكشي : المعجب ص ٢٢٦ .

(٤) ابن صاحب الصلة : المن بالإمامية ص ٤٣٥ ، ص ١٦٩ حاشية .

تامسنا (الشاوية) وكانت لهم بعد ذلك فتن وحروب مع خلفاء الموحدين وملوك بنى مرين . كذلك ذكر عرب سفيان وهم من جسم أيضاً الذين أسكنهم المنصور قرب مدينة آسفى ثم انتقلوا شمالاً إلى بسيط الغرب على ساحل المحيط . هذا إلى جانب عرب رياح من بنى هلال الذين نقل منهم المنصور قبائل قوية إلى المغرب الأقصى . وعرب المعقل ومنهم عرب الوداية بأحواز فاس وبلاد السوس قبل انتقالهم في العصر العلوي إلى قصبة الرياط التي سميت باسمهم الوداية . ومن المعقل أيضاً ذوى حسان الذين سكنوا سهول شجريط أو موريطانيا الحالية (١) .

ولا شك أن هؤلاء العرب الوافدين قد ساعدوا على تعريب المغرب وصبغه بالطابع العربي هذا إلى جانب دورهم الإيجابي في أعمال الحرب والجهاد في إسبانيا .

غير أن المصادر المغربية تأخذ على هؤلاء الأعراب عدة سلبيات مختلفة نذكر منها ما يلى :

- ١ - الخوف من خيانتهم وانضمائهم إلى أخوانهم الثائرين مع بنى غانية في إفريقية لدرجة أن الخليفة يعقوب المنصور أضرب عن تجنيدهم عند تعبئة جيوشه التي قادها إلى هناك (٢) .
- ٢ - اتهامهم بعدم القدرة على القتال إلا على البساط والأماكن الفسيحة ، أما الجبال الوعرة فلا قدرة لهم على القتال فيها (٣) .
- ٣ - اتهامهم بأعمال الفوضى والشغب واللامبالاة عند التمييز أو توزيع البركة ، أو عند العبور على الجسور أثناء سير الحملات .

(١) راجع التفاصيل في (عبد الوهاب بن منصور : قبائل المغرب ج ١ ص ٤٢٠ - ٤٣٤) وكذلك (مصطفى أبو صنيف أحمد : أثر القبائل العربية في الحياة المغربية خلال عصرى الموحدين وبني مرين ص ٧١ وما بعدها ، الدار البيضاء سنة ١٩٨٢) .

(٢) ابن عذاري : البيان المغرب ص ١٥٨ .

(٣) ابن صاحب الصلاة : المن بالإمامية ص ٥٠٧-٥٠٨ .

وكيما كان الأمر ، وعلى الرغم مما يقال من أن الخليفة المنصور قد ندم على استجلابهم واستخدامهم ، إلا أنه في الواقع قد أوصى بهم خيراً قبيل وفاته بقوله :

وهواء العرب تدارونهم وتلطفونهم وتحسنو إليهم ، ومن وفد عليكم منهم ، تعطوه وتحسنوا إليه غاية الإحسان ، وتشغلونهم بالحركات ، ولا تتركونهم للعطلة والراحات ، (١).

ولقد استمر العرب الوفدون يساهمون بدور هام كجنود مرتزقة في سياسة الدولة الموحدية والدول التي جاءت بعدها .

د- الأكراد : في أواخر أيام دولة الموحدين ، في القرن السابع الهجري (١٣) أي بعد مجيء الغز إلى المغرب بنحو قرن من الزمان ، نسمع عن فئة أخرى من الجنود المشارقة جاءت إلى المغرب ، وهم الجنود الأكراد . يقول ابن خلدون في هذا الصدد :

هذا الرجل محمد بن القالون المعروف بالمزوار ، لا أدرى عن أوليته أكثر من أنه كردي من الأكراد الذين وقد رؤساؤهم على ملوك المغرب أيام أجlahem التتر عن أوطانهم بشهر زور عدد تقطيبهم على بغداد سنة ست وخمسين وستمائة ، فمنهم من أقام بتونس ومنهم من تقدم إلى المغرب فنزلوا على أبي حفص عمر المرتضى الموحدى بمراكش (٦٤٦-٥٦٦ھ / ١٢٤٨-١٢٦٦م) . ثم تفرقوا بعد ذلك وصار قوم منهم إلى بني مرين في فاس ، وأخرون إلى بني عبد الواد في تلمسان (٢).

وعلى الرغم من اختلاف الأكراد عن الأغراز ، فالأكراد شعب إيراني الأصل لغة وتاريخاً بينما الأغراز أتراك ، إلا أنها نجد خلطًا بينهما في بعض المصادر المغاربية ، فصاحب المعجب يشير إلى أن رجلاً من الأكراد يدعى عمر المقدم قتل أمير ميورقة عبد الله بن اسحاق بن غانية في سنة ٥٩٩ھ / ١٢٠٣م (٣)، بينما يرد في كتاب الروض المعطار أنه

(١) ابن عذاري : نفس المصدر ص ٢٠٨ .

(٢) ابن خلدون : العبر ج ٦ ص ٣٣٧ (طبعة بولاق) .

(٣) عبد الواحد المراكشي : المعجب ص ٣١٥ .

غزى (١) .

ولعل اعتماد الأيوبيين الأكراد على الغز الأتراك أدى إلى هذا الخلط بينهما ، أو ربما جاء هذا الخلط نتيجة لأن الملك يغمراسن الزياني من بنى عبد الواد اتخذ فرقة من الغز ، وأخرى من الأكراد في تلمسان خلال حكمه في القرن السابع الهجري (١٣ م) ولا يبعد أن يكون الغز والكرد اختلطوا واندمجا في هذه الفترة المتأخرة بدليل أننا نجد شخصية كبيرة في تاريخ بنى عبد الواد وهي شخصية موسى بن علي كانت تعرف بالكردي والغزى في آن واحد (٢) .

هـ- الجنود الروم أو نصارى الأسبان : استخدم الموحدون جنوداً مرتزقة من الأسبان في حدود صpicة في بادئ الأمر ، فنسمع عنهم ضمن الجيوش التي أرسلها الخليفة عبد المؤمن إلى بلاد السوس للقضاء على ثورة محمد بن عبد الله الماسي الذي تلقب بالهادى وادعى الهدایة اقتداء بالمهدى ابن تومرت سنة ٢٥٤٢هـ / ١١٤٧ م (٣) .

يقول صاحب الحلل الموشية في هذا الصدد :

ووجه إليه عبد المؤمن جيشاً آخر ، وقدم عليه الشيخ أبي حفص بن يحيى الهنناني ، ومعه جملة من الموحدين وطايفة من النصارى وغيرهم من الأجناد ، واستعدوا للقاءه بالسوس غاية الاستعداد ، فانهزم وقتل (أى العاسى) هو وكثير من أهل عسكره ، وتخلص الملك بعد ذلك بالمغرب لعبد المؤمن ، (٤) . كذلك يروى البيذق أن الخليفة يوسف بن عبد المؤمن قتل قائداً من

(١) الحميري : الروض المعطار ص ١٨٩ نشر بروفنسال .

(٢) هوبكنز : النظم الإسلامية في المغرب في القرون الوسطى ص ٥٢ (نقله عن الانجليزية أمين الطيبى) .

(٣) اسم ماسه يطلق على نهر من أنها المغرب يصب في المحيط الأطلسي جنوب أجادير بـ ٦٥ كم وكانت تقع عليه مدينة ماسة التاريخية التي يقال إن عقبة بن نافع وصلها في فتحه للمغرب وقد أدرست وحل محلها رباط ماسة الذي ينسب إليه هذا الشائز (الصديق بن العربي : كتاب المغرب ص ١٠٢) .

(٤) الحلل الموشية ص ١٢١ نشر علوش .

هولاء النصارى يدعى جراند الجليقى^(١) Giraldo el Gallego بعد أن ثبت له خيانته ، وفي ذلك يقول :

، وأجاز النصرانى المسمى جراند إلى مراكش ، ثم صرفه وأعطيه السوس ، فأرسل الكتب من السوس إلى الأشبونة (أى لشبونة) إلى ابن الرنك Alfonso Enríquez بعلمه بمكانه من السوس فى ساحل البحر وقال له : لعك تعمّر القطائع - أى السفن العربية - لتأخذنى وتجدد معكم . فأخذ رسوله بكتب الدلس (أى الخيانة) ، فوجهه أمير المؤمنين إليه ، وجاء من السوس إلى مراكش ، فوجه الخليفة الكتب إلى بلدة درعة لموسى بن عبد الصمد ، يذكر له إذا وجهنا لكم جراند وأصحابه ، فقسموهم على القبائل واقتلوه لأننا أخذنا عليه كتب الدلس . ثم أمر أمير المؤمنين لجراند بالمشى إلى درعة (غربي سلامسة) ، وقال له هى أحسن لك من السوس . فسارع مع أصحابه وكان عددهم ثلاثة مائة وخمسين من إيفريخان . فلما وصلوا ، فعل بهم موسى ما أمره أمير المؤمنين وذلك في عام خمسة وستين وخمسين مائة ،^(٢).

(١) اشتهر هذا القائد جراند بغدره وغمارته على المدن الإسلامية بغرب الأنداز حينما كان قائداً لملك البرتغال الفونسو إنريكيث (ابن الرنك) ثم انضم إلى الإسلام وطلب الأمان من الخليفة يوسف بن عبد المؤمن عقب ابرامه صلحًا مع ملك البرتغال المذكور سنة ٥٦٩ـ١١٧٤ م . وقد عفا عنه الخليفة وألحقه هو وأصحابه بجيشه في بلاد المغرب . إلا أنه ظل يكاتب سرًا ملك البرتغال مصادر السوس المسلمين مما جعل الخليفة يوسف بن عبد المؤمن يأمر بقتله كما هو مبين في المتن . ويشير ليثي بروفسال إلى أن اسم جراند مازال يطلق على مكان في أرض دكالة في الطريق بين مازيغان (الجديدة) ومراكش ، كما توجد بعض القلاع البرتغالية . راجع (البيدق : أخبار المهدي بن تومرت وكذلك الترجمة الفرنسية وما بها من تعليقات المترجم ليثي بروفسال) وكذلك :

(A. Maitrot : Les Ruines dites Portugaises des Doukkala . Archives Berberes Vol. I fasc.4, Paris 1916 P. 283) .

(٢) البيدق : المصدر السابق ص ١٢٧ ويلاحظ أن البيدق أخطأ في تاريخ مقتل جراند إذ جعله في سنة ٥٦٥ـ ، أى قبل قيام الخليفة يوسف بحملته على البرتغال سنة ٥٦٦ـ بدلاً من أن يكون بعدها أى بعد عقد الصلح بين الطرفين سنة ١١٧٤ـ / ٥٦٩ـ م واعتقد أن هذا التاريخ الأخير هو تاريخ مقتل جراند كما أورده ابن عذاري .

أما ابن عذاري فقد أورد رواية مختلفة يذكر فيها أن الخليفة يوسف بن عبد المؤمن لما تأكد من خيانة هذا القائد جرأنه أمر باعتقاله هو وأصحابه في مدينة سجلاماً (تافيلالت) ثم همت نفسه فيها بالفرار ليجوز من أحد المراسى على المحيط ، فظهر منه ذلك فقتل وحز رأسه سنة ٥٦٩/١١٧٤ م^(١) .

واستمر استخدام الموحدين لهؤلاء الجنود المرتزقة الأسبان في حدود ضيقه نذكر على سبيل المثال القائد القشتالي بيطره بن فراندز Don Pedro Fernandez Castro الذى لأسباب وخلافات سياسية وعائلية بين أسرة Lara وملك إسبانيا ألفونسو الثامن ، غادر بلاده غاصباً ودخل في خدمة الخليفة الموحدى يعقوب المنصور الذى رحب به وجعله مستشاراً له في عملياته العسكرية . وظل هذا القائد بمدينة مراكش إلى أن مات سنة ٥٦١/١٣١٤ م^(٢) .

وحينما حللت الهزيمة بالموحدين في موقع العقاب Navas de Tolosa سنة ٥٦٠/١٢١٢ م في عهد الخليفة الناصر بن المنصور ، وأخذت دولتهم في الضعف والاضمحلال ، أخذوا يتسعون في استخدام الروم أو الأسبان على نطاق واسع لتدعمهم سلطانهم المنهار في المغرب . مثال ذلك ما يرويه صاحب القرطاس من أن الخليفة أبا العلاء إدريس المأمون بن يعقوب المنصور طلب من ملك قشتالة فرناندو الثالث سنة ٥٦٢/١٢٢٨ م أن يعده بجيش من الروم كي يجوز به إلى المغرب ويقاتل ابن أخيه ومنافسه يحيى بن محمد الناصر ، فقال له ملك قشتالة :

، لا أعطيك إلا على شرط ، أن تعطيني عشرة حصون مما يلى بلادى اختارها بنفسى ، وإذا من الله عليك ودخلت مراكش ، تبلى للنصارى الذين يسيرون معك كنيسة فى وسطها ، يظهرون فيها دينهم ، ويضربون فيها نوائيسهم فى أوقات صلواتهم . وإن أسلم أحد من الروم لا يقبل اسلامه ويرد إلى أخوانه ، فيحكمون فيه بحكمهم . ومن تنصر من المسلمين فليس لأحد

(١) ابن عذاري : البيان المغرب ص ١٠٣ .

(٢) ابن عذاري : نفس المصدر ص ٢٢٠ وكذلك :

(Aguado Bleye : Manual de la Hist. de Espana P. 656) .

عليه من سبيل . ووافق المأمون على جميع هذه الشروط القاسية ، فبعث إليه الملك الأسباني جيشاً كثيفاً من اثنى عشر ألف فارس من النصارى^(١) .

ولقد أشار ابن خلدون إلى هذه الرواية باختصار كما ذكر بعض شرطها مثل قوله :

، وأذن المأمون للنصارى القادمين معه فى بناء كنيسة بمراکش على شرطهم ، فضريوا بها نوافيسهم^(٢) .

أما ابن عذاري ، فإنه خالف صاحب القرطاس فى تقدير عدد أفراد هذه القوة الأسبانية ، فقصرها على خمسمائة فارس فقط فى قوله :

، وكان المأمون قد وصل من الأندلس بنحو خمسمائة فارس من الروم ، ويبن كان معه من العرب والموحدين والجند والحسود ، فقصد الروم إلى القبة الحمراء فمزقها ووقعت الهزيمة على عساكر يحيى بن الناصر ، وهرب فارماً بنفسه ، لا يعلم يومه من أمسه ، وهزمه عمه هزيمة عظيمة^(٣) .

وعلى الرغم من أن صاحب القرطاس مبالغ في قوله كعادته ، إلا أن هذا لا يمنع القول باحتمال ورود مثل هذه الشروط القاسية التي ذكرها بدليل أن كتاب ذلك العصر قد أنحوا باللائمة على الموحدين لأنهم استخدمو النصارى في محاربة المسلمين ، وأنهم سمحوا لهم بإقامة شعائرهم على تحت إشراف قساوستهم في العاصمة مراكش^(٤) .

(١) ابن أبي زرع : روض القرطاس ص ٢٥٠ - ٢٥١ وكذلك (هوكلز : نفس المرجع ص ١٤٧) .

(٢) ابن خلدون : العبر ج ٦ ص ٢٥٣ ويقال إن يحيى بن الناصر أضرم النار في هذه الكنيسة أثناء حروبه مع عمه المأمون الذي أزعجه هذا الحادث (ابن عذاري : البيان المغرب ج ٤ ص ٢٨١) وكذلك :

(Pierre de Cenival : L'Eglise Chrétienne de Marrakech , Hespéris , VII, 1927) .

(٣) ابن عذاري : البيان المغرب ج ٤ ص ٢٦٤ - ٢٦٥ .

(٤) راجع على سبيل المثال ما ورد في كتاب ذكر مشاهير أهل فاس في القديم لمؤلف مجهول ، نشر عبد القادر زمامنة ، مجلة البحث العلمي ، بالرباط العدد ٣ .

ولقد أطلق كل من البيدق وصاحب القرطاس على هؤلاء الجنود الأسبان المرتزقة اسم إيفرخان وبنى فرخان وهى كلمة ببريرية مفردها أفروخ أى الفrex ومعناها فى عامية المغرب الشاب أو الفتى الذى فى مقتبل العمر^(١). ولقد سبق أن أطلق أمراء الأندلس على مماليكهم الصقالبة اسم الفتيان مثل الفتيان العامرية نسبة إلى المنصور بن أبي عامر .

ويبدو أن كلمة إيفرخان هي أصل المصطلح الأسبانى Farfanes الذى أطلق فى أسبانيا على سلالات هؤلاء الجنود النصارى القاطنين فى المغرب بعد عودتهم إلى بلادهم^(٢) .

وفي أواخر أيام الموحدين لعب هؤلاء الجنود المرتزقة الأسبان دوراً هاماً فى إقامة الخلفاء وعزلهم ، وساعدهم فى ذلك أن بعض زوجات الخلفاء كنّ أمهات ولد أسبانيات ، مثل ذلك حبابة الرومية زوجة المأمون التى أخفت موت زوجها عن العموم - أى الموحدين - سنة ١٢٣٢ هـ / ٦٣٠ م بينما أخبرت به قواد الروم وأشياخ عرب الخلط ، لتضمن الخلافة لولدها عبد الواحد الرشيد فكان لها ما أرادت^(٣) .

رابعاً : موارد الدولة والرواتب والبركات التى كانت توزع على أفراد الجيش :

كان الإنفاق على الأصناف العسكرية السالفة الذكر ، وعلى الحملات الحربية التى تقوم بها فى المغرب والأندلس ، يتوقف على ميزانية الدولة ومواردها المالية . ويفهم من المصادر المعاصرة أن الخليفة الموحدى الأول

(١) روض القرطاس ص ٢٥٣ وقد ورد فى الحاشية أن من معانى كلمة أفروخ فى عامية المغرب ابن الزنا .

(٢) راجع :

(Levi Provençal : Documents Inédits D'Hist. Almohade P. 242)

وكذلك شرح كلمة Farfán فى المعاجم اللغوية الأسبانية وهو الأسباني النصارى القاطن بال المغرب فى العصور الوسطى .

(٣) ابن عذارى : البيان المغرب - القسم الخاص بالموحدين - ص ٢٨٢-٢٨٣ .

عبد المؤمن بن على ، قام بعملية مسح شاملة لأراضي الدولة ومواردها كى يتسى له تقدير خراجها ، وفي ذلك يقول صاحب القرطاس :

، وفي سنة أربع وخمسين وخمسمائة ، أمر عبد المؤمن بتكسير^(١) بلاد افريقية والمغرب ، من برقة إلى بلاد نول من السوس الأقصى بالفراسخ^(٢) والأمياں طولاً وعرضًا . فأسقط من التكسير الثالث في الجبال ، والشعرا ، والأنهار ، والسباخ ، والطرقات ، والحزون ، وما بقي قسط عليه الخراج ، وألزم كل قبيلة قسطها من الزرع والورق . فهو أول من أحدث ذلك بالمغرب^(٣).

كذلك يشيد صاحب المعجب بأموال الخراج الضخمة التي كانت تُرفع لل الخليفة يوسف بن عبد المؤمن من بلاد المغرب والأندلس في قوله :

، وكان الذى يسهل عليه بذل الأموال مع ما جُبل عليه من ذلك ، سعة الخراج وكثرة الوجوه التي يتحصل منها الأموال : كان يرتفع إليه خراج افريقية وجملته كل سنة وقرن مائة وخمسين بغلًا ، هذا من افريقية وحدها ، خلا بجاية وأعمالها ، وتلمسان وأعمالها ، والمغرب ... وجزيرة الأندلس ، وقد بلغنى من جهة رجل من أصحابنا ، كان يتولى بيوت الأموال قال لى :

، وجدت خرائط (حقائب) كثيرة مما كان يرتفع إلى أمير المؤمنين أبي يعقوب يوسف بختها ثم يضيف معلومة مفيدة تدل على أن كلمة المغرب التي تطلق الآن على المغرب الأقصى أو المملكة المغربية ، كان لها مدلول تاريخي قديم ورد في قوله : وحدَ عمل المغرب عددهم الذي يطلقون عليه هذا الاسم ، من مدينة تدعى رباط تازا إلى مدينة تدعى مكناسة الزيتون ، طول هذه المسافة وعرضها نحو من سبع مراحل^(٤) ، وهى

(١) التكسير عند المهدسين تعلي المساحة ، وكسر الكتاب إلى عدة أبواب أى تسمى إلى عدة أبواب ، والمعدى هنا قياس الأرض وتقسيمها لتقدير خراجها .

(٢) من المعروف أن الفرسخ ثلاثة أمياں .

(٣) روض القرطاس ص ١٩٨ - ١٩٩ ويفهم من هذا أنه أسقط الثالث من مساحة الأراضي الخراجية مقابل الأراضي والتواحي التي لا يستفاد منها كالحزون أى ما غلظ وارتفع من الأرض والشعرا أى الأراضي التي تكتنفها الأعشاب والرماد ... الخ .

(٤) المرحلة هي مسيرة يوم وتقدر بحوالي أربعين كيلومترًا .

أُخْبَرْ رِقْعَةً فِي الْأَرْضِ ،^(١)

وإلى جانب جبابيات الخراج السالفة الذكر ، كان هناك دخل الزكاة والجزية والأعشار وتحصيل المناجم والغائمات الحربية والمصادرات ، إلى جانب محصول الذهب السوداني الذي كانت الدولة تسيطر على مسالكه الصحراوية وطرق قواقله الغربية من السغال جنوباً إلى سجلماسة (تافيللت) والمغرب شمالاً .

وكان خلفاء الموحدين رغم مشاغلهم السياسية والحربية ، يتفقدون ويراجعون باستمرار شؤون بلادهم المالية وهي التي عبروا عنها باسم الأشغال العملية أو الأشغال المخزنية^(٢) . وكان المشرف على هذه الأمور المالية في المغرب والأندلس يسمى بصاحب الأشغال^(٣) .

ومن الطريف أن وزير المالية في إسبانيا لايزال يسمى إلى الآن باسم : Ministro de Hacienda وترجمتها الحرافية وزير الأشغال ولكنها تعنى وزير المالية كما كان متبعاً في العاصي بالأندلس .

وبهذا الرخاء الاقتصادي قويت الدولة الموحدية واستتب الأمن فيها حتى صار المرء - على حد قولهم - يسير في طرقها من جيلها وسهلها آمناً في نفسه وماليه ، لا يخاف إلا الله أو الذيب^(٤) . وإن كان هذا القول لم يمنع من وجود حملات تطهير ضد الفساد الإداري من حين لآخر ، وما كان يعقب ذلك من اعتقال وسجن ومصادره^(٥) .

أما عن وسائل الإنفاق على الأصناف العسكرية المختلفة ، فيبدو أنها لا تختلف كثيراً عن الأنظمة السابقة التي تتكون من قسمين :

(١) عبد الواحد المراكشي : المعجب ص ٢٥٥-٢٥٦ .

(٢) ابن عذاري : البيان المغرب ص ٢٠٠ ، من ٢٢٦ - ٢٢٨ .

(٣) المقرى : نفح الطيب ج ١ من ٢٠٢ حيث يرد وصف ابن سعيد الغرناطي لصاحب الأشغال الخزاجية في الأندلس على أنه أعظم من الوزير وأكثر اتباعاً وأجدى منفعة ، فإليه تميل الأعناق ونحوه تند الأكف .

(٤) ابن صاحب الصلاة : المن بالإمامية ص ٢٨٦ .

(٥) ابن عذاري : البيان المغرب ص ٥٩ .

القسم الأول ويشمل العموم أو قبائل الموحدين ، وهؤلاء لم تكن لهم رواتب ثابتة ، بل أرزاق أو اقطاعات عسكرية لزراعتها والاستفادة من دخلها بعد دفع ما عليها من خراج . وفي مقابل ذلك تساهم بأبنائها في الحرب وقت النداء .. والقسم الثاني ويشمل الجموع أو الأجناد وهم الجنود المرتزقة النظاميون ، وكانوا يتلقاً رواتب شهرية حسبما هو مسجل في ديوان التمييز .

هذا إلى جانب البركة أى الانعامات التي كان الخليفة الموحدى ينعم بها على الجميع من العموم والجماع عقب تعييدهم (عرضهم) ، أو عند كل مناسبة أخرى وذلك من دار البركة (١) . وكانت العملة السائدة في المغرب هي الدينار والدرهم والقيراط والحبة .

ويفهم من كلام المؤرخين أن الدينار يقدر بعشرة دراهم ، وبأربعة وعشرين قيراطاً ، وأن القيراط ثلاثة حبات فيكون مجموع الدينار ٧٢ حبة (٢) . كذلك نسمع عن المثقال الحشمي في الأندلس ، والذي يبدو من إسمه أنه مرابطى ، وقد أشار ابن الخطيب إلى تداوله في الأندلس بين الشوارى أيام الموحدين (٣) .

وكيما كان الأمر ، فالمعروف أن الخليفة عبد المؤمن بن علي أدخل تعديلاً على شكل نظام العملة السائدة في المغرب ، إذ جعل الدرهم الفصيبة مربعة الشكل ، كما جعل الدينار الذهبي ، دائرياً وفي وسطه إطار مربع الشكل نقشت الكتابات بداخله . وهذه الطريقة المربعة لم تكن مستعملة من قبل ، إذ كانت دائرياً . وفي ذلك يقول ابن خلدون :

، ولما جاءت دولة الموحدين كان مما سن لهم المهدى اتخاذ سكة الدرهم المربع الشكل ، وأن يرسم في دائرة الدينار شكل مربع في وسطه ، ويملاً من

(١) ابن صاحب الصلاة : المن بالإمامية ص ٤٤٦ .

(٢) المن بالإمامية ص ٢٩٢ حاشية . وقد أورد لويس ماسينيون ما ينفي أن وزن الدينار الذهبي الموحدى ٤,٧٢٩ جرام .

(٣) ابن الخطيب : أعمال الأعلام ص ٢٦٠ .

أحد الجانبين تهليلاً وتحميداً ، ومن الجانب الآخر كتبَا في السطور باسمه واسم الخلفاء من بعده ، ففعل ذلك الموحِدون ، وكانت سُكتهم على هذا الشكل لهذا العهد . ولقد كان المهدى - فيما نقل - ينعت قبل ظهوره بصاحب الدرهم المربع ، نعنه بذلك المتكلمون بالحدثان^(١) من قبَلِه ، المخبرون في ملامهم عن دولته ،^(٢).

وواضح من كلام ابن خلدون أنه يشير إلى الأسطورة التي أثارها مؤرخو الدولة الموحدية حول المهدى ابن تومرت عندما قابل سلطان المرابطين على بن يوسف بن تاشفين ، وأفحى فقهاءه في المناقضة التي دارت معهم . عندئذ قال القاضى الفقيه مالك بن وهيب لعلى بن يوسف : ثقْفَه يَا مُولَى ، لأن هذا هو صاحب الدرهم المركَّن (أو المربع) ، واجعل عليه كِبْلَةَ كَيْ لا تسمع له طبلاً ،^(٣) . وعلى الرغم من أن ابن خلدون في موضع آخر من كتابه قد انتقد هذه الأسطورة وقال ، إنها كلام سفساف سجع سوقى يتناقل الناس نصه ،^(٤) ، إلا أن الأمر الذى لا شك فيه هو أن هذه الأسطورة تتفق مع هذا التجديد الذى أحدهُ عبد المؤمن في نظام العملة الموحدية ، وسار عليه أبناؤه بعد ذلك^(٥) . وقد يفهم أيضاً من هذه القصة أن المهدى بن تومرت ضرب لنفسه عملة خاصة باسمه ، ولكن هذا لم يحدث أو على الأقل لم يصلنا شيء منه . فالمعروف أن أقدم عملة للموحدين صربت في عهد عبد المؤمن ونسبت إليه مثل الدينار المؤمنى ، وجاء بعده الدينار اليعقوبى نسبة إلى يعقوب المنصور .

(١) كان من وسائل الدعاية في العصر الوسيط ما يعرف باسم الحدثان أو الارهاسات أو الأرجاف أو النبوءات بالمستقبل . راجع :

(Dozy : Supplement aux Dictionnaires Arabes . Vol. I.P. 258) .

(٢) ابن خلدون : المقدمة ص ٢٦٢ وكذلك (الأب أنسناس الكرملى : النقد العربية وعلم النُّمُيات ص ١٠٦ ، القاهرة ١٩٣٩) .

(٣) البيدق : أخبار المهدى ابن تومرت ص ٥٧ ، المعجب ص ١٨٥ - ١٨٦ ؛ السلاوى : الاستقصا ج ٢ ص ٨٣ - ٨٥ .

(٤) ابن خلدون : العبر ج ٦ ص ٤٦٩ .

(٥) هوكلز : نفس المرجع ص ١٧٩ .

يقول ابن عذاري :

وفي سنة ٥٨١ (١١٨٥) رأى يعقوب المنصور ، أن الدينار القديم يصغر عن مرأى ما ظهر بالملكة من المخازع العالمية ، وأن جرمته يقل عما عارضه من المناظر الفخمة الجارية ، فعظم جرمته ، ورفع قدره بالتضعيف وسومه ، فجاء من النتائج الملوكيّة والاختراعات السريّة ، جامعاً بين الفخامة والماء الطيب وشرف الانتماء ... الخ .

قال أبو العباس الجراوي :

رافق النصار عيون الناظرين وقد غدا اسمك المعنلى أعلاه مكتبا
ما ارتاب مبصرها فى كف ذاك وذا أن النجوم استحالت للورى ذهبا^(١)
وعلى أساس هذا الرخاء الاقتصادي ، لم تتردد الدولة في الإنفاق بسخاء
على جنودها وموظفيها الذين كانوا بدورهم مجندين . وعلى الرغم من أننا لا
نستطيع تحديد مقدار هذه الرواتب ، إلا أنه يمكن أن نستشف ذلك من البركة
السخية التي كانت توزع ملذ عهد والده يوسف به عبد المؤمن على كل
العاملين والقاطنين في الدولة احتفالاً بقدوم أخيه السيد أبي حفص إلى
العاصمة مراكش بعد انتصاره على الثائر محمد بن سعد بن مردنيش بالأندلس
سنة ٥٦١ هـ ، إذ أعطى بموجبها لكل فارس عشرين ديناراً ، وألقيان الموحدين
وأشياخهم لكل واحد مائة دينار ، ولأشياخ العرب لكل واحد مائة دينار ، ولسائر
عسكر العرب عشرين ديناراً لكل فارس ، فاجتمع لجميع الناس السرور ،^(٢) .

خامساً : التعبئة العامة والخروج إلى ميادين القتال :

١ - الاستعداد للقتال : كان الاستعداد لإرسال الحملات العسكرية إلى
دار الحرب ، يبدأ عادة من شهر مايو حيث تكون المحاصيل الزراعية قد نمت
ونضجت للاستفادة منها في تموين الجيوش . وتبدأ حالة التعبئة العامة بإصدار
الأوامر السلطانية وإطلاق المخاطبات إلى سائر الأقطار المغربية والأندلسية في

(١) ابن عذاري : البيان المغرب من ١٥٤ - ١٥ .

(٢) ابن صاحب الصلة : المن بالإمامية من ٢٩١ - ٢٩٢ .

التأكيد على عمالها بالنظر في ضرب الآلات الحربية ، وشراء الدروع المحكمة ،
وإعداد الجياد والأقوات وكل ما تحتاج إليه الجيوش من العدد^(١) .

ونضرب مثلاً على ذلك بما رواه ابن صاحب الصلاة عن الخليفة عبد المؤمن بن علي ، حينما عزم على العبور إلى الأندلس برسم الجهاد ، فأعد من القمح والشعير للغloffات والمواساة للعساكر على وادي سبو بالمعمورة^(٢) ، ما عاينته مكداً كأمثال الجبال بما لم يتقدم لملك قبله ولا سمعنا به في جيل من الأجيال ، بقى في ذلك الموضع معداً من عام سبعة وخمسين وخمسمائة إلى عام الثمين وستين وخمسمائة ، حتى فني في أكاداسه وعاد ترابياً ورماداً باحتراق بعضه في بعض ، وإفساد الزمان له فساداً . ونظر رضي الله عنه في استجلاب الخيل له من جميع طاعاته بالعدوة وأفريقياً ، وانتخاب الأسلحة من السيف المحلاة ، والرماح الطوال على أجمل الهيئات والدروع والبيضات والترس إلى غير ذلك من الثياب والكسا والعمائم والبرانس ، وقسم ذلك كله على الموحدين أشياخهم وعامتهم ، وعلى العرب أجمعين ، وعلى الأجناد المرسومين المعينين^(٣) .

وعندما يتم الاستعداد تعلن حالة الاستنفار في جميع أنحاء البلاد ، فتتقاطر الجنود نحو الحاضرة مراكش بالمغرب ، ونحو مدينة اشبيلية حاضرة

(١) ابن عذاري : نفس المصدر ص ١٧٤ ، ٢١٨ .

(٢) يقصد بالمعمورة مدينة المهدية الحالية التي تقع عند مصب وادي سبو بالقرب من بلدة القبيطرة على ساحل المحيط الأطلسي بالمغرب الأقصى . وقد سميت بالمهدية منذ أيام العاهل المغربي المولى اسماعيل سنة ١٦٨١ م عندما صبّت الحصار على الجيش الأسباني المرابط فيها ، فخرج راهبها مستسلماً وبهذه مقاييس المدينة كهدية للسلطان ، فأ منه وقبل هديته ، ثم دخل المدينة وسمّاها المهدية . وهي غير مهدية الفاطميين في المغرب الأدنى ، وغير مهدية الموحدين التي صارت رباط الفتح عاصمة المغرب الآن . راجع : (عبد الباقي التازى : مهدية المولى اسماعيل ، مجلة المغرب ، مايو سنة ١٩٦٣) وكذلك :

(Caillé : La Ville de Rabat P. 63) .

(٣) ابن صاحب الصلاة : المن بالإمامية على المستضعفين ص ٢١٤-٢١٥ .

الموحدين المفضلة بالأندلس . وفي هذا الصدد يصف ابن عذاري حالة من حالات الاستنفار في المغرب بقوله :

، ثم أشيع في الجبال القبلية (الجنوبية) والبلاد الغربية النساء بالجهاد ، فترادفت الأمم من الجبال والبساط طامعين متطرعين ، وأنت أناس كثيرة من حبش غانية ، وعمراء الصحاري ، مبادرين ، فاجتمع بالحصنة (مراكش) من الأحمر والأسود وشتي اللغات من الحشود المطوعة ، وعموم الأعراب من الجنود من معدود وغير معدود ، ما أضاف بهم رحيب الفضاء ، ونكاير عن العد والإحصاء ، (١).

ولقد جرت العادة أن يخصص الخليفة بعد ذلك أيامًا يقوم فيها بعرضسائر القبائل المتقدمة للغزو بأسلحتها سواء من الموحدين أو العرب وذلك في ساحة خاصة تسمى بالبحيرة خارج العاصمة مراكش . وكانوا يطلقون على هذه العملية اسم « التمييز »، وهي بمثابة مناورات عسكرية بهدف العرض والتدريب والتنظيم والتنسيق والانسجام بين فرق الجيش إلى جانب مراجعة أعداد جنودها على ما هو مسجل في ديوان التمييز لتقدير مقدار البركة التي توزع عليهم قبل رحيلهم . يقول ابن عذاري في وصف عرض من هذه العروض العسكرية :

، وفي يوم السبت الخامس لجمادي الآخرة من سنة ٥٧٩هـ ، أمر أمير المؤمنين أبو يعقوب يوسف بتمييز الموحدين والعرب والقبائل للغزو ، وابتداً بتمييز القبائل والأجناد قبيلًاً بعد قبيل ، وأمر بعمل عشرة مجانيق ، فصنعت ورمى الرجال بالحجارة قدامه ... وذلك التبريز بالبحيرة بخارج مراكش ، والناس ينظرون في ذلك كل يوم . ودام هذا الحال شهر جمادي كله . وفي شهر رجب ارتحل الخليفة عن البحيرة إلى حضرة مراكش ودخل الباب الجديد بباب الشريعة ، وهو أول دخول عليه ، (٢) .

(١) ابن عذاري : البيان المغرب ص ١٧٤ ، ٢٣٧ - ٢٣٨ .

(٢) ابن عذاري : نفس المصدر ص ١٢٨ .

أحياناً كانت تحدث بعض المأخذ التي يرتكبها جنود العرب الراشدين خلال عملية التمييز بغية زيادة أعدادهم وبالتالي زيادة عطائهم أو بركتهم مما يؤدي إلى حالة من الفوضى واللامبالاة في نظام تمييزهم أو عرضهم . وقد سجل ابن صاحب الصلاة بعض هذه المأخذ مثل قوله :

، فلقد رأيتم في أيام التمييز ينزل الخارج من الدار المعظمة من تمييزه عن فرسه ويركبه آخر من الرجال له ويدخل عليه ويغير بعض ثيابه والله . وكان العربي إذا دخل يأخذ عمامة صاحبه فيبدأ بتعيمها وهي في رأس الخارج ، فلا يزال يعتمها في رأسه وهي تنحل من رأس صاحبه حتى تتم بأجل الاستعجال بمرأى يضحك الحاضرين ، وكذلك في إعادة الثياب وألات الركوب ، يجرد بعضهم بعضاً على مرأى من الناس لا يهابون أحداً . وكان سيدنا الخليفة يغضى لهم على هذا كله ، لمعرفته بحاجتهم ، وليدرأهم إلى طاعته ، ولما في نفسه من إرادة الجهاد بهم لأعداء الله فيتألف قلوبهم بذلك . ويضيف ابن صاحب الصلاة أن كاتب ديوان التمييز ، أبي عبد الله بن محسن . لاحظ زيادة كبيرة بين أعدادهم في العرض ، وبين ما هو مسجل عنده في زمام تمييز العساكر ، فما كان منه إلا أن أحاط الخليفة أبا يعقوب يوسف علماً بذلك فأجابه بقوله : نفذ لهم البركة على ذلك ، إنما غرضنا الأحسان لأنجادنا ، وأن تظهر عليهم الخيرات والبركات ، فامتثلت ذلك ، (١) .

ولقد جرت العادة أن الخليفة الموحدى بعد عملية العرض أو التمييز ، وقبل الخروج للجهاد ، يقوم بتوزيع البركة على جنوده ، وهي تتضمن ملحاً مالية وعينية كالنقود والخيول يقوم بتوزيع البركة على جنوده ، وهي تتضمن ملحاً مالية وعينية كالنقود والخيول والأسلحة والزاد والعلوفات ... الخ . وقد أعطانا ابن صاحب الصلاة وصفاً لهذه البركة التي كانت تصرف للجنود قبل خروجهم في أيامه . قال :

، وجلس أمير المؤمنين أبو يعقوب يوسف في مجلسه العالي ، وأشياخ طيبة الحضر ، وأشياخ العرب . وأمر لوزيره أبي العلى ادريس أن يأمر الخزانين بإحضار الأموال بين يديه من الدنانير والدرارهم ، فأحضرت أمامه ، وعلت

(١) ابن صاحب الصلاة : نفس المصدر ص ٤٣٦ - ٤٣٥ .

أكداساً ، وجنسها من الذهب والفضة أجناساً . وقدَّمَ المُوحِّدين في تنفيذ البركة لهم ، فخرج للفارس الكامل منهم عشرة دنانير ، ولغير الكامل ثمانية دنانير ، والراجل الكامل خمسة دنانير ، ولغير الكامل ثلاثة دنانير . وأمر للعرب ببركتهم ، فخرج للفارس الكامل منهم خمسة وعشرون ديناراً ، ولغير الكامل خمسة عشر ديناراً ، والراجل سبعة دنانير . وخرج لأشياخ العرب لكل شيخ منهم خمسون ديناراً ، وكل رئيس منهم على قبيلة مائتا دينار ، وكسا جميعهم بالقباطي والقمص والغفارى والعمائم . وأعطاهم السيفون المحلاة ، والدروع السابقات ، والبياض والتقدما من الرماح الطوال ، وأمر لهم بثلاثة آلاف فرس قسموها على قبائلهم وأتباعهم ورجالهم . وظهر على العرب والمُوحِّدين وعلى جميع العساكر السرور ، وتمكن لهم الشاط وتضاعف لديهم الارتباط . وأمر للمُوحِّدين ، أعزهم الله ، بحظهم من الخيل المسومة فقسموها على قبائلهم وأتباعهم ورجالهم ،^(١) .

وكانت هذه الجيوش تتجه عادة إلى المدينة المسماة بالمهدية ويرباط الفتح - عاصمة المملكة المغربية الحالية - ومنها إلى سبتة أو قصر مصمودة حيث يتم العبور إلى جبل طارق (جبل طارق) ثم الجزيرة الخضراء Algeciras إلى أن تصل مدينة إشبيلية Sevilla قاعدة المُوحِّدين الكبرى في الأندلس والتي تكون على أتم استعداد لاستقبال هذا الجمع الحفيل^(٢) . ويدرك ابن صاحب الصلاة أن تعداد جيش الخليفة يوسف بن عبد المؤمن في أول غزوة له إلى الأندلس سنة ٥٦٦هـ / ١١٧٠م كان عشرة آلاف فارس من عسكر المُوحِّدين ، وعشرة آلاف فارس من العرب إلى جانب الرجال والمتطوعة من الناس والمجاهدين وعساكر الأندلس^(٣) .

٢- العيون والأداء والرقصاتون والشعراء والوعاظ والمحلات (الأسواق) :

كان الجيش المُوحِّدى ، مثل أي جيش آخر - يصطحب معه العيون

(١) ابن صاحب الصلاة : نفس المصدر من ٤٣٧ .

(٢) ابن عذاري : نفس المصدر من ١٣٢ .

(٣) ابن صاحب الصلاة : نفس المصدر من ٤٥١ .

والجواسيس والأدلة والرقصين (عمال البريد) والترجمة والوعاظ المؤذنين والشعراء وكل من يفيد في تحقيق النصر على العدو . وقد لعب كل فريق من هؤلاء دوراً عظيماً هاماً في سير المعارك . فالعيون والجواسيس كانوا عنصراً أساسياً للدعوة الموحدية منذ بدايتها ، ففي كتاب أخبار المهدى ابن تومرت للبيدق ، نجد باباً عن أصحاب المهدى ببلاد مصر بلغ عددهم واحداً وخمسين رجلاً ذكر أسماءهم واحداً واحداً ، ثم يقول إنهم كانوا للمهدى بمثابة أعضائه وجسده سامعين لقوله مجيبين لأمره ، مؤمنين بدعوته . وهذا يدل على أن المهدى كانت له جمعية من دعاته وعيونه تعمل على نشر دعوته في مصر وغيرها من بلاد الشرق تمهدى لتوحيدها تحت قيادته (١) .

وهناك قصة الشيخ اسماعيل بن يسالى الهزرجى تلميذ ابن تومرت وأحد أصحاب العشرة الذى علم بمأمورية دبرها طائفة من الموحدين لقتل عبد المؤمن فى خيالة ليلاً بدواخى وهران ، فطلب منه أن ينام فى فراشه فى تلك الليلة . وكانت النتيجة أنهم قتلواه اعتقاداً منهم بأنه عبد المؤمن . وقد حزن عليه الخليفة عبد المؤمن واحتفل بوفاته وبنى له قبة وقاموا (٢) .

كذلك مهد الموحدون لحملتهم العسكرية فى إفريقيا ضد بلد غانية وخلفائهم بإرسال العيون والجواسيس وهو ما يعرف حدائق بالطابور الخامس .
يقول ابن عذارى :

« وكان أبو يوسف يعقوب المنصور قد اتبع أمراء الجيوش البرية والبحرية كتاباً لأهل سائر البلاد المغلوب عليها ، بالأمن والأمان والصلح والإحسان . ولما دنت الحملة من البلاد دسوا بالكتب جواسيس رحلوا بها ليلاً إلى البلاد ،

(١) البيدق : نفس المصدر ص ٣٠ - ٣٢ .

(٢) روض القرطاس ص ١٩٩ - ٢٠٠ ، عبد الواحد المراكشى : المعجب ص ٢٣٣ - ٢٣٤ . ولا اسماعيل السمالى أو يسالى قصة أخرى مع المهدى بن تومرت فى بداية أمره حينما تأمر أهل الصناعة التي نزل فيها على قتله ، فلما علم اسماعيل بذلك تقدم إلى ابن تومرت وسأله عن إعراب هذه الآية ، إن الملا يأنترون بك ليقتلونك فاخذ إنى لك من الناصحين ، ففهم ابن تومرت ما أراد وخرج عن تلك الصناعة . (المعجب ص ٢٣٤ - ٢٣٥) .

واجتمعوا بها مع من يوثق به للأمن . فلما وقفوا عليها ورأوا أنهم قد أمنوا
غواص العذاب ، وأن العفو والرحمة لهم مفتحة الأبواب ، وثبتوا على ما كان
عندهم من الأعداء ، وأرصدوا لفراهم بالمضايق ، وقبضوا على أكثرهم بتلك
المخانق^(١) .

كذلك يشير ابن عذاري إلى الحيل التي استخدمها عيون الموحدين في
تتبع أخبار الثائر الأشل سنة ٥٨٩ هـ (١١٩٣ م) في بلاد الزاب بالجزائر على
عهد يعقوب المنصور . وكان هذا الرجل قد فتن العامة والغواغة من العرب
والبربر بتبنياته وشعوذته ودعا لنفسه فالتف حوله جموع غيره ، وحاولوا اخفاءه
عن أعين الموحدين ، ولكن جواسيس الموحدين تمكنوا من تحديد مكانه وإجبار
الأهالي على تسليمه وقتله^(٢) .

أما في الأندلس ، فكثيراً ما تشير المصادر إلى سرايا العدو التي تتتجسس
الأخبار حول معسكرات المسلمين ، ولكن عيون الموحدين تتمكن من مطاردتها
وإيادتها^(٣) .

ومن أمثلة الحيل التي استخدمها الموحدون مع أعدائهم في إسبانيا ما رواه
القائد الأندلسي أبو محمد بن وزير بينما وجهه السيد (الأمير) أبو سعد عثمان
بن عبد المؤمن وإلى بطليوس إلى الملك الأسباني فرناندو الثاني الملقب بالبيوج
(أى البيراق أو الذي يريل ويسيط لعابه) في أمر يتعلق بتجديد
الصلح بينهما . يقول :

، ودخلت على البيوج في خبائه ومعه أقماطه (امرأوه) وأشيائده
النصارى ، فتكلم معى بلسانه الأعجمى ، فقلت لترجمانه ، لست أفهم
الاعجمية) ، وإنما قلت ذلك كتعانى منى وحيلة لأفهم من كلامه ما يريد من
خير وشر . ولاطفته في الصلاح حتى كمل ، ثم يضيّف نادرة طريفة فيقول :

(١) ابن عذاري : البيان المغرب ص ١٥٠ .

(٢) ابن عذاري : نفس المصدر ص ١٨٩ - ١٩٠ .

(٣) ابن عذاري : نفس المصدر ص ١٩٣ .

، وفي أثناء الجلوس معه سرق أرذال النصارى المتصرفين في الخبراء عمامات رأسى عند غفلة منى ! فلما وصلت إلى السيد أبي سعيد ، رأى رأسى دون عمامات ، فسألونى عن ذلك ، فوصفت له الحال وأنا صاحب من رجال النصارى وسرقاتهم ، فأخذ السيد بفمه وسيادته عمامات رأسه ودفعها إلى ، واستدعى خديمه حمادا وأمره بسوق عمامات أخرى لرأسه ، فقبّلت يده وزاد حبه في قلبي (١) .

هذه الحادثة إلى جانب طرفتها ، فإنها تثير التساؤل عما إذا كان هذا القائد ابن وزير قد خلع عمامته عند مقابلته للملك الأسباني من باب الاحترام جرياً على عادة الروم في خلع قبعاتهم !؟ إذ لا يعقل أن تسرق عمامته من فوق رأسه علناً وأمام الملأ في مجلس الملك دون أن يدرى أحد بذلك !! .

أما الوعاظ والفقهاء فكانت مهمتهم في ساحة الوغى عسيرة في وسط هذا الخضم من الحشود المختلفة الأجناس واللغات مثل حبش غانية وأعراب الصحراء وبربر المغرب وأغزاز الترك وغيرهم (٢) إذ كان عليهم أن يخاطبواهم ويعظوهم بلغاتهم لإحراز التأثير المطلوب والفائدة العاجلة في مثل هذه المواقف الجادة الحاسمة . وقد يوحي ذلك ما رواه ابن صاحب الصلاة في حديثه عن غزوة وبذة Huete في مقاطعة قونقة Cuenca بالأندلس سنة ٥٦٧ هـ / ١١٧١ م أن الشيخ الموحدى ، أبي محمد عبد الواحد بن عمر ، كان يخطب في الجنود باللسان العربي تارة ، وباللسان الغربى (أى البربرى) تارة أخرى يحرضهم على قتال النصارى (٣) .

كذلك كان الأدلة Adalides موضع ثقة القادة واهتمامهم مثل قول ابن عذارى :

«وصل السيد أبو زكريا اشبيلية ورتب أداته ورجاله ، (٤) . قوله : ، وعزموا

(١) ابن صاحب الصلاة : نفس المرجع ص ٤٠٢ .

(٢) ابن عذارى : نفس المرجع ص ١٧٤ .

(٣) ١٠١ ص ٩٧ ، وابن صاحب الصلاة : نفس المرجع ص ٥٠١ ، ٥٢٤ .

(٤) ١٠٠ ص ١٨٠ .

أن يسيراً لهم وقدموا الأدلة أمامهم ، وسلمو الجبل إلى أعلاه الذي على
وادي شنيل (١) .

وما يقال عن الأدلة يقال أيضاً عن الرقاصين (عمال البريد) الذين
كان عليهم أعباء جسام في أوقات الهزيمة أو النصر . وكانوا في العادة رجالاً
أقواء مدربين على الركض والعدو وركوب الخيل والسفن برأ وبحراً . ومثال
ذلك قول ابن صاحب الصلاة في وصف هزيمة الموحدين في مرج الرقاد
Majorrocal بفحص غرناطة سنة ٥٥٧ـ / ١١٦١ م :

، وشاعت الأخبار وسرى الرقاصون بالاستغاثة في الليل والنهار ، وفي
البر والبحار ، (٢) .

كذلك أورد البيذق اسم تيظاف على عهد الموحدين وهو يعني باللسان
البربرى اسم فرقة من الأدلة العارفين بمسالك الطرق والجبال واستطلاع
أحوال العدو . أقاموا أبراجاً للمراقبة باسم برج تيظاف (٣) .

٣- صيحات القتال وتقوية الروح المعنوية :

كان لجنود الموحدين صيحات قتال لشحذ القوى وجمع الصوف في أثناء
المعركة ، فإلى جانب صيحات التكبير والتهليل (٤) ، كانت لهم صيحات واحدة
وي Lansan واحد مثل صيحة ، أبابا يا المهدى ! ، التي يقول صاحب الروض
الهتون بأنها كانت شعار الموحدين في أول غارة لهم على المرابطين في
حصن من حصونهم ، اضطروا فيها أن يتذكروا في زي المرابطين : اللثم
والغفائر القرمزية والمهاميز التاشفينية ، والسيوف المحلاة ، والعمائم ذوات
الذوابات . فلما رأى المرابطون هذا الذي قالوا تقوية السلطان جاءتنا . وسارعوا
للقاءهم فرحين وخرجوا من الحصن والسوق ، عندئذ حسر فرسان الموحدين

(١) ابن عذاري : نفس المرجع ص ٥٢ .

(٢) ابن صاحب الصلاة : نفس المرجع ص ١٩٠ وكذلك ص ١٢٩ حاشية ١ .

(٣) البيذق : نفس المصدر ص ٩٩ ، ٢٣٤ ، ١٠٠ .

(٤) ابن صاحب الصلاة : نفس المرجع ص ٤٩٣ ، ابن عذاري : نفس المرجع ص ١٣٣ .

اللثام ونادوا : أبابا يا المهدى ، وكان ذلك شعارهم ، وأحالوا السيف عليهم فلم ينج واحد منهم ، (١) .

صيحة جماعية أخرى اشتهر بها الموحدون وهى : أصبح والحمد لله ، وأصل هذه الصيحة يرجع إلى أيام المهدى بن تومرت حينما أمر المؤذنين إذا طلع الفجر أن ينادوا : أصبح والحمد لله ، إشعاراً بأن الفجر قد طلع لإلزام الطاعة ، وحضور الجماعة ، وتنفيذ ما يؤمرون به . ومنذ ذلك الوقت صار هذا النداء شعاراً حربياً للموحدين ، وقد استخدموه أثناء حصارهم المرابطين فى قصبة وهران ، إذا اجتمعوا على الجبل المطل على وهران وصاحوا بـلسان واحد : أصبح والحمد لله ، ولم يكن الل茅ونيون يصيرون بذلك ، فوقعت رجمة عظيمة فى عسكر السلطان تأشفين الذى أمرهم بعدم الخروج خوفاً من الكمين (٢) .

هذا ، ولم يتعدد الموحدون فى استخدام كل ما يفدهم فى تقوية روح جنودهم المعنوية ، مثال ذلك ما رواه صاحب روض القرطاس عن الحلم الذى رأه الخليفة يعقوب المنصور فى الليلة السابقة لموقعة الأرك Alarcos (٣) التى انتصر فيها على ملك أسبانيا الفونسو الثامن سنة ٥٩١ هـ / ١١٩٥ م يقول على لسان الخليفة المنصور : بينما أنا راكع فى مصلاى ، إذ غلبتنى عيناي فرأيت فى نومى كأن باباً قد فتح فى السماء ونزل منه فارس على فرس أبيض حسن الوجه والرائحة وبيده راية خضراء منشورة ، قد سدت الأفق من عظمها ، فسلم على ، فقلت له من أنت يرحمك الله ؟ فقال ملك من ملائكة السماء السابعة ، جاك لأبشرك بالفتح من رب العالمين لك ولعصابتك المجاهدين الذين أتوا تحت رايتك فى الشهادة راغبين ، ولثواب الله تعالى طالبين . فأيقنت بالفتح

(١) أبو عبد الله محمد بن غازى المكتسى العثمانى : الروض الهتون فى أخبار مكلاسة الزرين من ٦ (الرياط ١٩٥٢) .

(٢) ابن القطنان : نظم الجمان ص ١٢٧ ، ابن عذارى : نفس المرجع ص ١٦٦ ، ١٧ .

(٣) الأرك (بتسكن الراء) بلدة صغيرة من أعمال قلعة رياح Calatrava تقوم فوق رية عالية تمتد سفحها حتى وادى يانة Guadiana وتقوم مكانها اليوم قرية صغيرة تسمى Santa Maria de Alarcos: (القرطاس من ٢٢٣ حاشية) .

والظفر إن شاء الله تعالى . ويضيف المؤرخ المذكور أن الخليفة يعقوب المنصور قصّ هذا الحلم على أشياخ الموحدين والفقهاء كى يذيعونه بدورهم على الجنود^(١) .

وقصة هذا الحلم تذكرنا بالحلم الذى رأه الفقيه أبو العباس بن رمیلة القرطبي قبيل موقعة الزلاقة التى انتصر فيها المرابطون كما ذكرنا من قبل . كذلك تذكرنا أيضاً بقصة سنتياجو أو القديس يعقوب الذى كان يظهر للمحاربين الأسبان على شكل ملاك بيده سيف ومتى فرساً أبيض ثم يأخذ فى معاونتهم على قتال المسلمين .

رواضح أن هناك تشابهاً بين تلك القصص والأحلام السالفة ، ونحن لا يعنيها مضمونها بقدر ما يعنيها الهدف المقصود من ورائها وهو نقرية روح الجنود المعنوية .

على أن انتصار يعقوب المنصور في موقعة الأرك لم يقم في الواقع على الحلم الذي رأه في نومه ، بل على البطولة الفذة التي أبدأها في المعركة فاللهبت حماس جنده . يروى ابن عذاري أن المنصور حينما رأى تزحزح مقدمة جيشه في المعركة ، ترك ساقته (المؤخرة) وأسرع متفرداً إلى المقدمة ، ومرّ على الصفوف والقبائل موجهاً إليهم تعليماته ، فلما وقعت أعين الناس عليه ورأوا عظيم ما وصل إليه حميت نفوسهم ، وتحركت هممهم ، فحمل كل قبيل على من يليه ، ودفع كل موكب على من يقابلة من العدو ويلتقيه ، فانضمت على الكفار الأطناب ، وسدت عليهم الأبواب ... فولوا الأدبار وركبهم السيف^(٢) .

من هذا نرى أن شخصية القائد الأعلى للجيش عليها معول كبير في تحقيق النصر أو الهزيمة . وإذا عدنا مقارنة في هذا الصدد بين شخصية ابن يعقوب المنصور وبشخصية والده يوسف ابن عبد المؤمن ، وجدنا بينهما تفاوتاً كبيراً في هذا المضمار الحربي :

(١) ابن أبي زرع : روض القرطاس من ٢٢٤ - ٢٢٥ (طبعة دار المنصور ، الرباط ١٩٧٣) .

(٢) ابن عذاري : البيان المغرب من ١٩٤ - ١٩٥ .

فالابن يعقوب يوصف بالشجاعة والإقدام وشدة الصرامة على أعدائه لا يغيب عنه شيء عن أحوال رعيته ولا يجترئ أحد على مخادعته^(١). أما والده ، فرغم حبه وخروجه للجهاد ، إلا أنه كان حليماً متوفقاً عن سفك الدماء ، يحب العلم والعلماء ويترجل لهم ويصافحهم ويجالسهم ويناقشهم حتى المعارك دائرة على أشدتها فلا يلتفت لطلبات قواه مما أثار في نفوسهم مرارة كبيرة وخيبة أملهم في النصر .

مثال ذلك قول قائده أبي العلاء بن عزون في وصف هجوم الموحدين على مدينة ويدة Huete سنة ١١٧١/٥٦٧ م يقول :

، لما قاتلت النصارى في البرج الذي كان عدداً امتناعهم فيه بمدينة ويدة وأشرفوا على الفتح والغلبة لهم ، ولم أر أحداً من أهل الأجناد الأنجاد ، ولا من الشيوخ والقادات من يعيثني ، مشيت بنفسي إلى أمير المؤمنين يوسف بن عبد المؤمن وهو جالس مع طلبة الحضر يتكلم معهم في المسائل والمذاكر ، فقلت يا سيدنا أمير المؤمنين ، عسى العون فقد أشرفوا على الفتح ! وإنما كنت طاماً أن يركب في راه الناس وجميع العساكر فيدخلون المدينة في حينهم ، فلم يجاوبني واشتعلت على بما كان فيه ! ... فلعلت أن النية في الجهاد قد فسدت ! وأن الغزو قد تنكست ! ورجعت يائساً من النصر ،^(٢).

ومن الغريب أن مأساة مدينة ويدة تتكرر ثانية في حصار مدينة Santaren بالبرتغال حيث تشير المصادر إلى تخطيط الأوامر الخلافية وإلى ظهور الخلل في جميع الأحوال^(٣) ، إلى درجة أن الخليفة يوسف بن عبد المؤمن نفسه صرّح في مجلس خاصته بتصريح سري خطير سابق لأوانه ، كشف فيه عن خططه ، ولم يقدر مغبة عواقبه ، إذ قال : ، نحن راحلون غداً

(١) ابن عذاري : ١٤٠ - ١٤١ ص .

(٢) ابن صاحب الصلاة : المن بالإمامية ص ٤٩٦ - ٤٩٧ ومن بين العلماء الذين كان يتألف منهم مجلس الخليفة : الفقيه أبو بكر بن الجد والفيلسوف أبو الوليد بن رشد علاوة على أخيه السيد الأعلى أبي حفص .

(٣) ابن عذاري : البيان المغرب ص ١٣٤ .

إن شاء الله ! فما كان من الفقيه أبي الحسن المالقى بدون علم الخليفة أن قوض خباءه ليأخذ مكانه فى عبور النهر قبل الزحام ، وفعل الناس مثله ، وال الخليفة لا يعلم ذلك . فاستغل العدو البرتغالى هذا الخلل والاضطراب وهجم على خيمة الخليفة وطعنوه تحت سرته طعنة فاتلة سنة ١٨٨٤ هـ / ٥٨٠ م . ولما سأله الخليفة قبل وفاته عن السبب فى حركة الناس على هذا النحو أخبروه بما فعل أبو الحسن المالقى ، فقال : سيجيئ ثمرتها إن شاء الله . فلما بلغه ذلك هرب إلى مدينة شنترين فأكرمه ملك البرتغال ابن الريق Sancho Enriquez ولكن لم يليث أن أخذ عليه رسالة موجهة إلى أصحابه المرحدين يحرضهم فيها على فتح شنترين ، ويدلهم على نقاط الضعف فيها ، واعترف بذلك ، فأمر الملك بحرقه^(١) .

وهكذا استشهد الخليفة يوسف بن عبد المؤمن نتيجة لتهاونه فى اتخاذ قراراته ، وخلفه ولده يعقوب المنصور الذى عالج الموقف بكل شدة وحزم وانتقم لوالده من البرتغاليين وانتصر على ملكهم سانشو انريك براً وبحراً واكتسح أراضيهم وخرب حصونهم ثم انتصر بعد ذلك على ملك قشتالة ألفونسو الثامن الملقب بالصغير El Chico في موقعة الأرك - كما أسلفنا - ثم أعقب ذلك بسلسلة من الانتصارات في شمال إسبانيا وصل فيها إلى أراضي لم تطالها أقدام المسلمين منذ أيام المنصور بن أبي عامر . ولعل هذا هو السبب الذي جعل المؤرخين يشبهون يعقوب المنصور بالمنصور بن أبي عامر .

غير أنه يلاحظ أن غارات يعقوب المنصور هنا لم يكن هدفها احتلال الأرض بل ضرب قواعد العدو وتخرير موارده الاقتصادية بغية إضعافه ، وهي السياسة التي يسمى بها ابن خلدون بسياسة التقرى من قرية Guerra أي الحرب بالأسبانية ، ومعناها الطواف بها والإغارة عليها.

سادساً : أسلحة الموحدين وطريقة قتالهم :

كانت دولة الموحدين دولة عسكرية مجاهدة مثلها فى ذلك مثل دولة

(١) عبد الواحد المراكشى : المعجب ص ٢٥٨ - ٢٥٩ .

المرابطين التي سبقتها . وقد أشاد المؤرخون بسياسة الموحدين التربوية والقتالية التي كانت تهدف إلى توحيد العالم الإسلامي وإصلاحه من عيوبه كى يتمكن من مواجهة الصليبيين .

ولقد سبقت الإشارة إلى الحوار الذى دار بين سلطان المرابطين على بن يوسف بن تاشفين وضيقه القائد الأندلسي أبي محمد ابراهيم بن همشك أثناء حصار الموحدين لهما بمدينة مراكش والذي يبين مدى الإعجاب المتبادل بشجاعة الموحدين وشده مراسمهم فى القتال ، إذ يقول السلطان المرابطى لضيقه متهكمًا : أبو محمد يحسب أن قتال المصادمة (أى الموحدين) مثل قتال الروم (أى الأسبان) !! فيرد عليه ابن همشك : يا أمير المسلمين ، قد كان عندي ببلاد الأندلس جماعة منهم ونعلم مدى خفتهم وشجاعتهم وتشارعهم للقتال ... الخ .

هذه الرواية إن دلت على شيء فإنما تدل على صدق المثل القائل :
«والفضل بما شهدت به الأعداء ! ..»

ولقد اتبع الخليفة الموحدى الأول عبد المؤمن بن على طريقة فذة فى قتال المرابطين وصفها صاحب كتاب الحلال الموسية (١) ، وهى تقوم على احتواء هجمات فرسانهم الخاطفة يتبعها جيشه على شكل قلعة مربعة محاطة بغابة من الرماح الطوال والحراب والطوارق (٢) المانعة التى يحملها المشاة فى أبدיהם وأرجلهم ، ويساندhem من الخلف رماة السهام والحجارة ، ثم خيل الموحدين فى الوسط . فإذا كرت عليهم خيول المرابطين ، دخلت فى هذه

(١) الحلال الموسية مس ٩٤ - ٩٥ ، من ١٠٨ وكذلك (دوزى تكملة المعاجم العربية ج ٢ من ٤١) .

(٢) الطوارق جمع طارقة وهي ترس من الحديد أو الجلد طريل يغطى الجسم كله . وإن الكلمة دخلية وقد استخدمه الأسبان والأوروبيون (دوزى : تكملة المعاجم العربية ج ٢ من ٤١) وقد شبها المستشرق الألماني ماير بالتروس الدرماندية التى على شكل الطائرة الورقية Kite . راجع :

(Mayer : Saracenic Arms) and Armor , Ars Islamica Vol. X, 1943).

الغابة من الرماح الطويلة (١) ، فإذا فاتوا من الدفع وأدبروا ، خرج خيل الموحدين من طرق تركوها ، وفرج أعدوها فتصيب ما أصابت ، فإذا كرت عليهم دخلوا في غاب القنا .

كذلك اتخذ الموحدون في محاربة المرابطين طرق الجبال الوعرة التي اعتادوا عليها ، كي يجد المرابطون مشقة في الوصول إليهم ، كما أشرنا إلى ذلك من قبل .

أما بالنسبة لقبائل الأعراب المعادية لهم في إفريقية ، فقد اتبعوا في قتالهم طريقة أوصاهم بها الخليفة عبد المؤمن بن علي على إذا قال لهم : لا تشغلو بالغنائم إذا سمعتم العرب تقول : الرواح . اتبعوهم ولا تشغلو بالغنائم خوفاً من عودتهم على طريقة الكر والفر التي أتقنوها . فلما التقى الموحدون والعرب في معركة سطيف قالت العرب : الرواح ! ، فتبعهم الموحدون ولم يشغلهم المال ، فاتبعوهم يوماً وليلة ، وهزموهم بإذن الله ، ثم اشتغل الموحدون بعد انتصارهم بضم المال (٢) .

أما أزياء فرسان الموحدين ، فإنها كانت تتكون من العمامة والغفارة وهي عباءة أو كساء يلبس فوق آخر (مثل السلهام المغربي حالياً) والقبطية وهي ثوب أبيض رفيق من الكتان وجمعه قباطي والبرانس وهي الذي المغربي المعروف حتى اليوم ، وهو عبارة عن كساء يكون غطاء الرأس جزءاً متصلأ به . وكانت مدينة نول في القديم في بلاد السوس مركزاً مقصوداً لاقتناء البرانس (٣) . أما العبيد والسودان فقد تميزوا بثيابهم الملونة وعلى رؤوسهم

(١) حول أهمية الرماح الطوال في مقارنة الفرسان نشير من باب المقارنة إلى انتصارات المشاة الانجليز حاملي الرماح الطويلة Longbows على فرسان فرنسا في موقعة كريسي سنة ١٣٤٦ وموقعة بواتييه Poitiers سنة ١٣٥٦ . انظر :

(Andrew McNeil : Knights at war P. 14).

(٢) البيدق : المصدر السابق ص ١٣٦ .

(٣) ابن صاحب الصلاة : المن بالإمامية من ٢١٥ حاشية ، وكذلك (دوزي : تكملة المعاجم العربية ج ١ ص ٧٩) .

طراطير شديدة الحمرة^(١).

ولقد اختص خلفاء الموحدين بلباس الغفائر الزبيبية ، والبرانس المسكية .

ويروى ابن عذاري في هذا الصدد أن بعض أمراء الموحدين لم يتزموا بهذا الاختصاص الخلافي في بادئ الأمر إلى أن ولى الخليفة يعقوب المنصور، فرأى أكثر القرابة من الإخوة والعمومة قد اصطفوا واحتضروا لباس الغفائر الزبيبية والبرانس المسكية ، فأنكر عليهم ذلك الذي لكونه زمي الخليفة في حالي ركوبه وجلوسه في كل موطن . فلم يعد أحد منهم بعد ذلك للباس تلك الألوان المخصصة بالسلطان^(٢) .

أما رأيات الموحدين وأعلامهم فيروى ابن القطان أنه في بداية الأمر لما رأى المهدي بن توموت رأيات المرابطين المختلفة الألوان تملأ عليهم الفحوص والوديان صاح في أصحابه : لا تهولنكم هذه الخرق ! ، وارفعوا أنتم ما لديكم من الثياب ، فعن قريب تصير هذه العلامات كلها لكم ، ! (العلام والعلامات معناها بلغة المغاربة العلم والأعلام) فأخذ الموحدون يرفعون أزرهم وأكسبتهم وأردتهم ونحو ذلك ، ثم أفاء الله تعالى علامات أعدائهم^(٣) .

ولما استقر الأمر للإمام المهدي جعل شعاره البياض واتخذ العلام الأبيض أو الراية البيضاء ، وقد كتب على أحد وجهيها : الواحد الله ، محمد رسول الله ، المهدي خليفة الله ، . وفي الوجه الثاني : ما من إله إلا الله ، وما توفيق إلا بالله ، وأفوض أمري إلى الله ،^(٤) .

ومع ذلك الوقت ، صارت الراية البيضاء أو العلام الأبيض ، شعار الدولة الموحدية واتخذ الموحدون إلى جانبها أعلاماً أخرى ملونة بالنسيج الأحمر

(١) ننفس المصدر ص ٢٩١ ، ٢٨٩ ، ابن عذاري : نفس المصدر ص ١٨٠ ولعل هذه الطراطير الحمراء تذكرنا بالطريوش الأحمر الذي أطلق عليه الانجليز اسم Fez وهو اسم مدينة فاس المغربية مما يرجح وجود صلة بين الطريوش والطريشور .

(٢) ابن عذاري : البيان المغرب ص ١٥٩ .

(٣) ابن القطان :نظم الجمان ص ١٢٨ .

(٤) ابن القطان : ١٠ ص ١٢٧-١٢٨ .

والأصفر والأبيض ، وزينوا بها أركان خزانة مصحف عثمان بن عفان الذي كان ينقدم الموكب الخلفي عند مسيرته ^(١) . يقول المراكشي في وصف موكب الخليفة عبد المؤمن : « وقد خفت على رأسه أكثر من ثلاثة رأية ما بين أعلام وبنود وألوية » ^(٢) .

وهناك أيضاً القبة الحمراء التي كانت تنصب للخليفة الموحدى في الأماكن التي يعسكر فيها مع جنوده . ولعله تقليد لما ورد في السيرة النبوية أن الرسول ﷺ نصب قبة حمراء لاستقبال وفد ثقيف في السنة التاسعة من الهجرة ^(٣) .

ولقد أطربت المصادر المعاصرة في وصف مواكب الجيوش الموحدية عند خروجها بقيادة خلفائها أمراء المؤمنين متوجهة إلى دار الحرب ، ذكر منها على سبيل المثال وصف ابن عذاري لخروج موكب الخليفة يوسف بن عبد المؤمن سنة ٥٧٩ هـ / ١١٨٣ م يقول فيه :

، وركب أمير المؤمنين ، على عادة ركوبه من السكينة والوقار ، ودعا الناس له بالتأييد والنصر على جميع الكفار . وقد تقدم أمامه علامه الأبيض مع الرجال على العادة من الترتيب ومعه مصحف عثمان بن عفان رضي الله عنه على جمل أبيض مرتفع عليه كله قبة حمراء تصونه ، وهو مرصع بلفيس الجوهر والياقوت ^(٤) ، ويليه مصحف المهدى على بغل ، وبنوه من إخوانه السادات خلفه ، وعليه رايات مختلفة الألوان . وكان خروجه على باب دكالة من أبواب مراكش ^(٥) .

(١) ابن صاحب الصلاة : المن بالإماماة من ٤٤٥ حاشية ٣ ابن عذاري : البيان المغرب من ١٣٦ .

(٢) عبد الواحد المراكشي : المعجب من ٢٣٢ .

(٣) ابن صاحب الصلاة : المن بالإماماة من ٤٩٣ حاشية ٣ .

(٤) يشير عبد الواحد المراكشي (المعجب من ٢٥٢) إلى أن بعض هذه الجواهر جاءته هدية من ملك صقلية الورمانى سنة ٥٧٥ هـ (١١٧٩ م) منها حجر ياقوت يسمى الحافر جعلوه فيما كلوا به المصحف على قدر استداره حافر الفرس ، مع أحجار نفيسة أخرى .

(٥) ابن عذاري : البيان المغرب ص ١٢٩ - ١٣٠ .

أما أسلحة الموحدين ، فكانت لا تخرج عن الأسلحة المعروفة في ذلك العصر . وكان للموحدين مصانع للسلاح في المغرب إلى جانب مصانع الأندلس . وفيها كانت تصنع السيوف والدروع والببصات والقسى والسواعد والسيقان والرماح والسهام والمجانيق وألات الحصار وغيرها . غير أنَّ الموحدين اختصوا بأسلحة معينة مثل الرماح الطويلة التي سبقت الإشارة إليها ، وكانت تسمى بالعواى^(١) والأمراس والأسل ، وطولها اثنتا عشرة قدمًا ، وفي ذلك يقول الشاعر أبو عبد الله محمد بن أبي العباس التيفاشي في مدح الخليفة عبد المؤمن بن علي :

Maher عطفه بين البيض والأسل مثل الخليفة عبد المؤمن به على
 وقد اكتفى الخليفة بهذا البيت ومنح الشاعر ألف دينار^(٢) .

كذلك عرف عن الموحدين التكثير من اتخاذ الطبلول . وقد شغلت الطبلالة طبقة أو صنفًا من أصناف الجيش الموحدى . وكانت هذه الطبقة من العبيد السود . وعلاقة الطبل بالسود له ما يبرره حتى الآن ، إذ أنَّ الطبل الكبير مازال يعرف في المغرب باسم طبل جناوة نسبة إلى غينيا . كذلك يقال أيضًا طبل أجومى نسبة إلى الكومى عبد المؤمن بن علي الذي استخدم طبلولاً ضخمة بشكل لم يعرف من قبل . وفي ذلك يقول صاحب الحل المنشية :

« وكانت عادته في أسفاره أن يرحل بعد صلاة الصبح بعد أن يُضرب طبل كبير مستدير الشكل يبلغ دوره خمسة عشر ذراعاً ، مصنوع من خشب أخضر اللون مذهب . فإذا صررت فيه ثلاثة صربات ، علم أنه طبل الرحيل ، فيرحل الناس . وكان يسمع على مسيرة نصف يوم من مكان مرتفع في يوم لا ريح فيه^(٣) . ويضيف المراكشي أنَّ جيش عبد المؤمن كان يحتوى على أكثر من مائتي طبل في نهاية الكبر وفي غاية الصخامة ، يخيل لسامعها إذا

(١) الحل المنشية : ص ٩٥ .

(٢) الأصفهانى : خريدة القصر ج ١ ق ٢ ص ١٥٢ ، أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ج ٥ ص ٣٦٣ .

(٣) الحل المنشية ص ١٢٦ .

ضررت أن الأرض من تحته تهتز وبحس أن قلبه يكاد يتتصدع من شدة دويها،^(١).

هذا ، وينفرد ابن صاحب الصلاة برواية فريدة يصف فيها طبول المهدى بن تومرت بأنها كانت مربعة الشكل ، وذلك فى معرض كلامه عن طبول الخليفة يوسف بن عبد المؤمن بقوله :

وقد أحضرت الطبول السعيدة التى من أيام الإمام المهدى المربعة الأشكال ، السعيدة الأحوال ، بالنصر والإقبال ، وأضيق إليها من غيرها ما انكم فى طبل ،^(٢).

ومعروف عن المهدى عند المؤرخين أنه صاحب الدينار المربع ، ولكن لم يرد ما يفيد أنه صاحب الطبل المربع إلا فى هذه الرواية^١.

ويبدو أن علاقة السودان بالطبل والموسيقى كانت منتشرة أيضاً في الحياة الاجتماعية المغربية ، إذ يروى صاحب الروض الهاشون في معرض كلامه عن أهالى مدينة تاورا القريبة من مكانس قائلاً : وكان يعيش معهم السودان المسماون هذالك عبيد الحرمة ، وكان رجال السودان يلعبون الثقاف بالحديد ويرقصون ، ونساؤهم يضربن بالآلة اللعب ويغدوين والزامر يزمر عليهم بأبى قرون . وكانت هذه المناكير من عواندهم في أقراجهم ،^(٣).

ومن أسلحة الحصار الهاامة التي استخدمها الموحدون المجانيق والرعدات^(٤) ، كما استخدمو السلالم العالية لتسلي الأسوار لدرجة أنه كان لكل قبيلة سلمها الخاص بها . يقول البيدق في وصف احتلال الموحدين لمدينة مراكش : «فاستعمل الخليفة عبد المؤمن ، السلالم للأسوار وقسمها على

(١) عبد الواحد المراكشي : المعجب ص ٢٣٢ .

(٢) ابن صاحب الصلاة : المن بالإمامية ص ٤٣١ حاشية ١ .

(٣) أبو عبد الله محمد بن غازى المكتانى : الروض الهاشون في أخبار مكانسة الزيتون ص ١٣ ، وعن مدينة تاورا راجع (الإدريسى : نزهة المشتاق الجزء الخاص بشمال إفريقيا ص ٥٢ نشر هدى ببريس .

(٤) روض القرطاس ص ١٩٨ .

القبائل... فدخل هننانة وأهل تينمل من باب دكالة بسلمهم ، ودخل صنهاجة وعبد المخزن بسلمهم من باب الدباغين ، ودخل هكسورة مع القبائل من باب بيتنان واستفتحت مراكش ودخلت بالسيف ،^(١).

أما الحصان فكان السلاح الرئيسي الذي قامت عليه طبقة الفرسان عماد النظام الاقطاعي العسكري في العصر الوسيط الإسلامي والمسيحي . ولهذا اهتم الموحدون بتربية الخيول وإعدادها وتدربيها والمحافظة على سلامتها . وقد أشادت المصادر المعاصرة بالخيول الفازازية التي من نتاج جبال فازاز الممتدة من جنوب فاس ومكناس إلى وادي ملوية في منطقة تادلا والجبال التي حولها بالأطلس المتوسط . وكان سكان هذه المنطقة من برب زناتة وعرب رياح ، وقد اشتهروا بتربية هذه الخيول وكانت لهم قاعدة تسمى القلعة^(٢) .

ذلك استخدم الموحدون الإبل في حمل الأمة والأنقال كما استخدموها في القتال أيضاً في نطاق محدود كما فعل المرابطون من قبل ، فيروى ابن عذاري في وصف جيش الخليفة يعقوب المنصور الذي عبر به إلى الأندلس سنة ١١٨٩ هـ / ٥٨٥ م قائلاً :

، وكان الوصول إلى إشبيلية في الحادى عشر لجمادى الآخرة من السنة في غاية الحفل ، وركب السودان على النجب الأبيض بأيديهم الدرق وعلى رؤوسهم طراطير الطيلقان الشديدة الحمرة ، وصدر النجب منظومة بجلجيل على شكل السفرجل ، والأغزاز بضروب الحلل ، فظهر مرأى تحار فيه الأ بصار ، وتذهل الخواطر والأفكار ،^(٣) .

(١) البيدق : أخبار المهدى بن تومرت ص ١٠٣ .

(٢) ابن سعيد المغربي : الجغرافيا ص ١٤١ ، البيدق : أخبار المهدى ص ٥١ ، ابن الخطيب : أعمال الأعلام - القسم الثالث - ص ١٦٨ حاشية ، السلاوى : الاستقصا ج ١ ص ١٧٢ ؛ ملي حسن محمود : تاشفين بن على ص ٥٩ .

(٣) ابن عذاري : البين المغرب ص ١٨٠ وحول كلمة طرطور وانتشار استخدامه في المشرق في عصر المماليك . راجع دوزي : معجم أسماء الألبسة عند العرب ص ٢٠٢ وما بعدها) . أما كلمة الطيلقان فقلعلها من الأطلائق وهو نوع من الأعشاب (درزي : تكلة المعاجم العربية ج ٢ ص ٥٧) وقد سبقت الإشارة إلى الطرطور الذي يذكرنا بالطريوش الأحمر الذي أطلق عليه الانجليزى اسم Fez وهو اسم فاس أيضاً بالمغرب .

ولا شك أن الموحدين قد طوروا من أسلحتهم وطرق قتالهم عندما عبروا إلى الأندلس وواجهوا الأسبان والثوار الأندلسيين . وفي هذا الصدد يروى ابن القطان قصة تبين مدى اهتمام الخليفة عبد المؤمن بن على على بسير المعارك وطرق القتال في إسبانيا في عهد المرابطين ، يقول :

وتذكر عبد المؤمن يوماً حال الأندلس مع الروم المقاتلين ، فجرى ذكر وقعة أقليش Uclés (١) التي هزم فيها الطاغية أوفونس وقتل ولده شانجه ، فقال ، رضي الله عنه ، لوزيره أبي جعفر بن عطية : اخرج إلى أشياخ الجندي وسلام هل بقي أحد من حضر وقعة أقليش . ففعل ، فالنبي شيخاً يقال له عبد الله بن زيدون قال إنه حضرها ، وعمر بن تورزجين من أشياخ لمتونة أيضاً حضرها ، فعرف ابن عطية بذلك أمير المؤمنين ، فسرّ بأن بقي من يحده بصفة تلك الحروب ، وأمر بإدخالهما إلى مجلسه العالى ، وأمر لأن يحضر معهما أشياخ الجندي فكان ذلك ، وسألهما عما شاهداه من تلك الحروب ، فحكاها من أولها إلى آخرها . وعند تمام حكايتها أعطى لابن زيدون خمسمائة دينار ، ولابن تورزجين مثل ذلك ، وأعطى لأشياخ الحاضرين في المجلس لكل واحد مائة دينار . وكانت هذه الحكاية سبباً لنظره لجزيرة الأندلس وتجهيزه العسكري إليها ، (٢) .

والواقع إن الخليفة عبد المؤمن بن على ، الذي يعتبره المؤرخون من أكبر قادة العصر الوسيط كان مصاباً في تقديراته وبعد نظره ، على اعتبار أنه كان

(١) سبقت الإشارة إلى موقعة أقليش أو أقليج شرقى طليطلة سنة ٥٠١ هـ / ١١٠٨ م التي انتصر فيها المرابطون في عهد السلطان على بن يوسف بن تاشفين وبقيادة أخيه الأكبر الأمير أبي الطاهر تميم والى غرناطة . بينما كانت جيوش قشتالة بقيادة ولی العهد الأمير دون سانشو (شانجه) الابن الوحيد للملك الفونسو السادس من زوجته زيفة المسلمة ، ومعه سبعة من كبار قواده . وقد انتهت الموقعة بمقتل الأمير سانشو وقاده السبعة ولذا سميت بموقعة الأقماط السبعة Batalla de los siete Condes ولم يعش الفونسو السادس بعد هذه الكارثة وخلفته ابنته دونيا أوراكا Urriaca . وعذابها الغراب أو العقوق .

(٢) ابن القطان : نظم الجمان ص ١٣٨-١٣٩ .

مقدماً على مواجهة أساليب حربية مختلفة سواء من جانب الأسبان أو من جانب ملوك الطوائف الثائرين بشرق الأندلس ضد الموحدين^(١).

وكان على رأس هؤلاء الثائرين بالأندلس القائد أبو عبد الله محمد بن سعد بن مرادنيش الجذامي أمير شرق الأندلس ، الذي يبدو أنه كان عربياً بالولاء نظراً لأن اسم جده الأعلى مردنيش محرف من مارتنيث Martinez الأسپاني . وتسميه المصادر الأسبانية بالملك لوب El Rey Lobo كما منحه الباب لقب El rey Lope de gloriosa memoria أى الملك لوب صاحب الذكر الحميد^(٢) . وهو وصف يرمي للشجاعة لأن كلمة لوب في الأندلس كانت تطلق على حيوان مفترس أكبر من الذئب بقليل ، ويسمي أهل الأندلس بالسبع فالمعنى هنا يمكن أن يكون ، الملك السبع ،^(٣) .

كذلك تصفه المصادر العربية بأنه كان من مشاهير الفرسان ، ومساعير الحروب ، مال إلى اتخاذ زى الروم من اللباس الضيق ، وركوب البرازين الهمالج ، واتخاذ السروج الضخمة القرابيس ، واستعوان بالروم على تدبیره ، ورتب منهم أعواناً وجندًا ، وأفرد لهم بمرسيه منازل فيها الحانات والبيع ،^(٤) .

وما يقال عن ابن مرادنيش يقال أيضاً عن صهره وحليفه القائد ابراهيم بن أحمد بن همشك الذي سيطر على شقرة Segura وجيان وغرناطة . وكان هو الآخر من أصل إسباني ، وقد أسلم جده همشك على يد بنى هود ملوك

(١) حول أخبار الثائرين على الموحدين في الأندلس راجع (البيدق : أخبار المهدى من ١٢٥-١٢٧ نشر بروفسار) وكذلك (ابن الخطيب أعمال الأعلام من ٢٥٩-٢٦٢) .

(٢) انظر :

(Mechlor Antunia : Campanias de los Almohades en Espania, P. 13 Nota 5, Religión y Cultura , 1935, Escorial) .

(٣) راجع وصف ابن سعيد المغربي الغرناطي لبلاد الأندلس في (المقري : نفح الطيب ج ١ من ١٨٥) .

(٤) ابن الخطيب : أعمال الأعلام من ٢٥٩ وما بعدها .

سرفطة . ومنذ ذلك الوقت صار أفراد هذه الأسرة من قواد ثغور الأندلس (١) .

وهكذا نرى مما تقدم أن طريقة قتال الأندلسيين وأسلحتهم ، كانت مشابهة تماماً لطريقة جيرانهم الأسبان . ولعل الوصف الذي أورده كل من ابن سعيد المغربي (ت سنة ٦٨٥ هـ / ١٢٧٤ م) ، ولسان الدين بن الخطيب (ت سنة ٧٧٦ هـ / ١٣٧٤ م) في وصف ملابس الأندلسيين وأسلحتهم في هذه الفترة يعطينا فكرة واضحة عن مدى التأثير الأسباني في الحياة الأندلسية . يقول ابن

سعيد :

، وأما زى أهل الأندلس فالغالب عليهم ترك العمامات لا سيما في شرق الأندلس ، فإن أهل غربها لا تكاد ترى فيهم قاضياً ولا فقيهاً مشاراً إليه إلا وهو بعمامة ، وقد تسامحوا بشرفها في ذلك . ولقد رأيت عزيز بن خطاب أكبر عالم بمرسية ، وقد خطب له بالملك في تلك الجهة ، وهو حاسِر الرأس وشيه قد غالب على سواد شعره . وأما الأجناد وسائر الناس فقليل منهم من تراه بعممة في شرق منها أو في غرب . وابن هود الذي ملك الأندلس في عصرنا ، رأيته في جميع أحوال بيلاج الأندلس وهو دون عمامة . وكذلك ابن الأحمر الذي معظمه الأندلس الآن في يده . وكثيراً ما يتزيأ سلاطينهم وأجنادهم بزي النصارى المجاورين لهم ، فسلامهم كسلامهم وأقببيتهم (٢) من الإشكَّلات (٣) وغيره كأقببيتهم ، وكذلك أعلامهم وسرورهم . ومحاربهم بالتراس والرمائِج الطويلة للطعن ، ولا يعرفون الدبابيس (٤) ، ولا قسَّى العرب ، بل يعذون

(١) سبقت الإشارة إلى لقاء هذا القائد ابن همشك للسلطان المرابطي على بن يوسف بن تاشفين في العاصمة مراكش . ويقال إن كلمة همشك أصل معناها بالأسبانية المقطوع الأن . راجع (ابن الآبار : الحلة السيراء ج ٢ ص ٢٥٨ حاشية ١ نشر حسين مؤس) . ابن الخطيب : أعمال الأعلام من ٢٦٣ ؛ الحل الموشية من ٩٤) .

(٢) القباء والجمع أقبية ، ثوب يلبس فوق الثياب .

(٣) الأشكَّلات Ecarlate نسيج جوخ قرمزي أو وردي (دوزي : تكميلة المعاجم العربية ج ١ ص ٢٥) .

(٤) الدبابيس ، ومفردتها دبَّوس ، أعمدة ذات رؤوس حديدية مدورة ومصربة .

قسى^(١) الأفرنج للمحاصرات في البلاد ، أو تكون للرجالات عند المصادفة للحرب ... وأكثر عوامهم من يمشي دون طيلسان^(٢) ، إلا أنه لا يضعه على رأسه منهم إلا الأشياخ المعظمون . وغفائر الصوف كثيراً ما يلبسونها حمراً وخضراً ، والصفر مخصوصة باليهود . ولا سبيل ليهودي أن يتعمم البتة . والذؤابة لا يرخيها إلا العالم ، ولا يصرفونها بين الأكتاف ، وإنما يسدلونها من تحت الأذن اليسرى . وهذه الأوضاع التي بالشرق - أى شرق الأندلس - في العوام ، لا يعرفها أهل الأندلس^(٣) .

وفي ذلك يقول الشاعر مالك بن المرحل (ت سنة ٦٩٩ هـ) في جلوس جلد الأندلس :

يتشبهون بكل أغلف كافر^(٤) في زيهم وكلامهم في المشهد
 أما لسان الدين بن الخطيب وزير بنى الأحمر في غربانطة ، فإنه يصف زى الأندلس قبل عهده أى في عهد الموحدين بقوله : وزيهم في القديم أشبه بزى أقتالهم (أى الذين يقاتلونهم) وأصدقادهم من جيرانهم الفرنج ، أسباغ الدروع^(٥) ، وتعليق الترسة ، وحفا البيضة ، واتخاذ عراض الأسنة ، وبشاشة القرابيس (مقدمة السروج) ، واستركاب حملة الرياح خلفه ، كل بصفة تختص بسلاحه وشهرة يعرف بها ،^(٦)

من كل ما تقدم نرى أن أهل الأندلس على عهد الموحدين ، كانوا يتبعون

(١) قوس اليد هي العربية وقوس الرجل هي الأفرنجية وهي التي كانت سائدة في الأندلس.
 راجع وصفها في (ابن هذيل : حلية الفرسان وشعار الشجاعان ص ٢١١ ، تحقيق محمد عبد الغنى حسن) .

(٢) الطيلسان والجمع طيلاس كساء أخضر يلبسه الخواص من المشايخ والعلماء وهو من لباس العجم .

(٣) المقرى : نفح الطيب ج ١ ص ٢٠٧ - ٢٠٨ .

(٤) الأغلف الذي لم يختتن .

(٥) درع سابعة أى واسعة والجمع سوابغ .

(٦) ابن الخطيب : اللمحات البدوية في الدولة النصرية ص ٢٨ (القاهرة ١٣٧٤ هـ) .

نظاماً حربياً مختلفاً عن نظام الموحدين في المغرب . ولا شك أن دمج بلاد الأندلس مع المغرب في دولة واحدة ، واحتواء ثوارها وقوادها في صفوف جيشهما ، قد ساعد الموحدين على الاستفادة من هذه الخبرة العسكرية الأندلسية عند لقاء الأسبان بعد ذلك لأنهم كانوا على دراية بأساليبهم وطراائفهم ولغاتهم . وفي ذلك يقول ابن صاحب الصلاة :

واستصحب السيد الأعلى أبو حفص بن عبد المؤمن معه من الصنف الأندلسى ، القائد العاقل الدهاهية أبا محمد سيد رأى بن وزير ، وأخاه أبا الحسن على بن وزير ، وأشياخاً فرساناً وأبطالاً من الأجناد والساكينين بحضور مراكش من أهل الأندلس ، لمعرفتهم بالأندلس وحروبيها ، ولمذاكرتهم في مشاورتهم في محاولة ما يحتاج إليه من الأمور ومعرفة الثغر ، (١) .

سابعاً : القواعد والروابط والمحصون على عهد الموحدين :

١) تيئملى قاعدة الدعوة الموحدية : وتكتب أحياناً تينمال ، وتينمليل ، وتانملت ، وتين مل ، وهي تعنى بالبربرية الحاجز التي تقام في سفوح الجبال لجعلها صالحة للزراعة والسكنى (٢) .

وعندما شرع ابن تومرت في نشر دعوته بين ذويه وعشيرته المصامدة في أقصى المغرب ، اتخذ في بادئ الأمر قاعدة في جبل إيجيليز عند مدخل مدينة مراكش ، وكان يسمى أيضاً بالجبلين وجبل الجبلين . ولما اشتدت حركته انتقل إلى قلعة تيئملى الحصينة في قلب جبال أطلس الكبير وجعلها مركزاً لدعوته . وهي تقع على بعد ١٠١ ك.م في الطريق من العاصمة مراكش إلى تارودنت قاعدة السوس عبر الأطلسي الكبير الذي يسمى درن ومعناه بالبربرية جبل الجبال . يقول صاحب الحل الموشية :

وترجمه المهدى إلى تينمال لما رأى من منعها وحسن موضعها ، فقسم

(١) ابن صاحب الصلاة : المن والإمامية على المستضعفين ص ٤٠٠ نشر عبد الهادى التازى .

(٢) المن بالإمامية ص ٢١٥ حاشية ٢ ؛ وكذلك :

أرضها وديارها على أصحابه في خبر يطول شرحه ، وأدار على المدينة سوراً أحاط بوحداتها ، وبنى على رأس الجبل سوراً ، وأفرد في قمته حصنًا يكشف على ما وراء الجبل . ولا يعلم مدينة أحصن من تتمال ، لا يدخلها الفارس إلا من شرقها أو من غربها . فاما غربها ، وهو الطريق إليها من مراكش ، فطريق أوسع ما فيه أن يمشي عليه الفارس وحده ، وأضيقه أن ينزل عن فرسه خوفاً من سقوطه . وكذلك شرقها ، لأن الطريق مصنوعة في نفس الجبل ، تحت راكبها حفافات ، وفرقه حفافات ، وفيها مواضع مصنوعة بالخشب إذا أزيلت منها خشبة لم يمر عليها أحد . ومسافتها على هذه الصفة نحو مسيرة يوم ، وهذا الجبل ، جبل درن جبل متلج أبداً ، (١) .

ويضيف الإدريسي في وصف هذا الحصن بقوله : « وفي جبل درن الأعظم ، جمل من قلاع وحصون تشف على نيف وسبعين حصنًا ، وفيها الحصن المنيع القليل مثله في حصن الأرض بنية وتحصيناً ومنعة ، وهو في أعلى الجبل . ومن حصانته أن أربعة رجال يسكنونه وينعون الصعود إليه ، لأن الصعود إليه على مكان صيق وعر المرتفق ، لأنه يشبه الدرج الحرج ، ولا ترتفق إليه دابة البتة إلا بعد جهد ومشقة . واسم هذا الحصن تامللت ، وهو كان عمدة المصمودي محمد بن تومرت حين ظهر بالمغرب ، وهو الذي زاد في تشبيهه ، ونظر في تحصينه ، وجعله مدخراً لأمواله ، وبه الآن قبره ، (٢) . أما صاحب كتاب الاستبصار فيسميه مدينة البيضاء المعروفة بتتمال (٣) .

وبهذه الوسيلة لم يتمكن المرابطون حكام المغرب من الوصول إلى ابن تومرت في قاعدته الحصينة ، وكل ما استطاعوا عمله هو الاستعانة بمعامر وقاطع طريق أندلسى يعرف بالفالك أو الفلكي (٤) ، فى إقامة حصنون لضبط

(١) الحال الموشية ص ٩٢ ، نشر علوش .

(٢) الإدريسي : المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس من ٦٤ ، نشره وترجمه إلى الفرنسية دوزى ، ودى خويه (ليدن ١٨٦٦) .

(٣) كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار من ٢٠٨ نشر سعد زغلول عبد الحميد .

(٤) الفلك من كل شيء المستدير والوقار والمتردد ، ويقال رجل ذلك أى عظيم الآليتين ، والفلقى (بالقاف) بدل الكاف الداهليه والفكى العالم بعلم الفلك أو المنسوب إلى الفلك .

ومراقبة أنقاب أو طرق جبال درن التي كان يتوقع أن ينزل الموحدون منها إلى البسائط . وبهذا تمكنا من متعهم من الهبوط عليها ولكن لفترة مؤقتة (١) .

هذا ، وقد أفرد المؤرخ المعاصر أبو بكر الصنهاجي المكتن بالبيذق ، باباً في كتابه بأسماء تلك الحصون ومن كان فيها وكيف استولى ابن تومرت عليها (٢) .

(٢) مدينة مراكش عاصمة دولة الموحدين : سبقت الإشارة إلى أن رحبة مراكش اسم مكان معروف من قديم ، وأن مدينة مراكش بناها المرابطون في عهد أبي بكر بن عمر اللمتوني سنة ٤٦٢ / ١٠٧٠ م واتخذوها عاصمة لهم . وأن أمير غرناطة المعاصر لأحداث هذه الفترة عبد الله بن زيري ، يذكرها في مذكراته باسم مروكش وهو قريب الشبه من التسمية الأسبانية Marruecos (٣) .

ولما قضى الموحدون على دولة المرابطين ، واستولوا على مدينة مراكش سنة ٥٤١ / ١١٤٧ م ، اتخذوها عاصمة لدولتهم الجديدة ، غير أن الخليفة عبد المؤمن اكتفى في بداية الأمر بترتيب الأمانة عليها لحصر ما فيها من أموال وفيه وديار وسكان ، لتقسيمه على الموحدين ، بينما ظل هو في محلته خارج المدينة . وقيمت مراكش على هذا الحال ثلاثة أيام لا يدخلها داخل ولا يخرج منها خارج . وأبى الموحدون دخولها أو سكناها . وكانت حجتهم في ذلك أن الإمام المهدي كان يقول لهم : لا تدخلونها حتى تطهروها ، وذلك بسبب تشريق مساجدها عن القبلة المستقيمة التي لا عوج فيها ، وميلها إلى الشرق ، أي انحرافها عن الاتجاه الصحيح نحو مكة . ولما سأله الموحدون فقهاءهم : وما

(١) الحل الموسوية ص ٩٣ .

(٢) البيذق : كتاب أخبار المهدي بن تومرت ص ١٧٢ - ١٧٦ (نشر عبد الحميد حاجيات) .

(٣) مذكرات الأمير عبد الله آخر ملوك غرناطة (٤٩٦ - ٥٤٨٣) المسماة بكتاب التبيان من ١٢٥ ، من ١٧١ نشر ليثي بروفيسال (مجموعة ذخائر العرب رقم ١٨ ، دار المعارف) .

تطهيرها ؟ قال الفقهاء : تهدم جوامعها ، وتبني جوامع أخرى . عندئذ شرعاً في هدم الجوامع ، ولكنهم لم يهدموها كلها بل هدموا بعضها ، وبنوا لأنفسهم جامعاً يصلون فيه . وحينئذ دخل الخليفة عبد المؤمن مدينة مراكش ، وقسم أزقتها على الموحدين فسكنوها ^(١) .

ثم شرع الخليفة عبد المؤمن في بناء المسجد الجامع الذي يتبع القصر وهو المعروف بجامع الكتبية . ولما أتمه صنع فيه سباعاً ^(٢) يدخل من القصر إليه ومنه إلى الجامع دون أن يراه أحد . ونقل إليه منبراً عظيماً كان قد صنعه بالأندلس في غاية الإنفاق ، قطعانه عود وصندل أحمر وأصفر ، وصفائحه من الذهب والفضة . كذلك صنع بجواره مقصورة من الخشب لها ستة إضلاع للجلوس فيها أثناء صلاة الجمعة ، وتنسخ لأكثر من ألف رجل . وكانت تتحرك بطريقة هندسية ميكانيكية ترفعها عند دخول الخليفة ، وتختفي بعد خروجه وتغطي بالبسط . وكذلك المنبر يكون بابه مسدوداً ، فإذا قام الخطيب ليطلع عليه ، انفتح الباب وخرج المنبر في دفعة واحدة ويحرکة واحدة لا يسمع له حس . وكان الذي أشرف على صنع هذه المقصورة عريف (أى مهندس) من أهل مالقة بالأندلس اسمه الحاج يعيش ، وهو الذي ابتنى مدينة الفتح بجبل طارق في عهد عبد المؤمن أيضاً ^(٣) .

كذلك غرس عبد المؤمن في خارج مراكش بساتين البحيرة التي بشسلولية : Santa Eululia أى القديسة أولوليا . ولعل الكلمة كانت اسمًا لدير أو كنيسة قديمة ^(٤) . وكانت مساحة هذه البساتين تبلغ ثلاثة أميال مربعة وفيها

(١) البيدق : نفس المصدر من ١١٩ - ١٢٠ ، الحل الموشية من ١١٨ - ١١٩ ، الاستبصار من ٢٠٩ ، ابن عذاري : البيان المغرب - القسم الثالث - من ٢٣ . وكذلك :

G. Deverdum : Marrakech des origines a 1912, P. 163, Rabat 1959)

(٢) السباع يربط القصر بالمسجد رأساً بحيث لا يحتاج الخليفة إلى دخول المسجد من مدخله العام بالطريق .

(٣) المن بالإمامية من ١٣٩ ، الحل الموشية من ١١٩ - ١٢٠ .

(٤) البيدق ص ١٤٤ .

أطيب أشجار الفواكه وأشجار الزيتون ، وتصلها المياه من مدينة أغمات المجاورة^(١).

وهكذا اتخد الموحدون في عهد عبد المؤمن مدينة مراكش عاصمة لهم بعد أن طمسوا معالم المرابطين فيها . ثم أخذت المدينة في عهد ولده أبي يعقوب يوسف تزداد اتساعاً وعمراً لدرجة أنه أمر في سنة ١١٨٣/٥٥٧٩ بهدم سورها الأول وإقامة سور آخر^(٢) . وهذا يدل على أن مدينة ثانية متصلة بالأولى أخذت تتكون حتى صارت تقاربها في دورها في عهد ولده يعقوب المنصور سنة ١١٨٩/٥٥٨٥ الذي زودها بدوره بالقصور والفنادق والأسواق والقيساريات وصهاريج المياه والبساتين ، ومارستان للمرضى يسمى دار الفرج ، إلى جانب الحصون والأبراج والقصبات والأسوار والأبواب^(٣) .

وتجدر الإشارة هنا إلى حدوث تطور ملحوظ في فن العمارة العسكرية على عهد الموحدين . فالمرابطون قبلهم استخدموا الحجر في مبانيهم الدفاعية في مراكش أو الطين المدكوك مع الديش (الحجارة المكسرة) كما يظهر في بعض أبواب تلمسان . ولكنه مع قيام دولة الموحدين تحولت تقنية البناء العسكري إلى استخدام نوع من الطين المخلوط بالحصى والرمل والجير الذي يدك بين ألواح الخشب - كما يشرح ابن خلدون - فيأتي صلباً كالحجر أو الكونكريت وهو الذي يعرف باسم « الطابية » . وهكذا حللت الطابية محل الحجر في كل تحصينات الموحدين في القرن السادس الهجري (١٢ م)^(٤) .

مما تقدم نرى أن مدينة مراكش ، قد حظيت كعاصمة لامبراطورية الموحدية ، بكل ما يناسبها من رعاية وعناية وتحصين عسكري ، إلى جانب

(١) الحل الموشية ص ١٢١ .

(٢) ابن عذاري : البيان المغرب ص ١٢٦ .

(٣) الاستبصار ص ٢٠٩ - ٢١٠ وكذلك :

Basset et Terrasse : Sanctuaires et Forteresses Almohades Hespérides 1932).

(٤) سعد زغلول : العمارة والفنون في دولة الإسلام ص ٥٠٣ (منشأة المعارف ١٩٨٦) وكذلك (لاندو Landau : القصبات في جنوب مراكش من ٢١ ، لندن ١٩٦٩ ، بالإنجليزية) .

موقع جغرافي فريد يجمع بين جمال منظر رمالها الحمراء ، ونخيلها الخضراء ،
وثلوج جبالها البيضاء ! مما جعلها أجمل حاضر الدنيا .

٣) **الثغور والروابط الساحلية** : اهتمت دولة الموحدين بوسائل
الدفاع الساحلي ضد عارات المعتدين على أراضيها في المغرب والأندلس ،
فأنشأوا القواعد ، والقصور ، والروابط والمحارس ذات المناور أو الطلائع
التي تشعل النار ليلاً على قممها ، وتثير الدخان نهاراً لإذار الأهالي
عند وقوع غارة بحرية معادية . هذا ، إلى جانب استخدام الطبلول للفرض
نفسه ، وهي تقابل الأجراس والأبواق عند المسيحيين .

ومن أمثلة تلك القواعد والمحصون والثغور الساحلية على عهد الموحدين
ذكر :

أ- رباط تيط :

ويقع على ساحل المحيط الأطلسي جنوبي مازيغان (الجديدة الحالية)
بنحو ١٥ ك.م ويؤرخ بناء هذا الحصن في حوالي منتصف القرن السادس
الهجري (١٢٠) (١) .

ب- قصبة المهدية :

بنها الخليفة عبد المؤمن بن علي على سنة ١١٥٠ / ٥٥٤٥ م على
الصخور البحرية عند مصب وادي أبي الرقراق الحالي ، مقابل
مدينة سلا وفي مكان مدينة الرياط (٢) ، أو قصبة الوداية

(١) راجع : Georges Marçais : L'architecture Musulmane d'Occident P. 222, Paris 1954).

(٢) يلاحظ أنه في ذلك الوقت كان العمران سائداً في مدينة سلا وضاحيتها شالة ، أما
مكان مدينة الرياط المقابل لها ، فكان في الأصل قلعة متعددة أوريات يرابط فيه آلاف
المجاهدين لجهاد قبائل برغواطة المارة المجاورة في المغرب . وقد زاره الرحالة
ابن حرقى في القرن الرابع الهجري (١٤٠) ولما قضى المرابطون على برغواطة
وسيطروا على هذه المنطقة ، بنوا هناك قصبة صغيرة سكنها جماعة من صنهاجة الثامن
وهم بنوتربغا فسميت بقصر بنى ترغة (التواركة) . كذلك يشير صاحب الحل الموسية
ص ١١٢ إلى قصبة الأمير المرابطي تاشفين بن على في الرياط عند كلامه -

الحالية^(١) ، وعلى ساحل المحيط الأطلسي . وقد سماها بالمهدية تيمناً باسم المهدى بن تومرت ، فأدار أسوارها ، وفتح أبوابها ، وأسس مدرستها ، وشيد منارها وبنى مسجدها ، وقصره ، ثم ساباطه فيها ، كما أجرى لها الماء فى سرب تحت الأرض من عين غبولة التى تقع فى جنوب غرب الرياط ب فهو تسعه عشر كيلومتراً . ومازالت آثار السقاية المتفرعة منها باقية إلى الآن^(٢) . وقد نقش الخليفة عبد المؤمن على الباب الشرقي لهذه القصبة تلك الآية الكريمة التى ترمذ إلى جهاد العدو المهاجم من البحر :

، يا أيها الذين آمنوا هل أدركتم على تجارة تنجيمكم من عذاب أليم ، تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله ... إلى قوله : وبشر المؤمنين^(٣) .

ولا يبعد أن يكون هدف الخليفة الموحدى فى إطلاق اسم المهدية على هذه القلعة هو محاكاة مهدية الفاطميين بتونس من حيث حصانتها وإحاطتها بالبحر ، وإن كانت الرواية الموحدية السائدة تقول بأن أهل الأثر وكذلك المهدى ابن تومرت كانوا قد بثروا ببناء مدينة فى هذا المكان والزمان^(٤) .

= عن احتلال عبد المؤمن لمدينة سلا وعلى هذا الأساس افترض چاك كايه فى كتابه عن مدينة الرياط من^(٤) أن قصر ترفة وقصبة الأمير تاشين كانتا فى مكان واحد ، أو لعل الثانية قامت على أنقاض الأخرى فى مكان قصبة الوداية الحالية .

(١) الوداية قبيلة عربية من قبائل المعقل ، سكنت حوز فاس ، وجندتهم المولى اسماعيل فى جيوش فى القرن ١٧ م ، كما أسكنهم المولى عبد الرحمن قصبة الرياط فنسبت إليهم قصبة الوداية . وكان قائدتهم أبو العلاء إدريس الجراوى ، وهو جد الجرايبين الموجردin بالرياط حالياً . راجع (عبد الوهاب بن منصور : قبائل المغرب ، ١٣٨ ، ٤٢٤ ، أبو عبد الله بوجندار : مقدمة الفتح من تاريخ رباط الفتح ص ٦٨) (الرياط سنة ١٣٤٥ م) .

(٢) ابن صاحب الصلاة : المن بالإمامية ص ٢١٨ ، ٤٤٨ ، السلاوى : الاستقصا ج ٢ من ١٢٨ ، كذلك :

Jacques Caillé : La Ville de Rabat , Histoire et Archéologie P. 27, 44,
Paris 1949).

(٣) سورة الصاف ٦١ (آيات ١٠-١٣) راجع (محمد العوني : العلوم والأداب والفنون على عهد الموجردin من ١٣ بوجندار المرجع السابق ص ٤١-٤٢) .

(٤) ابن صاحب الصلاة : المصدر السابق ص ٤٤٧ ، بوجندار : مقدمة الفتح من تاريخ رباط الفتح ص ٤٤ .

كذلك ينبغي أن نضيف إلى ما تقدم حقيقة هامة وهي ضرورة عدم الخلط بين مهدية الموحدين التي صارت قصبة رباط الفتح عاصمة المغرب الآن ، وبين مدينة المهدية الحالية أو المعمورة التي تقع على الضفة اليسرى لمصب وادي سبو بالقرب من القنطرة على ساحل المحيط الأطلسي ، فهذه الأخيرة - كما ذكرنا سابقاً - سميت بالمهدية أيام العاهل المغربي المولى اسماعيل سنة ١٦٨١هـ / ١٠٩٢م عندما ضيق الحصار على الجيش الأسباني المرابط فيها ، فخرج إليه راهبها أو قائد جيشه مستسلماً وبيده مفاتيح المدينة كهدية للسلطان ، فأمنه وقبل هديته ثم دخل المدينة وسمها المهدية^(١) .

أما قصبة المهدية التي بناها عبد المؤمن ، فإنه لم ينس أن يربط بينها وبين مدينة سلا مقابلة لها بواسطة جسر من السفن المشدود بعضها ببعض بالسلسل عبر وادي الرمان أو أسمير^(٢) (أبو الرقواف الحالي) وعليها أواح من الخشب كى تمر عليها الجيوش والمعدات المتوجهة إلى إسبانيا^(٣) .

جـ) ميلاد مدينة الرباط (رباط الفتح) :

بعد وفاة الخليفة عبد المؤمن بن على خلفه ولده أبو يعقوب يوسف (٥٥٨-١١٦٣ / ١١٨٤م) الذي سار على سياسة والده العسكرية الجهادية من حيث تشييد التغور ومد الجسور وإقامة الأسوار والحسون حول المدن ومناجم المعادن لحمايتها من المعتدين^(٤) .

(١) عبد الرحمن بن زيدان : أعلام الناس بجمال أخبار حاضرة مكناس ج ٢ ص ٧٢
عبد الهادى التازى : مهدية المولى اسماعيل ، مجلة المغرب ، مايو سنة ١٩٦٣ ، انظر
ذلك : (Caillé : La Ville de Rabat P. 63)

(٢) أطلق الإدريسي اسم أسمير ، ومعناه الكبش بالبربرية ، على وادي أبي الرقواف . بينما يسميه المراكشي وادي سلا ووادي الرمان ولعلها الرومان على اعتبار أن سلا مدينة رومانية الأصل . أما اسم أبو الرقواف فجاء بعد ذلك وقد ذكره الحسن الوزان (ليون الأفريقي) في القرن السادس عشر في كتابه وصف إفريقيا .

(٣) ابن صاحب الصلاة : المن بالإمامية ص ٤٥٠ .

(٤) ابن عذاري : البيان المغرب ص ١٢٠ حيث يتكلم عن معدن (أى مناجم) بلاد السوس وحمايته .

ومن أبرز أعماله تأسيس مدينة رباط الفتح التي شيد والده قصبتها المهدية من قبل . وهنا يقدم لنا ابن صاحب الصلاة وصفاً جميلاً لعملية ميلاد هذه المدينة الخالدة المطلة على المحيط ، وعاصمة المغرب حالياً ، يقول :

لما خرج الخليفة أبو يعقوب يوسف من الحضررة مراكش سنة ١١٧١/٥٥٦٦ م للجهاد في الأندلس ، اتجه في طريقه إلى قصبة المهدية التي بناها والده على فم البحر بجوار سلا . وحينما قرب منها ، أمر بتعديل نظام موكبه التقليدي على غير عادة ، فنقل الطبول التي تقصف وراءه في الساقية (أى المؤخرة) ، إلى المقدمة مع الرايات الكبار أمامه تعظيمًا لهذا اللقاء . فلما بلغ باب المهدية ، رد إلى الناس واستقبلهم وهو راكب على فرسه ، وحياتهم وبارك جمعهم ، ثم أمرهم بالنزول في تلك الأراضي العريضة ، وطلب منهم البقاء والبناء ثم دخل إلى داره بالمهدية^(١).

ولا شك أن هذه الحركة الخلافية المباركة ، وهذا التبريز الفخم الضخم المصاحب لها ، يعد بمثابة تكريس لميلاد مدينة الرباط ، وذلك في يوم الإثنين الموفي عشرين من رجب من سنة ست وستين وخمسة (١١٧١/٥٥٦٦ م).

وفي اليوم التالي شرع الخليفة يوسف في تنفيذ ذلك عملياً حينما وجد أن الماء الجارى المسرب الذى جلبه أبوه عبد المؤمن إلى هذا المكان من عين غبولة منذ أكثر من عشرين سنة قد فسد جريه ، وأسن ماوه ، وتعطل فى البساط سقيه ، فأمر بإعادته إلى حاليه الأولى ، وزاد فيه بناء صهريج عظيم متسع يجمع فيه الماء ثم يجري من ذلك الصهريج إلى السقاية المذكورة حيث شرب خيل العسكر ومواشيه ومواشى الناس^(٢).

كذلك وجد أن الجسر الذى كان أبوه قد نصب بين المهدية وسلا عبر الوادى والنهر الفاصل بينهما (أبو الرفراق) لإجازة النادر والجدد عليه ، قد خرقته البحور ، وهدمته الدهور ، فأمر بنصب جسر آخر بى جانبها أعظم منه

(١) ابن صاحب الصلاة : نفس المصدر من ٤٤٦ .

(٢) ابن صاحب الصلاة : المن بالإمامية ص ٤٤٩ - ٤٥٠ .

بناءً وأساساً واعتلاءً من الحجر والجيار ، الثابت لأمواج البحار ، ووصله بالقوارب والخشب حتى جاء في أمن له من الأزمان والحقب ،^(١)

ويضيف صاحب الاستبصار في وصف هذا الجسر الضخم^(٢) بأنه كان مقاماً على ٢٣ معدية مدّت عليها أوصال الخشب ، وصلبت عليها الألواح والفرش الوثيق الذي لا يؤثر فيه الحافر تجوز عليه العساكر والمسافرون ، وحولها يتصيد أنواع السمك والشابل^(٣) .

على أن مدينة رباط الفتح لم تأخذ شكلها الرسمي كمدينة بهذا الاسم إلا في عهد المجاهد الكبير أبي يوسف يعقوب المنصور (٥٨٠ - ١١٨٤ هـ) الذي سار على سياسة والده يوسف وجده عبد المؤمن في تشييد التغور والمساجد والحسون . ومن أهم أعماله في هذا الصدد اتمام بناء مدينة الرباط التي اختطها والده بجوار قصبة المهدية التي بناها جده .

وقد أنفق المنصور عليها الأموال الطائلة وأخماس غنائم الروم وسمّاها رباط الفتح ولعل سبب اهتمام الموحدين بموقع هذه المدينة يرجع إلى أنه :

١- يقع على الساحل قرب مضيق جبل طارق وفي نقطة متوسطة بين فاس ومراكش وبين البلاد الشمالية والجنوبية التي يقطنها وادي أبو الرقراق .

(١) ابن صاحب الصلة : المن بالإمامية ص ٤٤٩ - ٤٥٠ .

(٢) يلاحظ هنا أن هناك فرقاً لغوياً بين الجسر والقطنرة ، فالجسر متحرك مقام على قوارب يمكن قطعه وفتح بعض أجزائه لمرور السفن ثم يعاد شده من جديد مثل الكباري في الوقت الحاضر . أما القنطرة فهي أبنية ثابتة بعرض النهر . وهذا يفسر عبارة اليعقوبي عندما قبل للخلافة العباسي أبي جعفر المنصور عن أهمية موقع بغداد : وأنت بين أنهار لا يصل إليك عدوك إلا على جسر أو قنطرة ، فإذا قطعت الجسور وخربت القنطرات لم يصل إليك عدوك . راجع كتابنا (في التاريخ العباسي ص ٥٥) .

(٣) كتاب الاستبصار ص ١٤١ والسمك بجميع أنواعه وأحجامه يطلق عليه اسم الحوت في المغرب . والشابل نوع نهرى موسمى مشهور منها ، والمعروف في الأسبانية باسم Sábalو وقد اشتکى الوزير الغرناطي ابن الخطيب من شوكه بقوله : وشابلها مقصور على فصل وكم لشوكه من شيئاً ! ، ولكنه عاد ومدحه بقوله : وكفى بالشابل رزقاً طرياً وسمكاً بالتفصيل حرياً . راجع كتابنا (مشاهدات لسان الدين بن الخطيب في بلاد المغرب والأندلس ص ٦٠ ، الإسكندرية سنة ١٩٥٩) .

٢- خصوبة هذه المنطقة وغناها مما يجعلها قادرة على تجهيز الجيوش وتمويلها قبل الذهاب إلى الأندلس برسم الجهاد .

وبعد أن أتم المنصور أسوار هذه المدينة وأبراجها ، بني فيها مسجده المعروف باسم مسجد حسان على اسم مهندسه الذي يقال إنه أندلسي وأن ضريحه موجود بجوار المسجد^(١) . وبعد هذا المسجد من أعظم مساجد الإسلام وأكبرها . ويقول صاحب الروض المعطار أنه كان يعمل في بنائه ونقل أحجاره سبعمائة أسير من أسرى الفرنج . وقد شبهه ابن بطوطة بمسجد بلخ في عظمته ، كما شبه صاحب المعجب مثارته على هيئة مذارة الاسكندرية القديمة في علوها ، وقال إنه كان يصعد فيه (المسجد) إلى أعلىها في طريق حلزوني داخلي بغير درج^(٢) . ولقد تعرض مسجد حسان لحريق وزلزال أطاح بطرف صومعته ، كما استخدم بعض خلفاء الموحدين أخشابه في صناعة سفنهم وأجفانهم ولكنه ظل مع ذلك مضرب الأمثال في الشهرة والاعتبار مثل قول ابن الخطيب :

« وطل حسان المثل في الاشتئار » .

والواقع إن مدينة الرياط وإن كان الخليفة يوسف بن عبد المؤمن هو الذي اخترعها ورسم حدودها ، إلا أن ابنه يعقوب هو الذي جعل منها مدينة حقيقة ، وفي ذلك يقول ابن عذاري :

« وأمر المنصور بتعظيمها وتحصينها حتى صارت معلم الدنيا ارتفاعاً ووثافة ومنعة »^(٣) .

كذلك يصفها ابن الخطيب بقوله : « وفي مقابل سلا يقع الرياط ، الذي ظهر به من المنصور الاغناباط ، حيث القصبة والسباط »^(٤) . أما عبد الواحد

(١) عبد الله السوسي : تاريخ رباط الفتح من ١٢٥ (١٩٧٩) .

(٢) عبد الواحد المراكشي : المعجب ص ٢٦٦ ، يوجد دار : مقدمة الفتح ص ٤٦ .

(٣) ابن عذاري : البيان المغرب ص ٣٣٩ .

(٤) راجع كتابنا (مشاهدات لسان الدين بن الخطيب ص ١٠٥) .

المراكشي فيسميه اسكندرية المغرب لأنها كانت تشبهها في اتساعها وحصانتها وحسن تقسمها وفي منارتها أيضاً^(١).

وعلى الرغم من أن مدينة الرياط لم يمتد العمران فيها أيام يعقوب المنصور حتى قيل إنه لما رأها فارغة ندم على بنائها ، إلا أنها عمرت بعده ولا سيما حينما استوطنها أهل شرق الأندلس في عهد الخليفة الرشيد الموحدى في القرن السابع الهجرى (١٣ م)^(٢) ثم قدر لها أخيراً أن تصبح عاصمة المملكة المغربية ، وكان ذلك منذ سنة ١٩١٢ م حينما اختارها المارشال الفرنسي ليوتى Lyautey مركزاً إدارياً للمغرب^(٣).

د) مدينة الفتح بجبل طارق :

لم تقتصر المنشآت العسكرية التي شيدها الموحدون على بلاد المغرب فحسب ، بل شملت أيضاً بلاد الأندلس . ومن أهم تلك الأعمال مدينة الفتح التي بناها الخليفة عبد المؤمن على سفح جبل طارق سنة ٥٥٥هـ / ١١٦٠ م لتكون قاعدة حصينة لتجمعات جيوشه القادمة من المغرب . ومنذ ذلك الوقت صار جبل طارق يعرف أيضاً بجبل الفتح^(٤) . ولقد أحاطتها بالأسوار والأبراج واتخذ فيها جامعاً وقصوراً له ولأولاده ، وغرس فيها الأشجار ، وجلب إليها الماء العذب من آبار الجبل ، كما صنع له الحاج يعيش المالقى المهندس فى أعلى الجبل رحى تطحن الأقواس بالرياح^(٥) !! وهو عمل فريد في نوعه لأن الأرحاе أو الطواحين المعروفة في تلك العصور القديمة كانت طواحين مائية تدور بجريبة

(١) المعجب في تلخيص أخبار المغرب من ٣٤١ .

(٢) راجع مقال ملشور انطربانيا في مجلة الأندلس سنة ١٩٤٥ عن هجرة أهل شرق الأندلس لتعزيز الرياط في عهد الرشيد الموحدى في القرن السابع الهجرى ، وهي من رسائل أحمد بن عميرة المخزومي .

(٣) من الكتب القيمة التي ظهرت حديثاً عن مدينة الرياط كتاب (سحر السيد عبد العزيز سالم : مدينة الرياط في التاريخ الإسلامي ، الاسكندرية سنة ١٩٩٦) .

(٤) راجع (عبد الواحد المراكشي : المعجب من ٢١٣ حيث يقول : ومن سبعة عبر غبد المؤمن البحر ونزل الجبل المعروف بجبل طارق ، وسماه هو جبل الفتح فأقام به شهراً .

(٥) ابن صاحب الصلاة : المن بالإمامية ص ١٤٢ حاشية ٢ .

الماء في الأنهر والقنوات وتستخدم في طحن الغلال والأقوات . ولقد أشار آدم متز نقاً عن ابن حرق المقدس إلى وجود أرحاء هوائية في سجستان وكرمان تستخدم في مواسم معينة تشتد فيها الرياح الشمالية من منتصف شهر يونيو وتستمر شهرين ، فكان أهل تلك البلاد ينتفعون بهذه الرياح فنصبوا عليها أرحاء يسرونها بها (١) .

و واضح أن هذه الأرحاء كانت تعمل بصفة مؤقتة بينما رحى الريح التي صنعتها الحاج المهندس يعيش المالقى في جبل طارق كانت تعمل بصفة دائمة لأول مرة .

ومن حسن الحظ أنه يوجد لدينا ضمن مجموعة الرسائل الموحدية التي نشرها العالم الفرنسي ليغي بروفنسال ، الخطاب الرسمي الذي وجهه الخليفة عبد المؤمن إلى الطلبة (٢) في غرناطة سنة ١١٥٩ / ٥٥٤ م ، يعلّمهم فيه عن عزمه على بناء مدينة الفتح بجبل طارق ، ويطلب منهم ومن أخوانهم طلبة اشبيلية ، وأشياخ الأندلس ، أن يعاونوه على ذلك العمل بالذهاب إلى جبل طارق ومشاركة المهندسين في اختيار المكان الصالح إلى حين قدومه إليهم (٣) . والرسالة من إنشاء كاتبه الأديب أبي جعفر أحمد بن عطية (٤) .

(١) آدم متز : الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري ج ٢ ص ٣٥٨ - ٣٥٩ (ترجمة عبد الهادي أبو ريدة) كذلك يحكى عن أبي لوز فیروز الجرسى قاتل عمر بن الخطاب وكان فارسيًا من نهاوند أنه قال : لو شئت أن أصلع رحي تطحن بالريح لفلت ، (المسعودي : مروج الذهب ج ٢ ص ٣٢٩) .

(٢) كان مدلول اسم الطلبة في المغرب يختلف عن مدلوله في الشرق ، فالمراد بالطلبة هنا شيوخ العلم والمعرفة على اعتبار أن العالم طالب علم مدى الحياة . وكان منصب رئيس الطلبة من المناصب الكبرى في الدولة ويسعد إلى شخصية علمية مرموقة وظاهر (أي مرسوم) سلطاني . ونلاحظ أن الرسائل التي وجهها خلفاء الموحدين إلى المدن المختلفة كانت كلها تقريباً موجهة إلى طلبة تلك المدن . أما معنار الطلبة فكان يطلق عليهم اسم الحفاظ (الحال المروشية ص ١٢٥ ، ابن عذاري : البيان المغرب ص ١٨٥) .

(٣) انظر :

(Lévi Provençal : Trente Sept Lettres officielles Almohades P. 95-99, Rabat 1941).

(٤) راجع سيرة هذا الكاتب ابن عطية وأخبار نسبته وفاته في (السلاوي : الاستقصا ج ٢ ص ١١٩) .

كذلك توجد تفاصيل أخرى هامة حول هذا الموضوع في كتاب المن بالإمامية لابن صاحب الصلاة ، بالإضافة إلى القصائد الشعرية التي قيلت بمناسبة زيارة عبد المؤمن لهذه المدينة بعد انتهاء العمل فيها (١) . هذا ، وما زالت بعض حصون هذه المدينة المغربية باقية إلى اليوم بجبل طارق (٢) .

هـ) تحصين أشبيلية : *Sevilla*

اهتم الموحدون بتحصين أشبيلية باعتبارها حاضرتهم المفضلة في الأندلس ، فضلاً عن كونها في غرب الأندلس بالقرب من مملكة البرتغال الناشئة التي كثُر اعتمادها على هذه الأجزاء الغربية الأندلسية بقيادة ملكها ألفونسو إنريكيث Alfonso Enriquez الذي تسميه المصادر العربية ابن الرنّك أو ابن الريق ، وقائده الذهبي جراند جاليجو Giraldo el Gallego الذي اخترع آلات من السالم (٣) العالية ، التي يعلو طول عيادتها أسوار المدن الأندلسية ، فاستطاع بهذه الوسيلة أن يغير على العديد من مدن غرب الأندلس ليلاً وأن يقتل السُّمار أو الحراس الليليين ويستولى عليها وأخذ كل من فيها سبياً وفيها (٤) .

واضطر الموحدون بقيادة الخليفة يوسف بن عبد المؤمن إلى شن الحملات العسكرية على البرتغال حتى أذعن ملوكها للصلح سنة ٥٦٨/١١٧٣ م ، واستردوا منه مدنهم مثل بطليوس وغيرها التي ابتنوا فيها القصبات الشاهقة المانعة التي لا يرقى إليها جراند أو غيره بسلامته العالية . ثم لم يلبث جراند

(١) ابن صاحب الصلاة : المن بالإمامية من ١٣٧، ١٥٩، ١٦٤ ، وكذلك (ابن الخطيب : أعمال الأعلام من ٢٦٦ وما بعدها) .

(٢) الحميري : الروض المعطار ص ١٢١ والترجمة الفرنسية ص ١٤٨ حاشية ٢ ليثي بروفنسال ؛ وكذلك :

(Lévi Provençal : Documents inédits d'histoire Almohade P. 204 Note 1, Paris 1928) .

(٣) تكتب أحياناً الساليم أو الساليل .

(٤) ابن صاحب الصلاة : نفس المصدر ص ٣٧٣ - ٣٧٤ ؛ ابن عذاري : نفس المصدر ص ٧٨ - ١٠٣ .

نفسه أن قتله الموحدون في السنة التالية سنة ٥٦٩ هـ بعد أن ثبتت خيانته رغم تأمينه وقبوله للعمل معهم في دولتهم كما أشرنا إلى ذلك من قبل .

ولما كانت اشبيلية تحتل موقعاً خطيراً بالنسبة لهذه المنطقة الغربية ، فقد اهتم الموحدون بتحصينها وتأمين الطرق والجسور التي تربطها بمدن غرب الأندلس . فيروى المؤرخون أن الخليفة يوسف بن عبد المؤمن قام في هذا الصدد بالأعمال التالية :

١ - أقام عندها (٥٦٦هـ) جسراً ضخماً من السفن الكبيرة المشدود بعضها ببعض بواسطة سلاسل حديدة ضخمة على الوادي الكبير الذي تطل اشبيلية عليه ، ويمتد إلى قصر اطريانه Triana إحدى حواضرها المقابلة لها . وهذا الجسر العظيم ساعد على إجازة العساكر المتوجهة للغزو في غرب الأندلس ، فضلاً عن مرور الناس عليه لقضاء مصالحهم . وكان أول عبور على هذا الجسر الجديد تلك التجدة السريعة من الميرة والأقوات التي أرسلت على عجل إلى مدينة بطليوس على أربعة آلاف بغل في صحبة عسكر مبارك من الموحدين (١) .

٢ - ابتنى قصباتها الداخلية والبرانية (٢) خارج باب الكحل ، كما ابتنى الزلالق (جمع مزلاق أو مزلاج) لإغلاق أبواب اشبيلية من جهة الوادي احتياطياً من السيل .

(١) المن بالإماماة ص ٤٦٢، ٢٣٤ . كذلك ورد وصف جسر اشبيلية في :

(Mogrado : Historia de Sevilla P. 29 & Grónica General de Alfonso el Sabio P. 760-761 Editado por Menendez Pidal) .

(٢) الأبراج البرانية ابتكار موحدى قصد بها تدعيم السباررة أو السور الأصلي بهدف غلق الطريق الأمامي أمام الأعداء . وقد انتقل الاسم إلى الأسبانية في صيغة Albaranas .
راجع :

(Leopoldo Torres Balbas : Las Torres Albaranas , Al Andalus , Vol. II, 1942) &

السيد عبد العزيز سالم : العمارة الإسلامية في الأندلس وتطورها ، مجلة عالم الفكر ، المجلد الثامن العدد الأول سنة ١٩٧٧ .

- ٣- بني دار صنعة للقطائع ، أى الأسطول البحري ، تتصل من سور القصبة الذى على الوادى الكبير عند باب القطائع وتمتد إلى باب الكحل .
- ٤- أرسل منها البعث العسكرية براً وبحراً ضد مملكة البرتغال ، استرد بها المدن التى احتلتها ، وأجبر ملوكها على طلب الصلح سنة ٥٦٨ هـ / ١١٧٣ م.
- ٥- فدى من وجد من أهلها أسرى عند الروم وأنفذهم من رقة العبودية .
- ٦- ابتنى فيها الجامع الكبير لاتساع الناس فيه ، فساوى به جامع قرطبة فى الاتساع ، كما ابتنى الصومعة (المذنة) إلى نصفها .
- ٧- عمر الشغور القرفة التى حول اشبيلية بالسكان وابتلى جميع أسوارها وأعادها للإسلام بعد إقفارها (١) .

ويعود وفاة الخليفة يوسف بن عبد المؤمن شهيداً فى أرض البرتغال ، خلفه ولده يعقوب المنصور سنة ٥٨٠ هـ / ١١٨٤ م الذى سار على سياسة والده الجهادية فى الأندلس ، فقد الحملات العسكرية ضد البرتغال وقشتالة ، وأنزل بملك البرتغال ابن الرنك عقاباً رادعاً جعله يختفى وراء حصنونه ، ويتنازل عن العديد من مدنه . ثم توج المنصور جهاده بالنصر الكبير الذى أحرزه على ملك قشتالة الفونسو الثامن الملقب بالصغرى El Chico فى موقعة الأرك Alarcos سنة ٥٩١ هـ / ١١٩٥ م .

ولم ينس المنصور أثناء ذلك الاهتمام بعمارة اشبيلية ، فبنى فى خارجها حصناً ملبيعاً برسم نزول المجاهدين ، ورهبة فى نفوس الكافرين ، وحماية منطقة الشرف Aljarafe الغنية بأعصابها وزياتينها . وأطلق عليه اسم حصن الفرج Aznalfarache تيمناً بحصن قديم بهذا الاسم كان للمعتمد بن عباد هناك . وقد احتفل المنصور بإتمام بناء هذا الحصن فى سنة ٥٩١ هـ / ١١٩٥ م (٢) .

(١) حول أعمال الخليفة الموحدى يوسف بن عبد المؤمن فى اشبيلية راجع (المن بالإمامية من ٢٣٤، ٤٦٢، ٤٨١، ابن عذاري : البيان المغرب - القسم الثالث ص ١٣٨ - ١٣٩) .

(٢) ابن عذاري : نفس المصدر ص ١٨٩، ١٩٣ .

كذلك استكمل المنصور بناء صومعة المسجد الجامع الذي بناه والده في
أشبيلية والتي اشتهرت في إسبانيا حتى اليوم باسم الخيرالد La Jiralda (أي
الدوّارة) وهي تؤام لمنارة حسان بالرباط والكتيبة في مراكش (١).

وظل المنصور مهتماً بحماية الأندلس وتقويتها طوال حياته، ويؤثر عنه
أنه قال لمن حوله قبيل وفاته :

« أوصيكم بتقوى الله وبالبيتية والأيتام ... البيتية جزيرة الأندلس ،
والأيتام سكانها ، وإياكم والغفلة فيما يصلح بها من تشييد أسوارها ، وحماية
ثغورها ، وتربيبة أجيادها ، توفير رعيتها . ولتعلموا ، أعزكم الله ، أنه ليس في
نفوسنا أعظم من همها (٢) .

· أمثلة لبعض الحصون والأبراج والقصور الوحدية ·

١ - حصن شنفيه Sanfiro : كان هذا الحصن يقع بجوار مرسيية Murcia في شرق الأندلس وقد اشتهر بالارتفاع والمنعة . يرى أن قائد
جيوش المرحدين الشيخ أبي حفص عمر الهمتاني حينما طاف على حصون
الأندلس يتفقدوها ، نظر إلى هذا المعلم الشاهق المنبع وهو يبارز إلى السماء مع
وثاقة بنائه ، فأعجبه وقال : كيف أخذ الروم هذا الحصن من المسلمين ؟ فقيل
له : غدروا به في زمان الصلح ! فقال : أما في أجناد المسلمين من يجازيهم
بفعلهم ؟ فسمعه القائد الأندلسي محمد بن هود ، وكان في بداية أمره ، فتأثر
 بكلمته وأسرها في نفسه إلى أن تمت له الحيلة في ذلك ، إذ أتى بسلم من
الحبال وطلع عليه وذبح السامر - أي الحارس الليلي - وأخذ رجاله يطleurون
واحداً بعد الآخر ثم استولوا على الحصن واضطرب الأسبان إلى طلب الصلح ،
فقالوا له أخذناه في الصلح كما أخذتموه في الصلح ! وكان ذلك في سنة
٥٦١٤ / ١٢١٧ م ومنذ ذلك الوقت ذاعت شهرة ابن هود بين أهل شرق
الأندلس ، وصاروا يقولون هو الذي استرجع شنفيه ! (٣) .

(١) ابن صاحب الصلاة : نفس المصدر ص ١٣٨ - ١٤٠ .

(٢) ابن عذاري : نفس المصدر ص ٢٠٨ .

(٣) الحميري : الروض المعطار ص ١١٦ والترجمة الفرنسية ص ١٤٢ (نشر وترجمة -

٢- برج الذهب *Torre de Oro* : بني الموحدون العديد من الأبراج الحصينة للدفاع والمراقبة ، ونخص بالذكر منها البرج الضخم المعروف حتى اليوم ببرج الذهب المطل على الوادي الكبير في أشبيلية لتدعم سورها . أنشأه والي أشبيلية أبو العلاء ادريس بن أبي يوسف يعقوب المنصور وذلك سنة ٥٦١٧هـ / ١٢٢٠م^(١) . وذلك قبل أن يصبح خليفة باسم المؤمن .

٣- قصور السادة : وهي القصور الحصينة التي شيدتها السادة (الأمراء) الموحدون ولا سيما في الأندلس حيث اشتهرت باسم « قصر السيد » وقد أشار صاحب الحال الموشية إلى بعضها مثل :

أ- قصر السيد الذي بناه السيد ابراهيم اسحق بن أبي يعقوب يوسف ووالد الخليفة عمر المرتضى ، بناه سنة ٥٦١٨هـ / ١٢١٨م على نهر شنيل خارج غرناطة وكذلك الرابطة التي أمامه^(٢) .

ب- قصر السيد بعلاقة الذي بناه السيد أبو العلاء ادريس بن يعقوب المنصور حينما كان والياً على الأندلس ثم صار خليفة بعد ذلك باسم المؤمن وتوفي سنة ٥٦٢٩هـ / ١٢٣١م ويقال إن تخطيط بناء هذا القصر كان برأيه واختراعه^(٣) .

ج- قصر نجد ، والدار البيضاء الملائقة لها بحضرمة غرناطة وهما من بناء السيد أبي مالك عبد الواحد ابن يوسف بن عبد المؤمن المتوفى سنة ٥٦٢١هـ / ١٢٢٤م^(٤) .

- ليغى پروفسال) . ويرى المستشرق الأسباني أويني ميراندا أن شفيري *San Prdro del Pintar* تعريب للمكان الحالي . راجع :

(A. Huici Miranda ; Historia Musulmana de Valencia y su region Vo. III P. 239) .

(١) السيد عبد العزيز سالم : في تاريخ وحضارة الإسلام في الأندلس ص ١١٥ (الاسكندرية ١٩٨٥) .

(٢) الحال الموشية ص ١٤٠ - ١٤١ نشر علوش .

(٣) الحال الموشية ص ١٣٧ - ١٣٨ .

(٤) الحال الموشية ص ١٣٦ .

ونختم هذه الفترة بقصة تدل على تقدم الأندلسيين في فنون العمارة العسكرية على عهد الموحدين ، كما تدل أيضاً على وفائهم وأخلاصهم في حب وطنهم الأندلسي خلال عمليات الاسترداد Reconquista التي قادها الملك فرناندو الثالث الملقب بالقديس (San Fernando) في أواخر عصر الموحدين يروى صاحب الروض المعطار أنه في سنة ١٢٢٣/٥٦٢٠ م استعصى على الفنش أي ملك أسيانيا فرناندو الاستيلاء على الكرس Alcaraz قاعدة إقليم البسيط Albacete المتاخم لشرق الأندلس وكان ذلك بسبب شجاعة قائد هذا الحصن أبي جعفر بن فرج ، وحسن دفاعه وصبره . يقول وكان عند الفنش مهندس من المسلمين المعاهدين بطليطلة فصنع له برجاً عظيماً من خشب ارتفع به على سور الحصن . فلما أكمل المهندس عمله ، بعث إلى ابن فرج في الباطن : أني صنعت هذا البرج اضطراراً لحفظ دمي ، وصون من ورائي من الأهل ، فاحتل في إحراقه لئلا تكون ذنوب المسلمين في عنقي وعنفك إن تركته ، وأنت قادر عليه بأنواع الحيل ، وقد طلينه بدهان خفي يقبل النار بسرعة ، فأعرف كيف تكون في الكتم والإبقاء علىّ ! فاختار ابن فرج من انجاد الرجال جماعة ونهض بهم وبأيديهم القطران والكتان والثيران ، ودفع تحت الظلام بهم نحو البرج ، فأحرقه حتى صار رماداً ، ومات من كان فيه ومن حامي عده ، ورجع سالماً . فاغتم الفنش وقال : كان رجاؤنا في فتح الحصن وقد طالت عليه إقامتنا الخ وشغل الله الفنش مدة طويلة بهذا الحصن عن بلاد الإسلام ، وكان الناس يرون ذلك في صفيحة ابن فرج ،^(١) .

(١) العميري : الروض المعطار من ١٦٦ - ١٦٧ والتراجمة الفرنسية من ٢٠٠ (نشر وترجمة ليثي بروفسال) والمقصود بالصفحة هنا الوجه أي كل هذه المآثر في وجه ابن فرج قائد الحصن .

الفصل الرابع

**صور من حياة الحرب والجهاد بالأندلس
في عصر بنى نصر أو بنى الأحمر في غرناطة**

الفصل الرابع

صور من حياة الحرب والجهاد بالأندلس في مملكة بنى نصر أو بنى الأحمر في غرناطة (١٤٩٢ - ١٢٣٨ هـ / م ٦٣٥)

إذا ذكر اسم غرناطة يسرح الخيال في الحمراء La Alhambra بقصورها وأبهائها وجنائها مثل جنة العريف Generalife وغيرها ، وما روی عنها من قصص وحكايات تناقلتها الأجيال ، واحتللت فيها الواقع بالخيال ، واشتهر من وحي إلهامها شعراء وأدباء وفنانون في كل زمان ومكان . وحسبى أن أشير إلى كتابات الوزير الغرناطي لسان الدين بن الخطيب ، وإلى تلميذه وخليفة شاعر الحمراء عبد الله بن زمرك ، وإلى الأديب الأسباني بيرييث دي هيتا Perez de Hita (ق ١٦) في كتابه عن العرب الأهلية في غرناطة ، والأديب الفرنسي شاتوبريان Chateaubriand (ق ١٩) في قصته عن مغامرات آخر بدلي سراج ، والأديب الأمريكي واشنطن إيرفنج في قصصه عن الحمراء ، والموسيقار الأسباني Isaac Albéniz البشّي في مقطوعاته الرائعة عن غرناطة وهي البيازين Albaicin ، وكثيرين غيرهم . وما أظن أن هناك دولة تمنت مثل هذه الشهرة الكبيرة في الجهاد العربي والإبداع الفنى مثل هذه الدولة الإسلامية الصغيرة ، دولة بنى الأحمر أو بنى نصر في غرناطة في الركن الجنوبي الشرقي لشبه جزيرة إيبيريا .

ولذا طرحنا الخيال مؤقتاً وانتقلنا إلى الواقع التاريخي ، نجد أن مملكة غرناطة تمثل الفصل الخاتمي لتاريخ الأندلس ، أو تاريخ الحكم الإسلامي في إسبانيا الذي دام حوالي ثمانية قرون .

أولاً ، وصف مملكة غرناطة :

لقد جاءت نشأة هذه الدولة في ظروف صعبة بعد الكارثة التي حلّت بالأندلس على إثر هزيمة جيوش المسلمين بقيادة الخليفة أبي عبد الله محمد الناصر لدين الله أمام جيوش القوى الصليبية بقيادة ملك قشتالة الفونسو الثامن

في صفر سنة ٦٠٩ مـ يوليو سنة ١٢١٢ مـ في موقعة العقاب (بكسر العين جمع عقبة) Las Navas de Tolosa والتي تسمى أيضاً بمعركة المورادال Batalla del Moradal Sierra Morena . وهو اسم المعبر أو الممر الجبلي في جبال الشّارات الذي يؤدي إلى سهل الأندلس حيث العاصم قرطبة وأشبيلية وقادس وغيرها ولم تتحمل دولة الموحدين هذه الكارثة ، فانهارت وانهار معها خط الوادي الكبير وتساقطت مدنه تباعاً في يد الملك فرناندو الثالث ملك قشتالة وليون وحفيد الفونسو الثامن^(١) . فاستولى على قرطبة سنة ١٢٣٦ ، وجيان سنة ١٢٤٦ ، وقرمونة سنة ١٢٤٧ ، وأشبيلية سنة ١٢٤٨ مـ إلى جانب قادس وشريش Jerez وغيرها ، وقد أملته هذه الفتوحات الكبرى في أن يلقب فيما بعد بالقديس^(٢) San Fernando .

وتوفي هذا الملك فرناندو الثالث نتيجة اصابته في رباء الطاعون سنة ١٢٥٢ مـ خلفه ولده الفونسو العاشر الملقب بالعالم El Sabio .

وفي نفس هذا الوقت أغار ملك أراجون بجيشه وأساطيله على شرق الأندلس واستولى على أهم مدنه مثل بلنسية وجزر البليار .

ولقد شجعت هذه الحالة المؤلمة التي كانت عليها الأندلس بعد كارثة العقاب على قيام بعض الرؤساء والقادة المغامرين بمحاولة الاستقلال بحكم الأندلس بغية إنقاذهما من تلك النكسة التي حلّت بها ، ف تكونت بذلك فترة طائفية ثالثة أو رابعة نذكر من قادتها الرئيس محمد بن يوسف بن هود التاجر بمرسيّة والذي ذاعت شهرته وشجاعته في شرق الأندلس قبل ذلك الوقت بأكثر

(١) بعد وفاة ملك قشتالة الفونسو الثامن صاحب معركة العقاب سنة ١٢١٤ ، خلفه ابنه اريك الأول Enrique I الذي كان صبياً في الحادية عشرة من عمره ، فتولت الوصاية عليه أمّه ليونور Dona Leonor ثم أخّته برنجويلا Dona Brenguela ثم حدث أن مات هذا الملك الصبي سنة ١٢١٧ إثر سقوطه من مرتفع وهو يلعب مع أترابه ، فخلفه أخيه برنجويلا التي تنازلت عن العرش لولدها فرناندو بن الفونسو الحادى عشر ملك ليون . وصار يعرف باسم فرناندو الثالث . ثم لم يلبث بعد وفاة والده الفونسو الحادى عشر سنة ١٢٣٠ أن صار ملكاً على قشتالة وليون .

(٢) أسبغ عليه صفة القداسة البابا كليمونت العاشر Clement X سنة ١٦٧١ مـ .

من عشر سنوات عندما احتل حصن سنفiro المنبع Sanfiro بشرقي مرسية Murcia سنة ١٢١٧هـ / ٦١٤ م .

وقد انضم لابن هود قائد مغامر اشتهر بشجاعته وجرأته وهو المقدم الغشتي (Agostino) في الحوليات المسيحية (الذي بايع ابن هود في مكان يعرف بالصخور أو الصخيرات Penascales بالقرب من مرسية سنة ٦٢٥هـ / ١١٢٨ م وصار قائداً لأساطيله في أشبيلية وبنته (١) .

ومن القادة الرؤساء الذين اشتهروا بالشجاعة والاقدام في ذلك الوقت أيضاً الرئيس محمد بن يوسف بن نصر بن الأحمر حاكم بلدة أرجونة Arjona من أعمال جيان Jaen .

ولقد استطاع محمد بن يوسف بن هود في بادئ الأمر أن يجمع شمل معظم ما تبقى من بلاد الأندلس ، واعترف به خليفة بغداد المستنصر بالله العباسى ليكسب حكمه الشرعية الالزامية في الأندلس . غير أن جهود ابن هود لم تثبت أن اصطدمت بمطامع الأسبان من ناحية ، ومطامع الرؤساء الأندلسيين من ناحية أخرى ، وكانت النتيجة أن جرت عليه الهزائم وانتهى الأمر باغتياله على يد بعض أعونه سنة ١٢٣٥هـ / ٦٣٥ م وهو ابن الرميمي عامله على المرية .Undئذ تحول حكم الأندلس إلى القائد العربي الشيخ محمد بن يوسف بن نصر بن الأحمر الذي أسس في منطقة غرناطة الجبلية دولة بني نصر أو بني الأحمر لتكون آخر معلم للإسلام في جنوب شرق إسبانيا ، وقد امتد حكمها إلى ما يزيد على قرنين ونصف من الزمان (٦٣٥-٩٧٥هـ / ١٤٩٢-١٢٣٨ م) .

ولقد وهبت الطبيعة مملكة غرناطة جبالاً شامخة مثل جبال البشرات Alpujarras وجبال سبيرييرا نيفادا Sierra Nevada أي جبال الثلج وكان الأندلسيون يسمونها جبال شلير وهي تعريب للتسمية اللاتينية Mons Solorius أي جبل الشمس وذلك لشدة لمعان قممها المغطاة بالجليد تحت أشعة الشمس صيفاً وشتاء . ولا شك أن هذه الجبال قد جعلت من غرناطة قلعة حصينة يسهل الدفاع عنها .

كذلك وهبت الطبيعة مملكة غرناطة ساحلاً طويلاً على البحر المتوسط

يمتد من المرية شرقاً إلى جبل طارق والجزيرة الخضراء جنوباً ، وهذا جعلها دولة بحرية من دول البحر المتوسط ، كما عرفت هذه المنطقة الساحلية باسمها القديم وهو البلاد البحرية التي ظلت عامرة بالأساطيل ودور الصناعة والمحارس والرياطات التي ورثتها عن الأسلاف المجاهدين منذ أيام الأمويين . ومن أهم هذه الموانئ الحربية والتجارية ذكر :

المرية Almunecar ، وشلوبين Salobrena ، والمنكب Gibraltar ،
ومالقة Malaga - العاصمة الثانية بعد غرناطة ، ومريلة Marbella ثم جبل طارق Gibraltar والجزيرة الخضراء Algeciras مفتاح الأندلس من المغرب ، وهي تقابل على الساحل المغربي مدينة سبتة Ceuta مفتاح المغرب من الأندلس . وقد أعطانا المؤرخ المعاصر ابن فضل الله العمري (ت ٧٤٨ هـ) وصفاً قيماً لأسطول غرناطة ونشاطه وقواعد في هذه المنطقة بقوله : وبالبلاد البحرية حراري للغزو في البحر الشامي يركبها الانجاد من الرماة والمعاوريين والرؤساء والمهرة ، فيقاتلون العدو على ظهر البحر ، وهم الظافرون في الغالب ، ويغيرون على بلاد النصارى بالساحل أو بقرب الساحل ، فيستأصلون أهلها ذكورهم وإناثهم ، ويأتون بهم بلاد المسلمين ، فييرزون بهم ويحملونهم إلى السلطان ، فيأخذ منهم ما شاء ويهدى ويبيع ، (١) .

وكانت مملكة غرناطة تشمل على عدة كور أو ولايات وهي :

غرناطة ، ومالقة ، والمرية ، وأجزاء من جيان ورندة . وكانت العاصمة مدينة غرناطة وهي مدينة مستديرة مرتفعة على سفح جبل شلير ، يحدها من الشمال نهر شنيل Genil (١١ ك.م) المتفرع من الوادي الكبير ، ويشقها نهر حدرة Darro وهو نهر صغير يصب في نهر شنيل وتطل عليه هضبة الحمراء Generalife ، وجنة العريف La Alhambra .

وفي جنوب غرناطة تقع مروجها الخضراء الخصبة التي تسمى بالبقاع

(١) راجع (ابن فضل الله العمري : كتاب مسالك الأبصار في ممالك الأنصار ، الجزء الخاص بوصف إفريقية والأندلس ص ٤٢ - ٥٠ ، نشر حسن حسني عبد الرحاب بتونس) .

ومنها جاءت التسمية الأسبانية Vega بقعة ، Las Vegas البقاع التي انتقلت إلى أمريكا .

وكانت قلعة مدينة غرناطة هي مقر الحكم والسلطان وتقع على هضبة مرتفعة تعرف باسم الحمراء نسبة إلى لون تربتها وقد انتقل هذا الاسم بلغته الدارجة إلى الأسبانية على شكل La Alhambra . أما ملوك بني نصر أو بني الأحمر ملوك غرناطة فهم عرب من الأنصار ويرتفع نسبهم إلى سعد بن عباده سيد الخزرج الذي عاون الرسول ﷺ في دار الهجرة . أما تسميتهم ببني الأحمر فنسبة إلى جدهم عقبيل بن نصر الذي لقب بالأحمر لشقرة فيه . وقد استمر هذا اللون الأشقر الضارب إلى الحمرة ، يظهر في أمراء هذه الأسرة مثل ذلك السلطان محمد السادس الملقب بالبرميجو Bermejo ومعناه اللون البرتقالي الضارب إلى الحمرة ، لون شعره ولحيته .

ومن هذا نرى أنه ليس هناك علاقة بين اسم الحمراء واسم بني الأحمر ، فتشابه الأسمين محض مصادفة لأن اسم الحمراء يرجع إلى لون تربتها التي بنيت عليها القلعة ، بينما يرجع اسم بني الأحمر إلى شقرة فيهم . ومن الطريق أن ملوك بني الأحمر اتخذوا من هذا اللون الأحمر شعاراً لهم في لون أعلامهم وقصورهم وقبابهم بل وفي لون الورق الذي يكتبون عليه رسائلهم السلطانية وفي ذلك يقول شاعر الحمراء عبد الله ابن زمرك في مدح الملك محمد الخامس الغنى بالله (ق ٨ / ١٤ م) :

وترى القباب الحمر ترفع للدى وترى العمامات تحتها كالأنجم
وقوله أيضاً :

أعلامك الحمر فوق السفن خافقة وريح سعدك يجريها على قدر

وكان المؤسس الأول لهذه المملكة هو القائد العربي الغالب بالله الشيخ محمد بن يوسف بن نصر بن الأحمر الذي كان في الأصل حاكماً على بلدة أرجونة في إقليم جيان ثم استولى على بسطة Baza ووادي آش Guadix ومالقة وغرناطة التي اتخاذها مقرًا لحكمه سنة ١٢٣٥هـ / ١٢٣٨ م . وقد أشاد المؤرخون المعاصرون أمثال بن سعيد المغربي (ت ١٢٨٦هـ / ١٢٨٦ م)

بشجاعة هذا القائد وجهاده في معاورة العدو^(١) ، رقال إن هذه الصفات عند الأندلسيين كانت هي الأساس عند اختيار ملوكهم في هذه الفترة العصبية^(٢) . كذلك وصفه الوزير الغرناطي لسان الدين بن الخطيب وصفاً معبراً بقوله :

كان آية من آيات الله في السذاجة والسلام والجمهوريّة (أى حب جمهور الناس له) وكان ثغريّاً شهماً عظيم التجلد ، رافضاً للدعاة والراحة ، مؤثراً للتقصّف والإكتفاء باليسير ، متبلغاً بالقليل ، بعيداً عن التصنّع ، مباشرًا للحروب بنفسه ، يلبس الخشن ويؤثر البداءة ، تلقب بالغالب بالله وبالشيخ وأمير المسلمين^(٣) .

وبعد وفاة السلطان محمد الشيخ ، خلفه ولده محمد الثاني الملقب بالفقير (٦٧١ - ١٢٧٣ هـ / ١٢٠٢ م) لعلمه وفضله وإيثاره العلماء ، ولأنه كما يقول معاصره هو الذي مهد الدولة النصرية وأقام رسوم الملك فيها ووضع ألقاب خدمتها . وكان فارساً طويلاً القامة ، أيداً (أى قوياً صلباً) ، إذا ركب في موكيبه أطل على من يحف به من جميع جهاته فلا يخفى على البعد مكانه . وقد اعتنى بالجيش وخاصة الفرسان كما اهتم بتقوية روح الجنود المعنوية بمختلف الوسائل مثل تنظيم الأبيات المحركات للعزائم كقول كاتبه أبي القاسم بن العابد :

أنوماً وما جفنَ العدو بنائمٍ لقد آن إيقاظ الظبا والعزم^(٤)

كذلك يذكر ابن الخطيب أن ولده السلطان أبا سعيد بن محمد بن نصر حينما كان وليناً للعهد خرج للصيد يوماً فقابلته خنزير جبلي Jabali فطرح نفسه عليه فكباه فرسه واستقبله ذلك الخنزير الوحشى فاستل الأمير سيفه وعادجه بضرية

(١) المعاور أى المحارب الذى يغير على الحدود المجاورة وقد انتقلت إلى اللغة الأسبانية بلفظها معناها وصارت اسمًا لفرق المشاة الجبلية التى كانت تتبع مملكة أرچوان باسم Almogavares أى المعاورون .

(٢) المقرى : نفح الطيب ج ٦ ص ٢٠١ .

(٣) ابن الخطيب : اللحمة البدريّة في الدولة النصرية ص ٣٢ .

(٤) أبوالحسن التباهي : نزهة البصائر والأبصار ص ١١٨ نشر مولد فى :

تحت عينيه أبانت فكيه وأطارت أنفابه محل سلاحة . وتلتحق به فرسانه وقد ينسوا من خلاصه فرأوا ما بهتوا له وشرعوا بذلك والده السلطان محمد الفقيه فسرّ سروراً عظيماً (١) .

وظلت صفة الشجاعة من الصفات المتوارثة في أسرة بنى نصر إلى آخر عهدهم ، وحسبنا أن نشير إلى السلطان أبي الوليد اسماعيل (٧٢٥ - ٧١٣ هـ) الذي اشتهر بقوة بأسه وشدة على أهل البدع ، وقصر الخوض على ما تضطر إليه الملة في ظروف الحرب والجهاد .

يروى في هذا الصدد أن العلماء تذكروا يوماً بين يديه حول أصول الدين فقال : أصول الدين عندى ، قل هو الله أحد ، (السورة) ، وهذا ، وأشار إلى سيفه ! (٢)

كذلك نذكر ولده وخليفته من بعده أبو عبد الله محمد الرابع ابن اسماعيل (٧٢٥ - ٧٣٣ هـ) الذي كان معودداً في أبناء الملوك صرامة وشجاعة إلى درجة التهور أحياناً كما يقول ابن الخطيب ومن أمثلة ذلك أنه أقسم أن يغير على باب مدينة بيانة Baena في عدة يسيرة من الفرسان عينتها اليدين ، فوقع البهت ، وتوقفت الفاقرة (٣) لقرب الصريح ، ومنعة العوزة وكثرة الحامية ووفور الفرسان ... وهجم عليها وانتهى إلى بابها ، وحمل على أضعافه من الحامية وأجأهم إلى المدينة . ورمى يومذا أحد النصارى بمزراق محلّ السنان رفيع القيمة فأثبتته ، وتحامل الطعين يريد الباب ، فمنع من الإجهاز عليه وانتزاع الرمح الذي كان يجره خلفه وقال : اتركوه يعالج به جرحه إن أخطأته المدينة ، فكان كما قال الشاعر في مثاله ، أشدها أبو عبد الله بن الكاتب :

ومن جوده يرمي العداة بأسمهم من الذهب الابريز صيفت نصوصها

(١) راجع مقالنا (الأعياد في مملكة غرناطة ، مجلة العهد المصري بمدريid ، المجلد الخامس عشر سنة ١٩٧٠) .

(٢) ابن الخطيب : اللحمة البدوية ص ٨٤ ، النباهي : نزهة البصائر والأبصار ص ١٣١ .

(٣) الفاقرة : الداهليّة الشديدة وكأنها تكسر فقر الظهر ، والجمع فاقر .

يداوي بها المجروح منها جراحه ^(١) ويتحذ الأكفان منها قتيلها
واستمرت صفات الجرأة والإقدام والشجاعة يتصف بها ملوك غرناطة من
بني نصر إلى آخر عهدهم .

ويلاحظ أن الوضع الجغرافي لهذه المملكة الغرناطية الصغيرة بين دول
مسيحية وأسلامية كبيرة تفوقها عدداً وعددًا مثل قشتالة وأراجون في شمالها ،
والبرتغال في غربها ، ودولة بنى عبد الحق أو بنى مرين في جنوبها بالمغرب ،
قد جعلها في حالة توجس واستعداد وتأهب لأى خطر يتهددها من جيرانها
المحيطين بها .

وكتير ما لجأت غرناطة إلى المغرب الشقيق للجهاد معها ضد الأسبان ،
إلا أنها في نفس الوقت كانت تتوجس خيفة من أطماع ملوك بنى مرين في
بلادها ، وتخشى أن يفعلا معها مثلاً فعل المرابطون والموحدون من قبل ^(٢) .
يضاف إلى ذلك أن مملكة غرناطة كانت دولة أوروبية ولها مصالح مادية
مشتركة تربطها بجيروانها المسيحيين في قشتالة وأراجون . ولهذا نجد أن
غرناطة لم تلتزم في سياستها الخارجية جانبًا واحدًا من هذه القوى المحيطة
بها ، بل كانت سياستها تتبدل وتتغير في حرص وحذر حسب الظروف التي
تحيط بها . فتارة تقرب من المغرب ضد قشتالة وأراجون ، وتارة أخرى
تقرب من قشتالة ضد المغرب ، وتارة ثالثة تقرب من ملوك أراجون ضد
ملوك قشتالة أو العكس . هذه السياسة الماكيرة الماهرة التي سلكتها غرناطة مع
جيروانها ، قد مكنتها من الاحتفاظ باستقلالها مدة تزيد على القرنين ونصف
من الزمان ، لأنها عرفت كيف تستفيد من الحزازات القائمة بين هذه الدول
لصالحها . ولهذا أشاد المؤرخون الأوروبيون بالدبلوماسية الغرناطية ووصفوها
وصفاً يدل على المرونة والمهارة وهي « سياسة اللعب بالثلاث ورقات Juego de tres Barajas » . ^(٣)

(١) ابن الخطيب : اللهم البدري ص ٩٢ ، النباهي : نزهة البصائر ص ١٣٢ .

(٢) السلاوي الناصري : كتاب الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى ج ٢ ص ٢٤ - ٢٥ .

(٣) راجع كتابنا (دراسات في تاريخ المغرب والأندلس ص ٢٤٣ - ٢٤٤) .

ثانياً، عناصر الجيش الغرناطي:

لما كانت مملكة غرناطة هي خلاصة ما تبقى من الأندلس من حيث كونها دولة عربية إسلامية أسبانية أوروبية ، فإنها وبالتالي استمرت تؤدي دورها كهمزة وصل ، ومركز تأثير ، وتواصل ، وترتبط ، بين الشرق والغرب في المجالات المختلفة . ففي المجال الحربي كان الجيش الغرناطي يتكون من فرق مختلفة أهمها :

١- القوات الغرناطية من فرسان ومشاة بقيادة أمير من أمراء الدولة أو قائد من قوادها الأفذاذ .

٢- المماليك وهم جنود من أصل مسيحي ويسمى لهم ابن الخطيب ، مماليك ، بينما يسمى لهم ابن خلون ، معلوجين ، وكانوا يعملون كحرس خاص لملوك غرناطة .

٣- جنود الغزاة المغاربة ، وهم فرسان من قبائل زناتة وغيرها شاركوا في الدفاع عن غرناطة . وكان يرأسهم أمير من أسرة بنى مرین أو بنى عبد الحق ملوك المغرب .

وفي ذلك قالوا : ، وتلك الرياسة يجب أن تكون لأعياص^(١) الملك من بنى عبد الحق لأنهم يعسوب زناتة^(٢) . وكانت لهذه الفرق المغاربية قواعد عسكرية في العاصمة غرناطة وفي العاصمة الثانية مالقة ، وفي مناطق استراتيجية أخرى مثل وادي آش Guadix وذكوان Coin ، وفمارش Comarex وحصن قشالة Castril ورنده Ronda وغيرها .

ولقد استمرت مشيخة الغزاة ، أى قيادة هذه الفرق المغاربية ، في يد أمراء بنى مرین ، يتوارثونها في عائلات معينة منها عائلة بن أبي العلاء وعائلة بنى

(١) العيص : منبت خيار الشجر ، والأصل ، يقال هو من عيص كريم أى من أصل كريم ، والجمع أعياص وعيصان .

(٢) اليعسوب هو الرئيس الكبير يقال هو يعسوب قومه ، وتطلق أيضاً على ذكر اللحل وأميرها والجمع يعاسيب . راجع (المقرى : نفح الطيب ج ٧ ص ٢٨) .

يفلوسن وغيرهم إلى أن اشتد نفوذهم وخشي ملوك غرناطة على استقلال بلادهم من كثرة تدخلاتهم وخطورة اتصالاتهم بملوك أسبانيا . واضطر ملك غرناطة محمد الخامس الغنى بالله آخر الأمر إلى إلغاء منصب شيخ الغزاة من جيشه ، وأن يتولى هو نفسه القيادة العليا لجيوش الغزوة المغاربة في بلاده سنة ١٣٧٤ هـ / ١٢٧٣ م (١) .

٤- الأغزاز الأتراك : استمر ملوك غرناطة على عادة استخدام رماة الغز الأتراك في جيوشهم كما فعل الموحدون من قبل وفي ذلك يقول ابن الخطيب في مدحهم :

ودارت من الأغزاز تحت لوائها رماة على أوتارها للعدا وتر
إذا اضطربوا أقواسهم وتمطروا فتبصر جيش الترك جاشت به مصر (٢)
وإلى جانب هذه القوات المقاتلة للجيش الرئيسي ، كانت هناك عناصر أخرى مكملة ومساعدة له مثل :

(١) الشعراء والخطباء والفقهاء والوعاظ ، لإثارة حماس الجندي ورفع روحهم المعنوية بمواعظهم وقصائدهم . هذا إلى جانب المنشدين والمنشدات الذين كانوا يصحبون الجنود الزناتيين ويلشدون لهم أثناء القتال نوعاً من الأغاني الحماسية التي أطلقوا عليها اسم « تصوكيات » ، معناتها الفرح باللغة البربرية (٣) . وبيدو أن استخدام الآلات الموسيقية والغناء أثناء المعركة كان متبعاً أيضاً في الجيش الغرناطي بدليل الرسوم الجدارية التي في قصر الحمراء والتي تصور جنوداً يرتدون الخوذات وبأيديهم آلات موسيقية (٤) .

(١) ابن خلدون : العبر ج ٧ ص ٣٧٩ ، المقرى : نفح الطيب ج ٩ ص ٥٢-٤٩ ، وكذلك راجع كتابنا :

(El Reino de Granada en la época de Muhammad V P. 126).

(٢) أحمد محمد الطوخي : مظاهر الحضارة في الأندلس في عصر بنى الأحمر ص ٢٤١
واضطربوا أي احتضنوا .

(٣) ابن خلدون : المقدمة ص ٢٥٨ .

(٤) جمال محرز : الرسوم الجدارية الإسلامية في البرطل بالحمراء ص ٣١ (م دريد ١٩٥١) .

هذا ، في الوقت الذي كان فيه الجنود الأسبان يستخدمون أيضاً آلات موسيقية مثل الفيثارة Gitarra والغيطات Gaitas ويتزمنون بالأشيد الحربية خلال المعركة (١) .

ب) الجواسيس ، وكأنوا عادة من المسيحيين أو اليهود ، ويقومون بأعمال ومهن مشروعة يختفون وراءها مثل التجارة أو السياحة ولا يعرف أحدهم الآخر . وبهذه الطريقة كانت القيادة العليا تتلقى تقارير كل واحد منهم على حدة وتستخلص منها ما يهمها من معلومات . يروى ابن الخطيب أن الطبيب الغرناطي عبد الله بن الزبير لقى بفحص غرناطة سنة ٦٨٣ هـ / ١٢٨٥ م نصراًرياً يتजسس فأسره وحده ، وأدخله البلد ولم يلتفت إلى ثمنه استكماماً لتلك الفعلة (٢) .

ج) الأدلة Adalides ، وكأنوا مسلمين ومن أهل الثقة التامة عدد القادة ، وعلى درجة عالية من الخبرة والدرأية بالطرق والمسالك .

د) المطوعة ، وهم الذين كرسوا حياتهم طوعاً للجهاد والرباط في سبيل الله ، وانتشروا في الشغور الإسلامية بصفة دائمة . ولا شك أن احتكاكهم المستمر بالأسبان في مناطق الحدود المشتركة أيام الحرب والسلم قد جعل لهم تأثيراً في الشعر الأسباني المعروف بشعر الحدود Romances Fronterizos والذي نلمس فيه تأثيراً عربياً غرناطياً واضحاً (٣) .

و) وإلى جانب العناصر السابقة ، ينبغي لا ننسى أهمية وجود الأطباء والعرفاء (المهندسين) والبنائين والنجارين والحدادين وغيرهم من أهل الحرف والصناعات اللازم تواجدهم في الجيش .

ثالثاً : أسلحة الجيش الغرناطي : اهتمت مملكة غرناطة بتنوع

(١) ابن خلدون : المقدمة ص ٢٦٠ .

(٢) ابن الخطيب : الإحاطة في أخبار غرناطة لوحة ٢٨٦ (نسخة الأكورديال) .

(٣) انظر :

(Menéndez Pidal : Flor nueva de Romances Viejos P. 224) .

مصادر أسلحتها وتطوير أساليب قتالها ودفعها على أحدث الطرق المعروفة في ذلك العصر . فمن كلام المؤرخين المعاصرين أمثال ابن سعيد المغربي (ت ٦٨٥ هـ / ١٢٨٦ م) ، وابن الخطيب (ت ٧٧٦ هـ / ١٣٧٤ م) ، وأين خلدون (ت ٨٠٨ هـ / ١٤٠٦ م) وغيرهم نفهم أن الغزانطيين لم يتربدوا في استيراد الأسلحة الجيدة من أوروبا مثل سيف البردليات (نسبة إلى مدينة برديل أو بوردو بفرنسا) ، كما استوردوا الخيول والإبل المدرعة من المغرب ، إلى جانب ما تنتجه بلدتهم غرناطة من سلاح وعتاد . كذلك اتبعوا في أساليب قتالهم طريقة جيرانهم الأسبان والأوروبيين في استعمال الدروع الحديدية المسبلة A la Brida ، والخيول المدرعة بالتجافيف الحديدية . ثم اتبعوا بعد ذلك طريقة جيرانهم الزناتيين المغاربة في فنون الحرب الزناتي المعروف الذي يقوم على استخدام الدرفع والدراق الجلدية اللمعطية ، وركوب الخيول ذات الركاب المرتفع (مثل الجوكى) مما يعينهم على خفة الحركة وسرعة الكرو والفر معه وهو أسلوب حربي يختلف عن الأسلوب الأوروبي السالف الذكر . وقد مدحه ابن الخطيب في وصف أحد أمراء غرناطة بقوله : وكان زناتي الشكل والركض والآلية (١) . وقد اضطر الأسبان أيضاً إلى اقتباس هذا الفن الحربي الزناتي وتطبيقه على بعض فرقهم العسكرية باسم A la Jineta ، ويقوم على خفة الحركة وسرعة الكرو والفر Zenetes Fuya Tourna وأطلقوا عليهم اسم Jinete زناتيون ثم لم يلبث هذا اللفظ أن تطور بعد ذلك في اللغة الأسبانية إلى Jinete معنى فارس .

ولعل الرسوم الجدارية التي عثر عليها في البرطل (٢) بقصر الحمراء ، وتؤرخ في القرن الثامن الهجري (١٤ م) توضح لنا ما ورد في النصوص التاريخية من وصف للجنود وأسلحتهم وملابسهم ، إذ نجد فيها حملة قسي القدم (الأفرنجية) وحملة السيف والدراق الجلدية . وحملة الرماح

(١) ابن الخطيب : الإحاطة في أخبار غرناطة لوجهة ٣٦٥ (نسخة الاسكوريا) .

(٢) البرطل Portico أي البوابة أو المدخل ويقع شرقى بهو السابع .

والأمداس^(١) ، ويضعون على رؤوسهم العمام ذات الذِّبابات ، أو الخوذات ذات المغافر لوقاية الرقبة ، والزرد لحماية الجذع . كذلك كانوا يرتدون الجباب ذات الأكمام القصيرة ، ويتمنطقون عليها واصفين أطراف الجبة تحت المنطة من أمام وقد يرتدون قمصاناً ، ولهم سراويل طويلة تصل إلى الكاحل . ويضع بعضهم الحرامل على كتفه كما يلبس الجميع في أرجلهم الأحذية أو الخفاف . ويلاحظ أن الغرناطيين استخدمو السيف المستقيمة النصال ذات الحدين والتي امتازت واقياتها بتنيتها إلى الأسفل^(٢) . وكانت راية الدولة وأعلامها حمراء اللون متعددة الأشكال والزخارف ، ومنها المربع والمثلث المستطيل ، مرسوم عليها دوائر أو مسدسات متقطعة وتنتهي أطرافها بزوايد مستقيمة^(٣) .

والى جانب هذه الأسلحة التقليدية ، توصل الغرناطييون عن طريق أخوانهم المغاربة في أواخر القرن السابع الهجري (١٣٠) إلى اختراع نوع من الأسلحة النارية مثل المدافع تحدث دويًا وفرقة كالرعد وتدك الحصون وتهدمها كالصواعق السماوية ، فهو سلاح جديد يختلف عن سلاح النار الاغريقية المعروفة من قبل والذي اقتصر عمله على الحرق فقط بينما كان هذا السلاح مادة متفجرة عبارة عن خليط من النفط وملح البارود أو الشادر والكبريت وحصى الحديد في درجة حرارة عالية في شكل كرة محممة تلقى على الهدف فتدمره وتزيله من الوجود وسط هدير مروع . وفي هذا الصدد يروي ابن خلدون أن سلطان المغرب يعقوب المربي عندما هاجم مدينة سجلamasة (تايفلات الحالية في الجنوب) سنة ٦٧٢ هـ / ١٢٧٢ م نصب عليها هندام (آلة) النفط القاذف بحصى الحديد يتبعث من خزانة أمام النار الموقدة

(١) الأمداس عصى طولية مثلاً بعض صغار ذات عرى في أوساطتها تدفع بالأأنامل عند قذفها . راجع دوزي : تكلمة المعاجم العربية ج ١ ص ٤٤٠ .

(٢) اشتهرت غرناطة بصناعة الأسلحة وينسب إليها السيف المشهور باسم سيف أبو عبد الله آخر ملك غرناطة وقد وقع غليمة في معركة اللسانة Lucena سنة ١٤٨٣ Boabdil يوجد بمتحف الجيش الأسباني بمدريد .

(٣) جمال محرز : الرسوم الجدارية في البرطل من ١١-١٣ ، ٢٧ - ٣٦ ، عبد الرحمن زكي : السيف في العالم الإسلامي من ٨٣ شكل رقم ٧ (القاهرة ١٩٥٧) .

في البارود بطبيعة غريبة ترد الأفعال إلى قدرة بارئها ، (١) . كذلك استخدم سلطان غرناطة اسماعيل بن الأحمر هذا السلاح الجديد في حصار مدينة أشقر Huescar في جنوب الأندلس . وفي ذلك يقول الوزير الغرناطي ابن الخطيب (٢) : « وفي سنة ١٣٤٥هـ / ١٢٤٥ م نازل السلطان بلدة أشقر ونشر عليها الحرب ، ورمى بالآلة العظيم المتخذة بالنفط ، كرة محمولة طاقة البرج المنبع ، فعاثت عياث الصواعق السماوية ، ونزل أهلها قسراً على حكمه ، وفي ذلك يقول شيخنا ابن هذيل :

وظنوا بأن الرعد والصعق في السماء فحاق بهم من دونها (٣) الصعق والرعد
غرائب أشكال سما هرمس (٤) بها مهندمة (٥) تأتي الجبال فتنهد (٦)
إلا إنها الدنيا تريك عجائباً (٧) وما في القوى منها فلا بد أن يبدو (٨)

ومن الطريف أن المصادر الأسبانية المعاصرة في وصفها لأحداث هذه الحرب ، أشارت إلى هذا السلاح الجديد ، ففي حوليات ثوريتا Zurita الأسبانية نجد العبارة التي تقول ما معناه : « وانتشرت الإشاعات في مدينة لقنت

(١) ابن خلدون : العبر ج ٧ ص ١٨٨ .

(٢) ابن الخطيب : اللمحات البدريّة ص ٧٢ .

(٣) من دونها أي من تحتها ويقصد صوت الانفجار على الأرض إلى يشبه صوت الرعد والصواعق في السماء .

(٤) هرمس Hermes إله الفصاحة والتجارة والسرقة عند اليونان ويسميه الرومان الإله Mercurio أي الزئبق وهو معدن سائل لا يعرف كيف يمسك ويرى ابن خلدون (المقدمة ص ٤١٢) أن هرميس أول من ابتكر صناعة الحياكة أو الخياطة وإنه هو نفسه النبي ادريس أقدم الأنبياء . وسواء كان هرميس مثل الزئبق أو مثل الخياط الماهر فالتشبيه هنا يرمز لغراية الاختراع .

(٥) مهندمة أي متفتته .

(٦) إشارة إلى الهدم وليس الحرق كما هو الحال في النار الاغريقية .

(٧) يتفق ابن الخطيب هنا مع ابن خلدون في قوله : بطبيعة غريبة ، على أنه سلاح جديد .

(٨) القوى هنا بمعنى الطاقة .

Alicante أن ملك غرناطة يمتلك سلاحاً جديداً مبيداً^(١) . واضح من النصوص السابقة ومن تواريخ أحداثها ، أن مسلمي المغرب والأندلس توصلوا إلى استخدام الأسلحة النارية قبل ظهورها في أوروبا لأول مرة في موقعة كريسي Creasy سنة ١٣٤٢ م في حرب المائة عام بين إنجلترا وفرنسا والتي انتصرت فيها إنجلترا بسبب توصلها إلى هذا الاختراع ، بعد سبعين سنة من بدء ظهوره على أيدي المسلمين في حصار سجلماسة سنة ١٢٧٢ م .

وتجدر الملاحظة إلى أن المسلمين استعملوا كلمة «النفط» بمعنى النار الاغريقية الحارقة ، كما استعملوها أيضاً بمعنى المدفع المدمر الهادم الذي يحدث فرقعة مثل الصواعق السماوية ولايزال يوجد في المغرب وفي مدينة العرائش ، مدفع أثري يرجع تاريخها إلى بداية العصر الحديث في عهد السعديين (القرن العاشر الهجري ، ١٦١ م) قد نقش عليها ما يفيد ذلك ، وأمر بصنع هذا النفط السعيد السلطان كذا ...^(٢) .

رابعاً : فنون الحرب والقتال في مملكة غرناطة :

كان من الطبيعي لهذه الدولة العربية الإسلامية الأوروبية الصغيرة ، المحاطة بالأعداء من كل جانب ، أن تقوم حياتها الاجتماعية أساساً على حياة الحرب والجهاد . وها هي ذى كتابات مؤرخيها المعاصرین تشهد على ذلك ، وتعكس لنا هذا الشعور الصادق والإحساس العميق بالغرابة والانقطاع بين الأمم الطافرة والبحور الراخمة والمram البعيدة ، على حد قول وزيرها ابن الخطيب^(٣) .

(١) انظر :

(G. Zurita : Anales de la Corona de Aragon, II P. 31 Nota I Y P. 99) .

(٢) راجع عرضنا لكتاب David Ayalon : Gun Powder and Fire Arms أى البارود والأسلحة الداربة في الدولة المملوكية لدافيد إيالون في مجلة Hésperis 1959, fasc. 3, 4 Trimestres P. 244) .

(٣) المقرى : نفع الطيب ج ١٠ وكتابنا عن مملكة غرناطة في عهد محمد الخامس (بالأسبانية) ص ٤ وما بعدها .

لهذا ، فرض علينا هذا الوضع أن تجند أبناءها منذ الصغر ليكونوا على أهمية الاستعداد في كل لحظة . وفي ذلك يقول ابن الخطيب : « وكانت الصبيان تدرب على العمل بالسلاح وتعلم المثافة كما يعلم القرآن في الألواح »^(١) . وفي نفس هذا المعنى أشاد المؤرخون الأسبان بمهارة الأندلسين في استعمال القوس وتربيش السهام وركوب الخيل والطعن والضرب وغير ذلك من فنون القتال التي تعلموها منذ صغرهم . وقد بلغ من اهتمامهم بأمور الحرب أن كانوا يقدمون من قدمته شجاعته وعظمت في الحرب نكائنه ، فشجع الجبان وأقدم الهبيان .

ولعل الاحتفالات الشعبية التي تقام في إسبانيا حتى اليوم ، ويمثل فيها القتال بين المسلمين والمسيحيين أو ما يعرف باسم Moros y Cristianos تعطينا فكرة عن هذه الحياة العربية التي سادت غرناطة بل إسبانيا في العصر الوسيط^(٢).

ولقد اتبع الغرناطيون مختلف الوسائل القتالية في الدفاع عن وطنهم أو الهجوم على أعدائهم في الجبال والسهول والبحار ومثال ذلك ما حدث في عام ١٣٠٩ م / ٧٠٩ هـ عندما حاصر ملك أراغون خالقى الثاني بجيشه وأساطيله ثغر المريدة Almeria برأ وبحراً ، وأقبلوا جميعاً على القتال وقد أعدوا من الأبراج والسلاليم ما يضيق عن نطاق الاحتياط كما تنكر بعضهم في زى جيوش المسلمين فوضعوا عليها البرانس ، ولكن أهل المريدة تنبهوا لهذه الخدعة وطرحوا عليهم الزفت والقطدان ورموا بالنيران ، غير أن هجوم العدو ظل مستمراً على الأسوار حتى صاق الحال بال المسلمين وانسداط باب الحيل ، فصرخ بهم صارخ أن بادرتهم بطرح العذرة (أى الغائط والبراز والبول) فهو أعظم نكبة لديهم . فبادر الناس في حين لتناول ذلك وحمله فوضعوا الشيء في

(١) راجع كتابنا في تاريخ المغرب والأندلس من ٢٠ وكذلك : (Gaspar Remiro : Correspondencia P. 265) .

(٢) نفس المرجع والصفحة ، وكذلك (أحمد الطوخى : المرجع السابق ص ٢١٥) وكذلك : (Pulgar : Reyes Católicos P. 250) .

محله ، وقارنوا الشكل بشكله ، ولا يتحقق المكر السيء إلا بأهله ، فكان الفارس منهم في أجمل حال في زيه ، وإذا هو مكسو ثوب العذر فليس بمسخرة بينهم ، وكان ذلك أدهى عليهم من القتال وفوج الله من شدة الحال إلى أن ارتحلوا^(١).

، ومن الوسائل القتالية التي اتبعها الغزانتيون في حروفهم ضد قشتالة ، تلك الخطة الحربية العجيبة الماكرة التي أورد وصفها المؤرخ الإسكندراني في الأندلس المالقي الأصل^(٢) محمد بن قاسم التويري (ت سنة ٩٧٧٥ هـ / ١٣٧٢ م) في كتابه ، الإمام بالأعلام فيما جرت به الأحكام المقتصنة في وقعة الإسكندرية^(٣) (الجزء الخامس ص ٦٢-٦٣) حيث يقول :

، فأتت جواسيس الملك العابد صاحب غرناطة وأخبرته بأن الفتن صاحب مدينة أشبيلية ، وصل بجيشه إلى مكان كذا على أميال بسيرة ، وذلك بعد أن جهز الملك العابد جيوشه لمقابلته . فما كان أول الليل قال لقائد جيشه :

(١) وصف هذه المعركة بالتفصيل ابن القاضي المكتنasi في كتابه درة الرجال في غرة أسماء الرجال (ج ١ ص ٧١ وما بعدها نشر علوش الرياط ١٩٣٤) ولأهمية هذا النص ترجمة علوش Allouche إلى الفرنسي في مجلة هسبيريس العدد ١٦ سنة ١٩٣٩ كما ترجمه إلى الأسبانية سانشيز البرنث في كتابه I.P. 380 La Espana Musulmana . وقد رأينا من المفيد إيراد هذا النص كضمية في آخر كتابنا دراسات في تاريخ المغرب والأندلس ص ٤٩٠ وما بعدها .

ومن المصادر والمراجع الأوروبية التي تحدثت عن هذه المعركة نذكر منها :

(Geronimo Zurita : Los Anales de la Corona de Aragon I. P. 435 &

Gimenez Soler : El Sitio de Almeria (1309) P. 386 - 392) .

(٢) يلاحظ أن هذا الأصل الأندلسي للدويري قد ورد ذكره في كتاب الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة لابن حجر العسقلاني ج ٤ ص ١٤٢ .

(٣) يقع كتاب الإمام للدويري في سبعة أجزاء تحقيق عزيز سوريا عطية وإثنين كومب ، المطبعة العثمانية بحيدر آباد ، الدكن بالهند ١٩٦٨ - ١٩٧٦ . وتتجدر الإشارة إلى أن هذا المؤرخ محمد الدويري هو غير شهاب الدين أحمد التويري (ت سنة ٩٧٣٢ هـ / ١٣٣٢ م) صاحب كتاب نهاية الأرب في فنون الأدب ، ١٨ جزء (القاهرة ١٩٢٣ - ١٩٣١) .

، تأمر كل من في العسكر أن يحملوا كل ما معهم من إيل حطباً . فنودى في العسكر بذلك ، فلم يبق جمل إلا وحمل حطباً ، فكانت ألوف جمال موسوقة به ، ثم أمر بالرحيل ، فرحل العسكر تقدمه تلك الجمال . فلما صار بين عسكر المسلمين وبين العدو نحو ميل ، مثل أمر السلطان بأن تطلق في الأحطاب التي على الجمال النيران ، فقدح بالزند الشرار ، وأطلق في الحطب ، ونفرت الجمال بأسنة الرماح ، فسارت كالسيل المنحدر من الجبال ، فلم تسر نحو ساعة وهى تتقد إلا وخيل النصارى النازلين بمعذكرهم قطعت مقاودها ، وهجت فى أصحابها النصارى تركلهم بأرجلها وتقدمهم بأسنانها طالبة نجاة أنفسها ، فما هجت خيلهم إلا وجمال النار داستهم دوساً تعثر فيهم ، فوقع الجمال وسط عس克راهم بأحوالها عليهم من شدة النار التي أكلت ظهورهم ، فأكلت تلك النار الجمال والكافر مع ما أكلت من أثاثهم وخياتهم ، واحترق سرادق الفنش بكل ما فيه ، وطلب كل من لم تصلبه النار الفرار إلى القفار ، فمن قدر منهم على فرس غائر ركبه ونجا بنفسه ، ومن أدركه المسلمون قتلوه ، فعند ذلك جمع المسلمون الخيول الفائرة ، والخيول الدافرة ، وصار حريق النصارى مكتوباً في السير السائرة ، (١) .

خامساً : التحصينات الدفاعية :

من أهم الإنجازات العسكرية التي شغلت بال الغرناطيين ملكاً وحكومة

(١) البويري : كتاب الإمام بالأعلام فيما جرت به الأحكام المقصنية في وقعة الاسكندرية ج ٥ ص ٦٢ - ٦٣ ، وكذلك (أحمد الطوخي : نفس المرجع من ٢٤٢) .

هذا ويفهم من كلام البويري أن ملك المغرب أبي يعقوب يوسف المريني قد سبق أن اتبع هذه الطريقة أيضاً من قبل بدليل قوله ص ٦٢ : إن يفعل ملك غزانتة بعده ك فعل الملك العابد أبي يوسف المريني بعده . هذا ، وتذكروا هذه الطريقة القتالية بما فعله السلطان الظاهر بيبرس في محاربة التتار في المشرق وذلك بحرق الدبابات والشاش في الأرضي التي يسلكونها لأنها تصلح علقة لخيولهم بدون تكلفة ، فإذا راحوها ثم نعمهم من سلوكها . وقد اتبع في تحقيق ذلك طريقة تعلق النار موثقة في أذناب الثعالب الوحشية ثم تطلق الكلاب في إثراها وقد جرعت لتجد الثعالب في العدو والكلاب في الطلب فتحرق ما مرت به من الزرع والنبات ، وتعلق الريح النار منه فيما جاوره .
راجع (القلقشندى : صبح الأعشى ج ١٤ ص ٤٠١) وكذلك كتابنا (في التاريخ الأيوبي والمملوكي ص ١٩٤ - ١٩٥) .

وشعباً، وجعلتهم لا يدخلون جهداً أو مالاً في سبيل تحقيقها، هي مسألة تحصين المملكة وتقوية وسائلها الدفاعية البرية والبحرية. ولقد أشاد المؤرخون المعاصرون وعلى رأسهم الوزير الغرناطي لسان الدين الخطيب بالجهود والأموال التي بذلت في سبيل تجديد القصبات أو القلاع مثل قصبة الحمراء، وقصبة أرجونة وقصبة وادي آش Guadix ، وقصبة المرية ، وقصبة لوشه Loja (محل ميلاد ابن الخطيب) وغيرها^(١). هذا إلى جانب تقوية الأسوار وإقامة الأبراج ولا سيما أبراج المراقبة أو الطلائع Torres Atalayas حول المدن الهامة مثل العاصمة غرناطة أو العاصمة الثانية مالقة Malaga التي شبهت أبراجها ببروج السماء في كثرتها وضيائها^(٢)، ومثل جيان Jaen التي عن طريقها كانت تكثر غارات القشتاليين على أراضي غرناطة . وحتى جبل طارق الذي رغم كونه في بعض الأوقات تابعاً لدولة بنى مرين في المغرب، إلا أن الغرناطيين لم يتربدوا لحظة في تحصينه وإمداده بالذخائر والأموال والمشاركة في الدفاع عنه^(٣).

وهذا ينبغي أن نشير إلى حقيقة هامة سادت ذلك العصر وهي مسألة المشاركة والتعاون بين الأمة والدولة أو بين الرعية والحكومة ، في إقامة التحصينات الدفاعية في الأماكن الهامة وقد أفتى فقهاء الدولة مثل أبي اسحاق الشاطبى (توفي بغرناطة سنة ٧٩٠هـ / ١٣٨٨م) بضرورة تحمل الأهالى نفقات هذه الأعمال الدفاعية لأن المصلحة تقضى بذلك ، ومثال ذلك قولهم:

وكان خراج السور في بعض مواضع الأندلس في ذلك الوقت موظفاً على أهل الموضع ، وقد أجاز ذلك الفقيه أبو اسحاق الشاطبى معتمداً على قيام

(١) ابن الخطيب : الإحاطة ج ٢ ص ٣٠ .

(٢) المقري : نفح الطيب ج ٤ ص ٢٠٥ ، أحمد الطرخي : نفس المرجع ص ٢١٨ .

(٣) ابن الخطيب : الإحاطة ج ٢ ص ٣٠ وكذلك كتابنا عن مملكة غرناطة في عهد محمد الخامس الغنى بالله ص ١٣٢ (بالأسبانية) .

المصلحة التي إن لم يقم بها الناس فيعطون صناعت عليهم ، (١) .

ولقد حفظت لنا المصادر المعاصرة رسائل عديدة في هذا الصدد موجهة من ملوك غرناطة إلى رعاياهم على اختلاف طبقاتهم يشرحون لهم فيها كيف أن أموال الدولة تنفق على الجنود والأسلحة والمطوعة المجاهدين ، ويطلبون منهم المساعدة في بناء الأسوار والمحصون والأبراج لحماية المواطنين والمسافرين ... إلخ (٢) .

ولقد استجاب الغرناطيون لرغبة ملوكهم وفهائهم ، وشاركوا في تشييد الاستحكامات الدفاعية في بلادهم . ويضرب ابن الخطيب مثلاً لهذه الاستجابة والمشاركة بأن عدد الأبراج في مملكة غرناطة بلغ أربعة عشر ألفاً (٣) . كذلك يروي العالم الشاعر أبو البركات بن الحاج البنيفيقي أن جده أبي اسحاق بنى سور مدینته بافق Belfiq من ماله الخاص (٤) .

هذا ، وتجدر الإشارة هنا أيضاً إلى أن الرياطات والمحصون الساحلية القديمة التي تحدثنا عن نشاطها من قبل في هذه المناطق الجنوبية الشرقية للأندلس ، ظلت تؤدي دورها في الدفاع عنها . ومثال ذلك سلسلة الرياطات التي كانت تحيط بمدينة المرية قاعدة الأسطول الغرناطي مثلاً بجنة Pechina (٥) ورابطة القبطة Cabo d Gata ورياط عمروس ورياط الخشنى

(١) ابن القاضي : درة الرجال في غرة أسماء الرجال ج ١ ص ٩٧ رقم ٢٣٦ ، لأحمد بابا التمبكتي : نيل الابتهاج - بطريرك الدبياج ص ٤٩ - ٥٠ (كتب على هامش كتاب الدبياج المذهب لابن فرحون . وكذلك :

(Lopez Ortiz : Fatwas granandinas de los siglos XIV, XV, Al Andalus Vol. VI fasc. I, 1941) .

(٢) المقري : نفح الطيب ج ٩ ص ١٠٩ - ١١٠ ، ج ١٠ ص ٢٣٩ - ٢٤٩ .

(٣) ابن الخطيب : الإحاطة ج ١ ص ٣٠ .

(٤) المقري : نفح الطيب ج ٧ ص ٣٩٨ .

(٥) بلدة رومانية قديمة ثم صارت نواة لميناء المرية أو مرية بجنة أى ميناء بجنة . ولا شك أن أهل الأندلس كانوا ينطقونها بجيئنه بالإمالة التي كانت لهجة الأندلسيين .

ويرجع اليحانس Ohanes^(١). وما يقال عن المرية يقال عن مالقة التي كان يشرف على مرساها جبل فاره - بتشديد الراء وضمها) Gibralfaro . وقد اهتم المسلمون بهذا الموقع الهام وبنوا عليه حصنًا حتى آخر عهدهم بالأندلس .

وهذاك بعض الظهاير (القرارات) الرسمية التي كان يصدرها سلطان غرناطة محمد الخامس الغنـى بالله إلى رعيته في أواخر القرن الثامن الهجري (١٤٠) يحضـهم فيها على بنـاء الحصن بـجبل فـاره إـعـانـة لـالـمسـافـرـين وـانـجـادـاً لـجـاهـدـ الـكافـرـين (٢) . ولا يزال يـعـرـفـ هـذـاـ المـكـانـ إـلـىـ الـيـوـمـ باـسـمـ جـبـلـ فـارـوـ Gibralfaro . كذلك يـحدـثـنـاـ الرـحـالـةـ الطـنـجـيـ الـمـعـاصـرـ اـبـنـ بـطـوـطـةـ عنـ الـحـصـونـ وـالـأـبـرـاجـ وـالـرـوـابـطـ الـتـيـ شـاهـدـهـاـ أـنـتـاءـ رـحـلـتـهـ فـيـ مـكـلـةـ غـرـنـاطـةـ سـنـةـ ١٣٥٠ـ /ـ ٥٧٥١ـ مـ فـوـصـفـ خـطـ سـيـرـهـ مـنـ جـبـلـ طـارـقـ إـلـىـ مـدـيـنـةـ رـنـدـهـ Rondaـ إـلـىـ بـلـدـةـ مـرـيلـهـ Marbellaـ ثـمـ إـلـىـ بـلـدـةـ سـهـيلـ Fuengirolaـ حـيـثـ وـقـعـ غـارـةـ بـحـرـيـةـ مـعـادـيـةـ كـادـ أـنـ يـقـتـلـ فـيـهاـ لـوـلـ أـنـ لـجـأـ إـلـىـ بـرـجـ الـمـدـيـنـةـ ثـمـ وـاـصـلـ سـيـرـهـ إـلـىـ مـالـقـةـ ثـمـ إـلـىـ الـعـاصـمـةـ غـرـنـاطـةـ الـتـيـ وـصـفـهـاـ وـوـصـفـ الـرـوـابـطـ وـالـزـوـيـاـ الـتـيـ كـانـتـ مـلـتـشـرـةـ فـيـ الـجـبـالـ الـمـحـيـطـ بـهـاـ مـثـلـ رـابـطـ الـعـقـابـ ،ـ وـزاـيـةـ بـنـيـ الـمـحـرـوقـ .ـ وـقـدـ لـاحـظـ وـجـودـ جـالـيـةـ إـيـرـانـيـةـ كـبـيرـةـ (ـ مـنـ الـعـجـمـ)ـ فـيـ غـرـنـاطـةـ وـهـىـ ظـاهـرـةـ اـجـتـمـاعـيـةـ مـهـمـةـ (٣)ـ .ـ

(١) أشار الإدريسي (نزهة المشتاق ص ١٩٨) إلى برج اليحانسى بولاية المرية وقال إنه كان يستخدم لإيقاد النار عند ظهور العدو في البحر ويقع حالياً في Punta Elena ولم يُعط اليحانس الحالية Ohanes التي ينسب إليها الشيخ أبو مروان عبد الملك اليحانسى صاحب الكرامات المشهورة التي وردت في كتاب تحفة المغترب ببلاد المغرب في كرامات اليحانسى (توفي سنة ١٢٦٩ / ٥٦٦٧ م) نشره المستشرق الأسباني فرناندو دى لاجرانخا في منشورات المعهد المصرى بمدريد للدراسات الإسلامية سنة ١٩٧٤ .

(٢) المقرى : نفح الطيب ج ٩ من ١١٠ - ١٠٩ ، ابن الخطيب : الإحاطة لوحـة ٢٥ (الاسكوربـالـ) وكـذـلـكـ :

(Jaime Olivier Asin : Origen Arabe de Rebato P. 27) .

(٣) راجع ابن بطوطـةـ (ـ أـبـوـ عـبـدـ اللـهـ مـحـمـدـ الـطـنـجـيـ الـلـوـاتـيـ)ـ تحـفـةـ النـظـارـ فـيـ غـرـائـبـ الـأـمـصـارـ ،ـ الرـحـلـةـ الثـانـيـةـ إـلـىـ الـأـنـدـلـسـ ،ـ وـكـذـلـكـ :ـ

يقول الشاعر الصوفي الزاهد الغرناطى أبو عبد الله محمد بن أبي زميين (ت ٣٩٨هـ) ، ورأيت أهل العلم يستحبون التكبير في العساكر والثغور والمرابطات ، دبر صلاة العشاء وصلاة الصبح تكبيراً عالياً ثلث تكبيرات ، ولم يزل ذلك من شأن الناس قديماً ، (١) .

ما تقدم نرى أن مملكة غرناطة ، رغم صغر حجمها ، استطاعت بفضل تعاون شعبها ، أن تبدو قلعة حصينة مبنية في وجوه أعدائها المحبيتين بها ويؤيد ذلك المدونات الأسبانية التي وصفت غرناطة عقب سقوطها في يد الملكين الكاثوليكين Los Reyes Catolicos فرناندو وإيزابيل سنة ١٤٩٢/٥٨٩٧م وأشارت إلى وجود عدد كبير من الحصون والروابط والقصور الساحلية والداخلية والتي يرجع معظمها إلى العصر الإسلامي (٢) .

والجدير بالذكر أن كلمة Granada معناها بالأسبانية الرمانة . ومن الطريف في هذا الصدد أنه ينسب إلى فرناندو ملك أراغون حينما هاجم غرناطة مع زوجته إيزابيل ملكة قشتالة صاح قائلأ ، غرناطة ! غرناطة ! سوف أنتزع حباتك واحدة واحدة ! وهو يعني سوف أنتزع حصونك واحداً بعد الآخر :

“Granada! Granada , le arrancaré los granos uno a uno !!”

ولا شك أن هذه الصيحة تعبر عن كثرة القلاع والحصون التي امتلأت بها مملكة غرناطة (٣) ، ولا سيما الأسوار الأمامية للمدن التي تعرف

= (Lévi Provnçal : Le voyage d'Ibn Battuta dans le Royaume de Granada (1350) , Melange offert à William Marçais (Pais 1950) .

(١) ابن أبي زميين : كتاب قدرة الغازى ورقه ٢٩ (مخطوط رقم ٥٧٥ بالمكتبة الوطنية بمدريد) .

Alonso Gamir Sandoval : Organizacion de la defensa de la costa del reino (٢) de Granada desde Su reconquista hasta finales del siglo XV IP. 265-275) .

Miguel Lafuente Alcantara : Historia de Granada III P. 357 (Granada (٣) 1845).

بالبريخانة Barbacana وهي كلمة فارسية تعنى السور الأمامي الذى يسبق الستارة الأساسية أو السور الأساسي للمدينة الذى تقام عليه الأبراج المستديرة أو المربعة لتعزيز الاستحكامات الدفاعية عنها (١).

سادساً : عرض الجيش وتدريبه :

حرصت مملكة غرناطة على تدريب جنودها وتمصير خيولها وعرض أسلحتها كوسيلة من وسائل التعبئة والاستعداد في كل لحظة . ويؤثر عن الرحالة والمؤرخ المصري شهاب الدين ابن فضل الله العمرى الذى زار غرناطة فى أواسط القرن الثامن الهجرى (١٤ م) أنه لاحظ أن حى البيازين وحده كان يضم خمسة عشر ألف مقاتل على أهبة الاستعداد للجهاد فى أي لحظة (٢) .

وقد جرت العادة أن تقام التدريبات والعروض العسكرية وألعاب الفروسية ، فى ساحات أو حلبات متعددة فى مدينة غرناطة مثل ساحة باب الرملة ، وساحة باب الطوابين ومكانه اليوم طريق العذراء Carretera de la Virgen ، وكذلك فى قلعة الحمراء نفسها أمام برج الغدر Algodor (جمع غدير) ويسمى اليوم Torre de los siete Suelos ، أى البرج ذو الطباق السبعة (٣) . يروى ابن الخطيب أنه كانت تقام فى هذه الساحات دائرة خشبية فى الهواء تسمى الطلبة وتقوم الفرسان بقذفها برمادهم أثناء ركضهم . كذلك كانت تقام مباريات فردية وجماعية تمثل معركة حقيقية قد يصاب فيها البعض بجرحات (٤) .

(١) أنظر : (L. T. Balbás : Barbacanas , Al Andalus , Vol. XXI, 1951) ; السيد عبد العزيز سالم : المساجد والتصور ص ١٤٢ .

(٢) ابن فضل الله العمرى : مسالك الأنصار فى ممالك الأنصار ، الجزء الخاص بوصف افريقية والأندلس ، نشر حسن حسنى عبد الوهاب (مجلة البدر بتونس) ص ٤١ .

(٣) راجع :

(F. Somonet : Descripcion del Reino de Granada P. 188 & Seco de Lucena : La Alhambra P. 34) .

(٤) ابن الخطيب : الإحاطة فى أخبار غرناطة لوحة ٤٤١ (نسخة الاسكوريا) .

هذا إلى جانب الاحتفال بعرض قوات الجيش الذي يحضره السلطان وعدد من كبار الضيوف الأجانب من البلاد المجاورة الإسلامية وال المسيحية . وكان يوجد بجوار قصر الحمراء قصر خاص لإقامة هؤلاء الضيوف يعرف بدار الضيافة (١) .

ويحدثنا ابن الخطيب عن مدى الدقة والصرامة التي كانت تتخذ في تطبيق هذه العروض والتدريبات إلى درجة إيقاع المثلة (٢) أو العقوبة بقص شعر اللحية لمن يخل بها من الجنود ، مثال ذلك القائد الغرناطي أبو نعيم غالب بن أبي بكر الحضرمي المعروف بابن الأشقر (ت ١٣٢٧هـ / ١٢٢٧م) الذي كان مشهور الفروسية ، صليب العود ، مرهوب السطوة ، تولى قيادة العسكر زماناً طويلاً ، فوقع عليه الإجماع على أهليته في تفقد المسالح ، واختبار المراصد ، واختيار الحرس ، وتنظيم المصالف ... لقى الجندي منه ضغطاً لاضطلاعه باستخدامهم ، وجعل العقاب من وراء تقصيرهم ، فقد كان بعض نقبائه يحمل مقصاً لإيقاع المثلة بذوق مصيري المسلح أو متهدبي الملحة ، (٣) .

ويضيف ابن الخطيب ظاهرة أخرى تدل على الولاء الذي كان يربط الجنود بقادتهم وذلك عند حديثه عن وفاة أحد قواد الدولة النصرية ، فحمل سريره جملة من فرسانه (٤) .

كذلك أشاد المؤرخ الأسپاني المعاصر لويث دي أيالا بالموقف الإنساني النبيل لملك غرناطة أبي الحجاج يوسف الأول عندما مات ملك قشتالة الفرنسو الحادي عشر بوباء الطاعون وهو يحاصر جبل طارق بجيشه

(١) نبذة العصر في أخبار ملوك بنى نصر ، لم مؤلف مجھول من ٣ نشر الفريد بستانى . وكذلك راجع مقالنا (الأعياد في مملكة غرناطة ، صحيفة المعهد المصرى للدراسات الإسلامية بمدريـد ، المجلد الحادى عشر سنة ١٩٧٠) .

(٢) المثلة بفتح الميم وضم الشاء ، العقوبة والتنكيل وتطلق أيضاً على ما أصاب القرنين الماضية من العذاب على سبيل العبر ، والجمع مثلات .

(٣) ابن الخطيب : الإحاطة لوحـة ٣٥٣ (نسخة الاسكربيـال) .

(٤) ابن الخطيب : الإحاطة ورقة ٢٠٢ (نسخة الاسكربيـال) .

وأساطيله سنة ١٣٥٠ هـ / ١٢٥١ م . فحينما علم ملك غرناطة بذلك أمر جنوده بعدم التعرض للجيوش القشتالية العائدة بجثمان مليكها إلى أشبيلية . وقدر ملك قشتالة الجديد بدره الأول (الملقب بالقاسي El Cruel) لسلطان غرناطة وجيشه هذا الصنيع فعقد معه معاهدة ودّ وصداقة^(١) .

وكما أن ملوك غرناطة اتخذوا حرساً خاصاً من المعاليك أو المعلوجين ذري الأصل المسيحي ، كما سبق أن ذكرنا ، فإن ملوك أسبانيا اتخذوا أيضاً جنوداً من فرسان غرناطة المسلمين . مثال ذلك الفارس عتيق بن زكرياء بن مول التجيبي الذي لحق بملك قشتالة الفونسو العاشر الملقب بالعالى وركب في جملته . ويضيف ابن الخطيب أن هذا الفارس الغرناطى علقت به أميرة من بنات زعماء الروم لفضل جماله وفروسيته ، ففرت تحت حماية سيفه ولحق ببلاد المسلمين ، وكانت من أهل الأصالة والجمال ، واتصل بمحلة أمير المسلمين أبي يوسف يعقوب بن عبد الحق المريني ، وقد جاز إلى الأندلس غازياً ، فاستخلصت منه لمذية الحسن واستقرت بقصر السلطان حظيته لطيفة المحل ، وانتفع هو وبنته بعائد جاهها .

وقد هلك السلطان وقامت لمن خلفه مقام الأئمة فنالوا بها دنيا عريضة وتوفى هذا الفارس عتيق التجيبي بمدينة فاس سنة ١٣٣٠ هـ / ١٢٣٠ م^(٢) .

وجملة القول ، لقد تميز عصر مملكة غرناطة ، مثل العصور السابقة له ، بطابع الجهاد والكافح ضد القوى المعادية . ومن ثم كان من الطبيعي أن تتعكس تلك الصورة في نفوس سكانها ولا سيما العلماء والشعراء والكتاب الذين انطلقت أسلوباتهم وأقلامهم تحض على الجهاد ، وتشيد بالانتصارات وتحمد الأبطال المدافعين عن حوزتها ، وتعبر عن أمازيتها وأماليها بمستقبل أفضل ، نجد

(١) انظر :

Lopez de Ayala : Crónica de los Reyes de Castilla Vol. I.P. 12 & Argote de Molina : Nobleza de Andalucía, fol. 228)

(٢) ابن الخطيب : الإحاطة (نسخة الأسكنريان) لوحة ٢٩٢-٢٩٣ .

ذلك واضحًا في نصائح وتوجيهات ملوك غرناطة إلى رعاياهم^(١)، وفي رسائل وأشعار ورائهم أمثال ابن الخطيب وابن زمرك^(٢) . وكذلك في كتابات علمائهم ومورخיהם أمثال ابن سعيد المغربي أو الغرناطي (ت ٦٨٥ هـ / ١٢٨٦ م) في كتابه رأيات المبرزين وغایات الممیزین^(٣) ، ومثل على بن عبد الرحمن بن هذيل في كتابية : حلية الفرسان وشعار الشجعان^(٤) ، وتحفة الأنفس وشعار سكان الأندلس^(٥) . ومثل أبي القاسم محمد بن سماك العاملى المالقى الغرناطى الذى ينسب إليه تأليف كتاب الحل الموسى في ذكر الأخبار المراكشية (٧٨٣ هـ / ١٣٨٢ م) ويتحدث فيه عن مفاخر سلطانه ملك غرناطة محمد الخامس الغنى بالله وعن أمجاد وانتصارات أسلافه والخطط العسكرية التي اتباعها محرضًا مواطنيه الغرناطيين على الجهاد^(٦) .

كذلك كان الغرناطيون من أوائل الذين اهتموا بالكتابة عن الأسلحة النارية كسلاح جديد ، فكتبوا عن المدفع كتابات فنية مفصلة ومزودة بالرسومات والصور لجميع أجزائه ، وبكفى أن نشير في هذا الصدد إلى كتاب العز والرفعة والمدافع للمجاهدين في سبيل الله بالآلات والمدافع ، . ألمه باللغة الأسبانية في القرن الخامس عشر الميلادي قائد غرناطى اسمه الرئيس ابراهيم بن أحمد بن غانم بن زكريا الأندلسي ، وترجمه إلى اللغة العربية ترجمان سلاطين المغرب أحمد بن قاسم بن الشيخ الحجرى الأندلسي^(٧) .

(١) المقرى : نفح الطيب ج ١٠ ص ٢٣٦ - ٢٣٩ ; ص ٢٤٦ - ٢٤٧ ; وكذلك :

Gaspar Remiro ; Correspondencia diplomática entre Granada 1 Fez P. 378).

(٢) المقرى : أزهار الرياض ج ٢ ص ٨٨ ، ١٤٧ ، ١٥٧ .

(٣) نشر وترجمه للأسبانية جاريتا جوميث بعنوان :

(El libro de las Banderas de los Campeones , Madrid 1942) .

(٤) حلية الفرسان وشعار الشجعان نشره محمد عبد الغنى حسن (القاهرة ١٩٥١) .

(٥) تحفة الأنفس نشره وترجمه إلى الفرنسية في جزأين لويس مرسيه .

(٦) راجع مقالنا (دراسة حول كتاب الحل الموسى في ذكر الأخبار المراكشية ، مجلة نطاون العدد الخامسة سنة ١٩٦٠) .

(٧) هذا الكتاب (أى الترجمة العربية) مخطوط بخزانة جامعة الرياط رقم ٨٧ .

سابعاً : كلمة ختامية :

هكذا كانت حياة البذل والفداء في مملكة غرناطة هي الفصل الخاتمي للأندلس الذي شبهه أستاذنا جاريتا جوميث بالشمال أو القطرة الأخيرة لليمونة ، فهي حلوة ومرة في آن واحد !

واليوم ، وقد مر أكثر من خمسة قرون على سقوط مملكة غرناطة (١٤٩٢ هـ / ١٤٩٢ م) ، فإنه لا يفوتنا إلا أن نشيد بالجهود المثمرة والتعاون البناء بين المؤسسات والجامعات الأسبانية والغربية في سبيل إحياء هذا التراث الأسباني الأندلسي المشترك في جميع نواحيه وجوانبه العلمية والأدبية والفنية والحضارية بوجه عام ، مما أسفر عنه تلك النهضة الحديثة في هذا المجال .

فإذا قالوا قديماً : إن الأندلس هي الفردوس المفقود! (El paraiso perdido) فلحنن نقول حديثاً بناء على الواقع الملموس الذي نراه : إن الأندلس هي الفردوس الموعود (El prometido) إن شاء الله ..

بعض الأسماء الأسبانية التي لها أصول عربية ولها صلة بهذا الموضوع

. Alá : الله .

. Alcoran : القرآن الكريم .

Alcaide : من العربية القائد في الجيوش العربية . وقد أطلق فى إسبانيا أول الأمر على قواد الحاميات المرابطة فى القلاع الملكية ويقرار تعين من الملك نفسه . ثم أطلقت حديثاً على القائد العسكري المشرف على السجون .

Alcalde : القاضى وخصوصاً من له اختصاص فى الجنایات . كذلك أطلقت على العمدة وشيخ البلد .

. Almirante : أمير البحر وقائد الأساطيل البحرية .

Alférez : من الكلمة الفارسية كانت تطلق على أي فارس في الجيش الإسلامي بصفة عامة . أما في المعنى الإسباني فإنها كانت تعنى واحداً من أبرز الشخصيات العسكرية في الجيش وهو المكلف بحمل الراية الملكية .

. Almocadém : مقدم على المشاة .

. Alamin : أمين السوق وممثل الطوائف العمالية .

Almotacen : المحاسب ، المشرف على الموازن والمقاييس والمكاييل .
Alcazaba : القصبة أو القلعة .

. Alcalá : القلعة .

. Alcazar : القصر أو الحصن .

. Alarde : عرض عسكري ، قائمة أسماء الجنود .

. Aljibe : الجب ، الصهريج .

. Aljaba : الجuba (جuba النشاب والنbial) .
Aljuba : الجبة .

- Alforja : الخُرُج أو الحقيبة الخاصة بزاد المسافر .
- Albarada : البردعة ، السرج .
- Albornóz : البرنس .
- Alfaqueque : فكاك الأساري .
- Albanil : البناء .
- Albeitar : طبيب بيطرى .
- Alhaquin : الحكيم ، الطبيب .
- Alarife : العريف ، المهندس المعماري .
- Algara : الغارة .
- Atalayas : الطلائع والمراقب والفعل منها Atalayar وتعنى التجسس أيضاً .
- Zaga : الساقفة أو مؤخرة الجيش .
- Adalid : الدليل أو المرشد وتنطبق لفظاً ومعنى على الدليل فى الجيش الاسلامي .
- Almogávares : من الكلمة العربية المغاربة أي المجاهدون . وكانت تطلق على وحدات خفيفة من المشاة تشن الغارة على العدو . وقد انتقل نظام المغاورة بلفظه ومعناه إلى طائفة من الجيوش القطلانية والأragonية فى شمال شرق إسبانيا اشتهرت بالشجاعة ثم شاع وانتشر فى فرنسا ونال شهرة شعبية واسعة فى أوروبا نافس بها نظام الفرسان والفروسية الاقطاعية التى كانت عمامد الجيوش فى ذلك الوقت (١) .
- Albogue : البوق .
- Anafil : النفير .
- Tambor : الطبول .

(١) انظر :

(A. Gonzalez Palencia : Hist. de la Espana Musulmana , P. 200, 1945) .

- . الدف : Adufe
- . صيحات المسلمين في القتال ، ضجيج ، ضرر ضاء . Algazara
- . رباط : Rebato
- . يرابط ويقاتل . Arrebatar
- . الإنذار بغارة معادية . Tocar el Rebato
- . ناقوس الخطر . Compana del Rebato
- . البركة . صهريج . Alberca
- . البحيرة . Albufera
- . المخزن ، المتجر . Almacen
- . بقعة ويقاع . Vega , Vegas
- . العرادة ، المجنح . Algarrada
- . المعدن ، المنجم . Almaden
- . ضيعة أو قرية . Aldea
- . الفحص ، الحوز ، الصناحبة . Alfoz
- . مقبرة المسلمين . Almacaba
- . الحمراء . Alhambra
- . الخندق . Alhondiga
- . الخندق . Alfondiga

ثبت بأسماء المصادر والمراجع

أولاً - المصادر العربية القديمة

- أحمد بابا : أبو العباس أحمد بابا التمكى (ت ١٠٣٦ هـ / ١٦٢٧ م)
 - نيل الابتهاج بتطريز الديباج
- كتب على هامش كتاب الديباج المذهب لابن فردون (القاهرة ١٣٢٩ هـ) .
- ابن الأبار : أبو عبد الله محمد بن عبد الله (ت ٥٦٠ هـ / ١٢٦٠ م) .
- التكميلة لكتاب الصلة ، جزءان ، نشر كوديرا (مدريد ١٨٨٧) .
- الحلة السيراء ، جزءان ، نشر حسين مؤنس (القاهرة ١٩٦٣) .
- ابن الأثير : أبو الحسن على بن محمد الجزري (ت ٥٦٣٠ هـ / ١٢٣٣ م)
 - الكامل في التاريخ ، ١٣ جزء (دار صادر بيروت ١٩٦٧) .
- الإدريسي: الشريف أبو عبد الله محمد ابن إدريس الحموي الحسني السبتي (ت حوالي سنة ٥٥٤٨ هـ / ١١٥٤ م)
 - نزهة المشتاق في اختراق الآفاق .
 - (نايولي - روما في سبعة أجزاء) (١٩٧٠ - ١٩٨٤) .
 - المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس ، عن نزهة المشتاق ، نشره وترجمه إلى الفرنسية دوزى ، دى خوبه (ليدن ١٨٦٦) .
 - وصف إفريقيا الشمالية والصحراوية (عن نزهة المشتاق)
 - نشر هنرى بيريس (الجزائر ١٩٥٧) .

- وصف الأندلس (عن نزهة المشتاق) نشره وترجمه إلى الأسبانية كوندى Conde (مدريد ١٧٧٩) .
- ابن الأحمر : أبو الوليد اسماعيل ابن الأحمر (ت ١٤٠٢ / هـ ٨١٠ م) .
 - مستودع العلامة ومستبدع العلامة .
- تحقيق محمد التركى ومحمد بن تاویت (طوان ١٩٦٤) .
 - روضة النسرين فى دولة بنى مرين
 - طبعة القصر الملكي ، الرياط سنة ١٩٦٢ () .
- ابن بسام : أبو الحسن على الشنترى (ت ١١٤٧ / هـ ٥٤٣ م) .
 - الذخيرة فى محسن أهل الجزيرة .
- القسم الأول فى جزأين ، والقسم الرابع الجزء الأول (القاهرة ١٩٤٥ / ١٩٣٩) القسم الثالث مخطوط بالأكاديمية التاريخية بمدريد رقم ١٢ .
- ابن شکوال : أبو القاسم خلف بن عبد الملك (ت ١١٨٣ / هـ ٥٧٨ م) .
 - كتاب الصلة فى أئمة الأندلس .
 - نشره كوديرا فى جزأين (مدريد ١٨٨٣) .
- ابن بطوطة : محمد بن عبد الله اللواتى الطنجي (ت ١٣٧٧ / هـ ٧٧٩ م) .
 - تحفة الناظار فى غرائب الأمصار وعجائب الأسفار .
 - نشره وترجمه إلى الفرنسية فى خمسة أجزاء دفريمرى وسانجونتى .
- . Defremery et Sanguinett (Paris 1922)
 - كذلك ظهرت لهذه الرحلة طبعة حديثة مستوفاة من أكاديمية المملكة المغربية بالرباط تحقيق عبد الهادى التازى فى خمسة مجلدات سنة ١٤١٧ / هـ ١٩٧١ م .
- البغدادى : صفى الدين (ت ١٣٣٨ / هـ ٧٣٩ م) .
 - مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاء
 - فى ثلاثة أجزاء (القاهرة ١٩٥٤) .

- **البکری** : أبو عبید الله بن عبد العزیز (ت ١٠٩٤ھ/١٤٨٧م)
- المغرب فی ذکر بلاد افريقية والمغرب
نشر دی سلان (الجزائر ١٩١١) .
- **البلاذری** : أبو الحسن أحمد بن يحيى بن جابر البغدادي (ت ٩٨٢ھ/١٤٧٩م)
 - فتوح البلدان تحقيق صلاح المنجد فی ثلاثة أجزاء .
(القاهرة ١٩٥٦)
- أبو بکر الصنهاجی المکنی بالبیذق : (ق ١٢ھ/١٢م)
 - أخبار المهدی ابن تومرت وابتداء دولة الموحدین
نشر لیثی پروفنسال (باریس ١٩٢٨) .
- **التجانی** : أبو محمد عبد الله بن محمد (ت حوالي ١٣١٧ھ/١٩١٧م)
 - رحلة التجانی ، نشر حسن حسنى عبد الوهاب (تونس ١٩٥٨) .
- ابن تومرت : المهدی أبو عبد الله محمد (ت ١١٢٨ھ/١٤٢٢م)
 - موطن المهدی
نشر فی مطبعة فونتانا بالجزائر سنة ١٩٠٧ ، وتوجد نسختان خطیتان من هذا الكتاب فی الخزانة العامة بالرباط تحت رقمی ٤٤٨٠ ج ١٢٢٢ ، ١٢٢٢ ج .
- كتاب أعز ما يطلب ، نشره المستشرق المجرى جولدزیهر (الجزائر ١٩٠٣) .
- **الشعالبی**: أبو منصور عبد الملك (ت ١٠٤٧ھ/١٤٢٩م)
 - بیتیمة الدهر ٤ أجزاء (القاهرة ١٩٣٧) .
- **ابن جبیر** : محمد بن أحمد (ت ١٢١٧ھ/١٤١٤م)
 - رحلة ابن جبیر ، وعنوانها ، تذكرة بالأخبار عن اتفاقات الأسفار ، (دار صادر ، بيروت ١٩٥٩) .

- **الجزنائى** : أبوالحسن على
- كتاب زهرة الآس فى بناء مدينة فاس نشره وترجمه إلى الفرنسية الفرد بل Bel (الجزائر ١٩٢٣) .
- **الجواليقى**: أبو منصور موهوب بن أحمد (ت ٥٤٠ هـ) المعرف من الكلام الأعجمى على حروف المعجم تحقيق أحمد شاكر (القاهرة ١٩٦٩) .
- **ابن جر العسقلانى** : شهاب الدين أحمد بن على (ت ١٤٤٩/٥٨٥٢ م) الدرر الكامنة فى أعيان المائة الثامنة ، ٤ أجزاء (حيدر أباد الدكن ١٣٥٠ هـ) رفع الإصر عن قضاة مصر (فى آخر كتاب الكندى ، الولاة والقضاة) .
- **ابن حزم** : أبو محمد على بن أحمد الأندلسى (ت ١٠٦٤/٤٥٦ م) الفصل فى الملل والأهواء والنحل فى خمسة أجزاء (القاهرة سنة ١٣١٧ هـ)
- نقط العروس ، نشر شوقى ضيف (مجلة كلية آداب القاهرة سنة ١٩٥١ ، المجلد ١٣) .
- طوق العمامة فى الألفة والآلاف . نشره وترجمه إلى الفرنسية برشيه Bercher كما نقله إلى الإنجليزية نيكل الأمريكية وإلى الروسية يتروف وإلى الأسبانية جاريثا جومث .
- كتاب جمهرة أنساب العرب . نشره ليڤى بروفيسال فى مجموعة ذخائر العرب سنة ١٩٤٨ .
- **الحميرى** : أبو عبد الله محمد بن عبد المنعم السبتي (توفى فى أواخر القرن التاسع الهجرى)

- صفة جزيرة الأندلس منتخبة من الروض المعطار في خبر الأقطار

نشره وترجمه إلى الفرنسية وعلق عليه المستشرق الفرنسي
ليثي بروفنسال (القاهرة ١٩٣٧) .

- الحميدي : أبو عبد الله محمد بن أبي نصر الأزدي (ت ١٠٩٥ / ٥٤٨٨ م)

- جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس (القاهرة ١٩٦٦) .

- ابن حوقل : أبو القاسم محمد بن على البغدادي اليحصبي (ت ٩٩٠ / ٥٣٨٠ م)

- صورة الأرض ، جزءان (طبعة بيروت) .

- ابن حيان : أبو مروان بن خلف بن حيان القرطبي (ت ١٠٧٦ / ٥٤٦٩ م)

- المقتبس في أخبار بلد الأندلس . وصل إلينا منه أربع قطع
منفصلة وهي :

القطعة الأولى : وتناول عصر الحكم الريضي والجزء الأعظم
من عصر ولده عبد الرحمن الأوسط وقد نشره حديثاً
المستشرق الأسباني خواكين بالبيه في الأكاديمية الملكية
التاريخية سنة ١٩٩٩ .

القطعة الثانية : تشمل على الجزء الأخير من عبد الرحمن
ال الأوسط والشطر الأكبر من عصر ولده محمد . نشره محمود
مكي مع مقدمة دراسية هامة عن ابن حيان (بيروت سنة
١٩٧٣) .

القطعة الثالثة : وتناول معظم عهد الخليفة عبد الرحمن
الناصر . وقد نشرها الأسبانيان شالميتا وكوريتطى ومحمود
صبح (مدريد سنة ١٩٧٩) أطلقوا عليه الجزء الخامس .

القطعة الرابعة : وتناول عصر الخليفة الأموي الحكم

- المستنصر ونشرها عبد الرحمن حجى (بيروت ١٩٦٥) .
- أبو حيان الفرناطى : محمد بن يوسف بن على (ت ١٣٤٥ / هـ ٥٧٤٥)
- البحر المحيط (القاهرة سنة ١٣٢٨ هـ) .
- ابن حيون : أبو حنيفة النعمان بن محمد التميمي المغربي (ت ٩٧٣ / هـ ٥٣٦٣)
- كتاب المجالس والمسايرات
تحقيق ابراهيم شيوخ ، الحبيب الفقى ، محمد البعلوى
(تونس ١٩٧٨) .
- ابن خاقان : أبو نصر الفتح بن محمد القيسى الاشبيلي (ت ١١٣٤ / هـ ٥٥٣٥)
- قلائد العقیان فی محسن الأعیان (القاهرة ١٣٢٠ هـ) .
- ابن خردانبه : أبو القاسم عبید الله (ت ٩١٣ / هـ ٥٣٠)
- المسالك والممالك ، نشر دی خویه
(لیدن سلة ١٨٨٩) .
- ابن الخطیب : لسان الدین بن الخطیب محمد بن عبد الله (ت ١٣٧٤ / هـ ٧٧٦)
- أعمال الأعلام فيمن بُويع قبل الاحتلال من ملوك
الإسلام .
- أ- الجزء الخاص بتاريخ أسبانيا نشره ليثي بروفنسال (بيروت
١٩٥٦) .
- ب- الجزء الخاص بتاريخ المغرب وصقلية نشره أحمد مختار
العيادى وابراهيم الكتانى (الدار البيضاء ١٩٦٤) نقله إلى
الأسبانية Rafael Castrillo Historia medieval بعنوان
(Madrid islamica del Norte de Africa y Sicilia
المعهد الأسباني 1983) .

- نفاضة الجراب في علاة الاغتراب . تحقيق أحمد مختار العبادى (القاهرة ١٩٦٧) .
- الإحاطة في أخبار غرناطة .
أ- نسخة الاسكوريوال رقم ١٦٧٣ .
- ب- طبعة القاهرة في جزأين (القاهرة ١٣١٩ هـ) .
- ج طبعة عبد الله عنان في عدة أجزاء (دار المعارف بالقاهرة ١٩٥٥ - ١٩٧٧) .
- اللمحه البدريه في الدولة النصرية . نشر محب الدين الخطيب (القاهرة ١٣٤٧ هـ) .
- ريحانة الكتاب ونجمة المتناب (مخطوط بالاسكوريوال رقم ١٨٢٥) نشر منه جاسبار راميرو المراسلات المتبادلة بين ملوك المغرب وملوك غرناطة في القرن الثامن الهجري (١٤ م) (غرناطة سنة ١٩١٦) .
- رقم الحل في نظم الدول (تونس ١٣١٧ هـ) .
- كنasaة الدكان بعد انتقال السكان
نشر محمد كمال شبانة (القاهرة ١٩٦٦) .
- الكتبة الكامنة فيمن لقيناه بالأندلس من شعراء المائة
الثانية
نشره احسان عباس (بيروت ١٩٦٣) .
- جيش التوشیح حققه هلال ناجي (تونس ١٩٦٧) .
- روضة التعريف بالحب الشريف
تحقيق عبد القادر أحمد عطا (القاهرة ١٩٦٨) .
- مشاهدات لسان الدين بن الخطيب في بلاد المغرب
والأندلس (مجموعة من وسائله)
تحقيق أحمد مختار العبادى (الاسكندرية ١٩٥٨) .

- **الخشنى** : أبو عبد الله محمد بن حارث (ت ٩٧١ هـ / م ٣٦١)
- كتاب القضاة بقرطبة . نشره وترجمه إلى الأسبانية خوليان ريبيرا Ribera وأعاد نشره عزت العطار الحسيني (القاهرة ١٩٥٤) .
- **ابن خالكان** : شمس الدين أبو العباس أحمد بن محمد (ت ١٢٨٢ هـ / م ٦٨١)
- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان . نشر محيي الدين عبد الحميد في ٦ أجزاء (القاهرة ١٩٥٠) .
- **ابن خلدون** : أبو زيد عبد الرحمن بن محمد (ت ١٤٠٥ هـ / م ٨٠٨)
- كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر ٧ أجزاء (بولاق ١٢٨٤ هـ) .
- المقدمة (الجزء الأول من الكتاب) طبعة مصطفى محمد ، المكتبة التجارية بالقاهرة . و هناك طبعة عبد الواحد وافي في أربعة أجزاء (بيروت ١٩٥٠) .
- التعريف بابن خلدون ورحلته شرقاً وغرباً . نشر محمد بن تاويت الطنجي (القاهرة ١٩٥١) .
- **ابن خلدون** : أبو زكريا يحيى (ت ١٣٧٨ هـ / م ٧٨٠)
- بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد . نشره وترجمه إلى الفرنسية الفرد بل Bel (الجزائر ١٩٠٣) .
- **ابن الزبيير** : أبو جعفر أحمد
- صلة الصلة . تحقيق ليفي بروفيسال (الرباط ١٩٣٨) .
- **ابن دراج القسطلاني** : أبو عمر أحمد بن محمد بن دراج الأندلسى القسطلاني (ت ٧٧٦ هـ / م ١٣٧٤) كاتب الملصوص بن أبي عامر وشاعره .

- ديوان ابن دراج القسطلاني، نشر محمود مكي
(دمشق ١٩٦١) .

- ابن أبي دينار : محمد بن أبي القاسم الرعيلى القيروانى
- المؤنس فى أخبار افريقيا وتونس (١٢٨٦ھ) .

- ابن أبي زرع : أبو الحسن على بن عبد الله (كان حياً عام ٥٧٢٦) .
- الأنبياء المطرب يروض القرطاس فى أخبار ملوك المغرب
وتاريخ مدينة فاس طبع على الحجر مراراً بناس أولها سنة
١٨٨٥ ثم طبعة الهاشمى الفلاوى طبعة غير كاملة (الرباط
١٩٣٦) ثم نشره تورنبرج مع ترجمة لاتينية (أبسالا
١٨٤٢) وترجمه إلى الألمانية دومباي سنة ١٧٩٤ ، وإلى
البرتغالية مورا سنة ١٨٢٧ ، وإلى الفرنسية Beaumier سنة
١٩٦٠ . وأخيراً نشرته دار المنصور للطباعة بالرباط فى
طبعة أنيقة سنة ١٩٧٢ .

- الزركشى : أبو عبد الله محمد بن إبراهيم الراوى
- تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية (تونس ١٢٨٩ھ) .
- ابن الزيات : أبو يعقوب يوسف التادلى المعروف بابن الزيات (توفي
١٢٣٠ھ/١٦٢٧م)
- التشوف إلى رجال التصوف ، نشر أدolf فور المشرق
الفرنسي (الرباط ١٩٥٨) .

- ابن أبي زمعين : أبو عبد الله محمد (ت ٣٩٨ھ) الصوفى الغرناطى
- قدوة الغازى (مخطوط رقم ٥٧٥ بالكتبة الوطنية بمدريد)

- السبتي : محمد بن القاسم الانصارى السبti
- وصف مدينة سبتة (الرن ٩ھ/١٥م)
نشر ليقى بروفيسال فى مجلة هسبريس سنة ١٩٣١ العدد ١٢
وأعاد نشرها محمد بن تاویت التطوانى فى مجلة تطوان،
العدد التاسع سنة ١٩٦٤ .

- السخاوي : شمس الدين محمد بن عبد الرحمن (ت ٩٠٣ هـ / ١٤٩٦ م)
- الضوء الامامي لأبناء القرن التاسع (القاهرة ١٣٥٢ هـ) .
- التبر المسبوك (وهو ذيل لكتاب السلوك للمقريزى) .
- ابن سعيد المغربي الغرناطى : أبو الحسن على (ت ٦٨٥ هـ)
- كتاب رياض المبرزين وغایات الممیزین . نشره وترجمه إلى الأسبانية جاریثا جومث بعنوان : (Las Banderas de los Campeones) Madrid 1942).
- وأعاد نشره اللعمان عبد المتعال القاضى (القاهرة ١٩٧٣) .
- المغرب في حل المغارب . جزءان نشر شوقى صيف (القاهرة ١٩٦٤) .
- كتاب بسط الأرض في الطول والعرض . نشر خوان برنیت (طوان ١٩٥٨) .
- اختصار القدر المعلى في التاريخ المحتلى . نشر ابراهيم الإيباري (القاهرة ١٩٥٩) .
- السلاوي الناصري : أبو العباس أحمد بن خالد (ت ١٨٩٧ م)
- الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى ٩ أجزاء (الدار البيضاء ١٩٥٤) .
- ابن سماك العاملی : الزهرات المنتشرة في نكت الأخبار المأثورة ، تحقيق محمود مکی (مدريد ١٩٨٤)
- أبو شامة : عبد الرحمن بن اسماعيل شهاب الدين الدمشقى (ت ١٢٦٨ / ٥٦٦٥ هـ)
- كتاب الروضتين في أخبار الدولتين التورية والصلاحية جزءان (القاهرة ١٢٨٧ هـ) .
- الذيل على الروضتين . نشره عزت العطار الحسبي الدمشقى بعنوان ، تراجم رجال القرنين السادس والسابع، (القاهرة ١٩٤٧ م) .

- ابن الشباط : محمد على بن محمد الشباط المصرى التوزرى (ت ١٢٨٢/٥٦٨١ م)

- صلة السبط وسمة المرط ، نشر منه الجزء الخاص
بوصف الأندلس أحمد مختار العبادى فى مجلة المعهد
المصرى للدراسات الإسلامية بمدريد سنة ١٩٦٥ ثم أعيد
نشره فى كتاب مع نص آخر لابن الكربلائى تحت عنوان
« تاريخ الأندلس لابن الكربلائى ووصفه لابن الشباط »
(مدريد ١٩٧١) .

- الشهريستانى : أبو الفتح محمد بن أبي القاسم (ت ١١٥٣/٥٥٤٨ م)

- الملل والنحل (القاهرة ١٩٤٨) .

- ابن صاحب الصلاة : عبد الملك (كان حيًّا سنة ١١٩٤/٥٥٩٤ م) .

- أمن بالإمامية على المستضعفين ، نشر عبد الهاوى النازى
(بيروت ١٩٦٤) .

- صاعد الأندلس أو الطليطلى (١٠٧٠ م)

- كتاب طبقات الأمم .

- الضبى : أبو جعفر أحمد بن يحيى القرطبي (ت ١٢٠٣/٥٥٩٩ م)

- بغية الملتمس فى تاريخ أهل الأندلس (مدريد ١٨٨٤) .

- الطبرى : أبو جعفر محمد بن جرير (ت ١٢١٠/٥٣١٠ م)

- تاريخ الأمم والملوك (القاهرة ١٣٢٦هـ) فى ثمانية أجزاء ،
المكتبة التجارية .

- جامع البيان فى تفسير القرآن . فى ثلاثة مجلدات .

- الطرطوشى : أبو بكر (ت ١١٢٦/٥٥٢٠ م)

- سراج الملوك (القاهرة ١٣٥٤) .

- الحوادث والبدع . نشر محمد الطالبى (تونس ١٩٥٩) .

- ابن عبد الحكم : أبو القاسم عبد الرحمن (ت ٢٥٧ هـ / م ٨٧١)
- فتوح مصر والمغرب والأندلس ، طبعة تشارلس توري Charles Torrey بولاية New Haven بأمريكا سنة ١٩٢٢ .
- فتوح مصر وأخبارها طبعة هنري ماسيه Henri Massé المعهد العلمي الفرنسي (القاهرة ١٩١٤) في جزأين .
- فتوح المغرب والأندلس نشر وترجمة فرنسية لألفرد جاتو بعنوان :

A. Gateau : Conquete de l'Afrique du Nord et de L'Espagne

- هناك طبعة حديثة لكتاب عبد المنعم عامر .
- ابن عبادون : محمد بن أحمد البصبي رسالة في القضاء والحساب نشرها ليقي بروفنسال ضمن ثلاثة رسائل أندلسية في آداب الحسبة والمحاسبة (القاهرة ١٩٥٥) .
- ابن العطار : محمد بن أحمد الأموي (ت ٣٣٠ - ٥٣٩) كتاب الوثائق والسجلات . تحقيق شاليمنتا وكورينطي (المعهد الأسباني العربي للثقافة مدريد ١٩٨٣) .
- عبد الله بن زيري الصنهاجى ملك غرناطة فى عصر الطوائف (٤٦٩ - ٥٤٨) .
- كتاب التبيان عن الحادثة الكائنة . وقد نشره ليقي بروفنسال تحت عنوان :
- ، مذكرات الأمير عبد الله آخر ملوك بنى زيري بغرناطة (٤٦٩ - ٥٤٨) مجموعة ذخائر العرب رقم ١٨ (دار المعارف مصر ١٩٥٥) .

- العذري : أحمد بن عمر بن أنس المعروف بابن الدلائى (ت ١٠٨٥ هـ / م ٤٧٨)
- ترصيع الأخبار وتدعيم الآثار والبسنان في غرائب البلدان والمسالك إلى الممالك نشر عبد العزيز الأهوانى (مدريد ١٩٦٥) .
- ابن العربي : أبو بكر (ت بفاس ١١٤٨ هـ / م ٥٥٤٣)
- العاصم من القواسم ، نشر محب الدين الخطيب (القاهرة ١٣٨٧ هـ) .
- ابن العربي : محي الدين (ت بدمشق ١٢٤٠ هـ / م ٦٣٨) .
- الفتوحات المكية في معرفة الأسرار الملكية .
- العمري : شهاب الدين بن فضل الله (ت ١٣٤٨ هـ / م ٧٤٩)
- مسالك الأبصار في ممالك الأمصار -الجزء الخاص بوصف إفريقية والأندلس . نشر حسن حسني عبد الوهاب بتونس .
- التعريف بالمصلطح الشريف (القاهرة ١٣١٢ هـ) .
- ابن غالب الغرناطي : محمد بن أيوب
 - كتاب فرحة الأنفس في تاريخ الأندلس - تحقيق لطفي عبد البديع في مجلة معهد المخطوطات للجامعة العربية بالقاهرة سنة ١٩٥٥ .
- الغبريني : أبو العباس أحمد (ت ١٣١٥ هـ / م ٥٧١٤)
- عنوان الدرية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية - نشر محمد بن أبي شلب (الجزائر ١٣٢٨ هـ) .
- الغرناطي : الشريف أبو القاسم محمد الغرناطي (ق ٨ هـ / م ١٤) .
- رفع الحجب المستوره في محاسن المقصورة (القاهرة ١٣٤٤ هـ) .

- ابن فرحون : ابراهيم بن على اليعمرى (ت ١٣٩٦ هـ / ٥٧٩٩ م) .
- الديباج المذهب فى معرفة أعيان المذهب (أى المذهب المالكى) (القاهرة ١٣٢٩)
- ابن القاضى : أحمد بن محمد المكناسى (ت ١٦١٦ هـ / ١٠٢٥ م)
- درة الحجال فى غرة أسماء الرجال . جزءان نشر علوش (الرباط ١٩٣٤) .
- جذوة الاقتباس فيما حل من الأعلام مدينة فاس (طبعة حجرية فاس ١٣٠٥ هـ) .
- القزوينى : زكريا (١٢٠٣ - ١٢٨٣ م)
- آثار البلاد وعجائب المخلوقات وغرائب الموجودات . نشر وستنبلد .
- ابن قتيبة : أبو محمد عبد الله بن مسلم الدينورى (ت ١٢٧٦ هـ / ٨٨٩ م)
- الإمامة والسياسة .
- القرمانى : أحمد بن يوسف الدمشقى (١٥٣٢ - ١٦١١ م)
- أخبار الدول وآثار الأول (طبعة بغداد) .
- ابن القطان : أبوالحسن على بن محمد الكتامى الفاسى (ت ١٢٣٨ هـ / ٦٣٨ م)
- نظم الجمان فى أخبار الزمان . نشر محمود مکى (الرباط ١٩٦٤) .
- القلقشندي : أحمد بن على (ت ١٤١٨ هـ / ٨٢١ م)
- صبح الأعشى فى صناعة الإنسا ١٤ جزء .
- نهاية الأرب فى معرفة أنساب العرب (القاهرة ١٣٣٨ هـ)
- تحقيق ابراهيم الأبيارى (القاهرة ١٩٥٩) .
- القشتالى : أحمد بن ابراهيم الأزدى القشتالى (ت ٦٧٧ هـ) نسبة إلى بلدة قشتال Castril بغرناطة .

- تحفة المغترب ببلاد المغرب . ويتضمن كرامات الشيخ أبي مروان عبد الملك البهانسى نسبة إلى بلد يهانس من أعمال المرية .

نشره المستشرق الأسباني فرناندو دى لاجرانخا بالمعهد المصرى للدراسات الإسلامية بمدريد سنة ١٩٧٤ .

- ابن القوطية : أبو بكر محمد القرطبي المعروف بابن القوطية (ت سنة ٣٦٧ هـ سنة ٩٧٧ م) .

- كتاب تاريخ افتتاح الأندلس .

نشرة باسكوال دى جايوجوس Gqyangos وترجمته إلى الأسبانية خوليان ريبيرا Ribera (مدريد ١٩٢٦) .

- ابن الكرديوس : أبو مروان عبد الملك (كان حياً أواخر القرن السادس الهجرى ، ١٢٤٠ م) .

- كتاب الاكتفاء في أخبار الخلفاء - القسم الخاص بالأندلس .
نشره أحمد مختار العبادى في صحيفة المعهد المصرى بمدريد سنة ١٩٦٥ ثم أعاد نشره في كتاب مع نص آخر لابن الشباط تحت عنوان ، تاريخ الأندلس لابن الكرديوس ووصفه لابن الشباط ، (مدريد ١٩٧١) .

- الكلندي : أبو عمر بن يوسف (ت ٣٥٠ م / ٩٦١ م) .

- الولاة والقضاة . طبعة روفن جست (بيروت ١٩٠٨) .

- الماوردي : أبو الحسن على بن محمد البصري الغدادي (ت ٤٥٠ م / ٩٥٧ م) .

- الأحكام السلطانية (القاهرة ١٢٩٨ هـ) .

- المالكى : أبو عبد الله محمد بن أبي عبد الله المالكى (القرن الخامس الهجرى ، ١١١٠ م) .

- كتاب رياض النفوس في طبقات علماء القبروان وأفريقيه وزهادهم ونساكهم وسير من أخبارهم وفضائلهم . نشر الجزء الأول حسين مؤنس (القاهرة ١٩٥٠) .

- المالقى : أبو الحسن على النباهى (ت أواخر القرن الثامن الهجرى) .
- المرقية العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا . تشريفى بروفنسال (القاهرة ١٩٤٨) .
- نزهة البصائر والأبصار (مخطوط بالاسكوريا رقم ١٩٥٣) .
- أبو المحاسن : جمال الدين بن تغري بردى (ت ١٤٦٥ / م ٨٧٤) .
- النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة (دار الكتب المصرية ١٩٥٦) .
- محمد بن غازى المكناسى :
- الروض الهنون فى أخبار مكناة الزيتون (الرباط ١٩٥٢) .
- المراكشى : عبد الواحد (ت ٦٤٧ هـ) .
- المعجب فى تلخيص أخبار المغرب . نشر سعيد العريان ومحمد العربي العلمى (القاهرة ١٩٤٩) .
- محمد بن حبيب : كتاب من نسب إلى أمه من الشعراء العرب . نشره المستشرق الإيطالى ليڤي دالافيدا Levi Della Vida فى مجلة Jaurnal of the American Oriental Society, Vol 62, 1942 .
- المراكشى : عبد الملك (ت ٧٠٣ هـ / م ١٣٠٤) .
- الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة . نشر احسان عباس ومحمد بن شريفة .
- أبو مدین شعیب بن الحسن الانصاری : دفین تلمسان (ت ١١٩٥ / م ٥٩٥) .
- الجواهر الحسان فى نظم أولياء تلمسان نشر حاجيات (الجزائر ١٩٨٢) .

- ابن مرزوق: الخطيب أبو عبد الله محمد العجيسى التلمسانى (ت ١٧٨١هـ) .
- المسند الصحيح الحسن فى مائة مولانا أبي الحسن .
- نشر وتحقيق مارية خيسوس بيجيرا (الجزائر ١٩٨١) .
- ابن مریم : أبو عبد الله بن محمد التلمسانی
- البستان فى ذكر الأربلأء والعلماء بتلمسان تحقيق محمد بن أبي شنب (الجزائر ١٩٠٨) .
- المسعودى : أبو الحسن على وينتسب إلى عبد الله بن مسعود الصحابي (ت ٣٤٦هـ / ٩٥٧م) .
- كتاب مروج الذهب ومعادن الجوهر ، أجزاء (القاهرة ١٣٤٦هـ) .
- التنبيه والاشراف (القاهرة ١٩٣٨) .
- المسعودى : محمد الباجى .
- الخلاصة الندية فى أمراء أفريقيا (تونس ١٣٢٣) .
- المقرى : أبو العباس أحمد بن محمد التلمسانى (ت ١٠٤١هـ / ١٦٣١م) .
- نفح الطيب من غصن أندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب تحقيق محمد محى الدين عبد الحميد فى عشرة أجزاء (القاهرة ١٣٠٢هـ) .
- أذهار الرياض فى أخبار القاصى عياض . نشر منه ثلاثة أجزاء تحقيق مصطفى السقا ، وإبراهيم الابيارى ، وعبد الحفيظ شلبى (القاهرة ١٩٤٢) .
- المقرىزى : نقى الدين أبو العباس أحمد بن على (ت ٨٤٥هـ / ١٤٤١م) .
- السلوك لمعرفة دول الملك . نشر محمد مصطفى زيادة (القاهرة ١٩٣٦) .
- الموعظ والاعتبار بذكر الخطط والأثار جزءان (بولاك ١٢٧٠) .

- اتعاظ الحنفأ بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا ٣ أجزاء نشر جمال الدين الشيال (القاهرة ١٩٤٨) .
- مؤلف مجهول : أخبار مجموعة في فتح الأندلس وذكر أمرائها .
نشر وترجمة إسبانية ، لافونتى الكنترا (مدريد ١٨٦٧) .
- مؤلف مجهول : الحل الموسية في ذكر الأخبار المراكشية . نشر علوش (الرباط ١٩٣٦) .
- مؤلف مجهول : الاستبصار في عجائب الأمصار نشر سعد زغلول (الاسكندرية ١٩٥٧) .
- مؤلف مجهول : كتاب فتح الأندلس . نشر المستشرق الأسباني خواكين جونثالث (الجزائر ١٨٨٩) .
- مؤلف مجهول : نبذة العصر في أخبار ملوك بنى نصر ، نشر الفريد بستانى ، والأب كارلوس كيروس ، (العرائش ١٩٤٠) .
- مؤلف مجهول : مفاخر البرير . نشر ليفي بروفنسال (الرباط ١٩٣٤) .
- النويرى : شهاب الدين (ت ٧٣٢ هـ / م ١٣٣٢) .
- نهاية الأذب في فنون الأدب . نشرت دار الكتب المصرية ١٢ جزءاً .
- النويرى : محمد بن القاسم السكدرى المالقى المالكى (ألفه سنة ٥٧٧٥) .
- الإمام بالأعلام لما جرت به الأحكام المقصنية في واقعة الاسكندرية في سنة سبع وستين وسبعين وسبعيناً ، وعودها إلى حالتها الأولى المرضية . تحقيق عزيز سوريا عطية واتين كومب في سبعة أجزاء (المطبعة العثمانية بحيدر آباد الدكن بالهند ١٩٦٨ - ١٩٧٦) .
- ابن واصل : جمال الدين بن واصل الحموي (ت ٦٨٧ هـ / م ١٢٩٧) .
- كتاب مفرج الكروب في أخبار بنى أيوب .

نشر جمال الدين الشيال **الأجزاء الثلاثة الأولى** ثم نشر سعيد
عاشر وربيع حسنين **الجزأين الآخرين** .

- ابن هذيل : أبو الحسن علي بن عبد الرحمن (ق ٨ هـ / ١٤ م) .
- حلية الفرسان وشعار الشجعان . تحقيق محمد عبد الغنى
حسن (القاهرة ١٩٥١) .
- نحفة الأنفس وشعار سكان الأندلس . نشره وترجمه إلى
الفرنسية لويس مارسييه بعنوان : Louis Mercier
*L'ornement des Ames et la devise des Habitants
d'el Andalus* (Paris 1936) .
- ياقوت الحموي : شهاب الدين أبو عبد الله الحموي الرومي البغدادي .
- معجم البلدان . تحقيق فريد عبد العزيز الجندي في سبعة
أجزاء (بيروت ١٩٩٠) .

ثانياً - مراجع عربية حديثة

- الأب انستاس الكرملی: النقوش العربية وعلم النمایات (القاهرة ١٩٣٩) .
- ابراهيم أحمد العدوی : الأميون والبيزنطيون .
الأساطيل العربية في البحر الأبيض المتوسط .
- المسلمين والجرمان (الإسلام في غرب البحر المتوسط) .
- أحمد محمد الطوخي : مظاهر الحضارة في الأندلس في عصر بنى الأحمر (الاسكندرية ١٩٩٧) .
- أحمد أبو زيد : دراسات أثريولوجية في المجتمع الليبي (فصل عن التوارجة) دار الثقافة سنة ١٩٦٣ .
- أحمد المكناسي : المدن المندسسة في شمال المغرب .
- أحمد توفيق المداني : المسلمين في جزيرة صقلی وجنوب ايطاليا (الجزائر ١٣٦٥ هـ) .
- أدم مقرز : الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري ، تعریف عبد الهاذی أبو ریدة (جزءان) .
- أرشيبالد لویس : القوى البحرية والتجارية في حوض البحر المتوسط ، ترجمة أحمد محمد عیسى . وتقديم شفیق غریال .
- أشباح (یوسف) : تاريخ الأندلس في عهد المرابطین والمودحین ، ترجمة عبد الله عنان (القاهرة ١٩٤١) .
- أنور الرفاعي : الإسلام في حضارته ونظمها (دمشق ١٩٧٣) .
- أماڑی ، میشیل : المکتبة العربية الصقلیة - لیسک ١٨٧٥ .
- الأهوانی ، عبد العزیز : ألفاظ مغاربية من كتاب ابن هشام اللخمي في لحن العامة (مجلة معهد المخطوطات العربية بجامعة الدول العربية ، المجلد الثالث ، القاهرة ١٩٥٧) .
- سفارۃ سیاسیة من غرناطة إلى القاهرة سنة ٨٤٤ هـ .

- (مجلة كلية الآداب جامعة القاهرة . المجلد السادس عشر
مايو ١٩٥٤) .
- الرجل في الأندلس (القاهرة ١٩٥٧) .
- جمال الدين الشيال : أعلام الاسكندرية في العصر الإسلامي
(الاسكندرية ١٩٦٥) .
- جمال محمد محرز : الرسوم الجدارية الإسلامية في البرطل بالحمراء
(مدريد ١٩٥١) .
- جورجى زيدان : تاريخ التمدن الإسلامي ، مراجعة حسين مؤنس .
- جونثالث بالنتيا : تاريخ الفكر الأندلسي ، ترجمة حسين مؤنس
(القاهرة ١٩٥٥) .
- جوميث موريينو : الفن الإسلامي في إسبانيا . ترجمة لطفي عبد
البديع ، والسيد عبد العزيز سالم ، القاهرة سنة ١٩٦٨ .
- حسن أحمد محمود : قيام دولة المرابطين (القاهرة ١٩٥٧) .
- حسن ابراهيم حسن و على ابراهيم حسن : النظم الإسلامية
١٩٦٢ .
- حسن ابراهيم حسن ، و طه شرف : المعز لدين الله الفاطمي .
- حسين مؤنس : فجر الأندلس (القاهرة ١٩٥٩) .
- غارات الدورمانديين على الأندلس (مجلة الجمعية
التاريخية المصرية العدد الأول سنة ١٩٤٩) .
- تاريخ الجغرافيا والجغرافيين في الأندلس (مدريد ١٩٦٧) .
- المسلمين في حوض البحر المتوسط (مجلة الجمعية
التاريخية المصرية مايو سنة ١٩٥١) .
- ابن بطوطة ورحلاته (دار المعارف ١٩٨٠) .
- حياة ناصر الحجji : العلاقات بين سلطنة المماليك والممالك الأسبانية

في القرنين الرابع والخامس عشر الميلادي (الكويت ١٩٨٠).

- خوان برنيت : هل هناك أصل عربي أسباني لفن الخرائط الملاحية ؟
مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية بمدريداً ، العدد الأول سنة ١٩٥٣ ترجمة أحمد مختار العبادى .

- خير الدين الزركلى : كتاب الأعلام (القاهرة ١٩٥٩) .
الدباغ (محمد بن عبد العزيز) : ابن جزى كاتب رحلة ابن بطرطة .

مجلة دعوة الحق العدد العاشر السنة الخامسة يوليو سنة ١٩٦٢ .

- زامباور (ادوارد) : معجم الأنساب والأنسارات الحاكمة في التاريخ الإسلامي . صنفه المستشرق النمساوي أدوارد فون زامباور . وصدرت منه طبعتان بالألمانية والفرنسية . ونقله إلى العربية زكي محمد حسن وأخرون . (مطبعة جامعة فؤاد الأول سنة ١٩٥١) .

- زكي محمد حسن : الرحالة المسلمين في العصور الوسطى (القاهرة ١٩٤٥) .

- فنون الإسلام (القاهرة ١٩٤٨) .

- زمامنة (عبد القادر) : بعض مشاهير أعيان أهل فاس : أبو عمران الفاسي ، الغفجومي (مجلة البحث العلمي ، العدد الثالث سنة ١٩٦٤ ، والعددان الرابع والخامس سنة ١٩٦٥) .

- المؤرخ الأديب أبو التوليد اسماعيل بن الأحمر صحيفه المعهد المصري بمدريداً (العدد ١٨ ، ١٩٧٤ ، ١٩٧٥ / ١٩٧٥) .

- زيادة (محمد مصطفى) : بعض ملاحظات جديدة في تاريخ دولة المماليك في مصر مجلة كلية الآداب جامعة القاهرة ، المجلد الرابع ، الجزء الأول سنة ١٩٣٦ .

- ابن زيدان (عبد الرحمن بن محمد) : اتحاف أعلام الناس بجمال
أخبار حاضرة مكتناس طبع منه خمسة أجزاء (الرباط
١٩٢٨ - ١٩٣٣) .
- سامية مصطفى مسعد : صور من المجتمع الأندلسي (القاهرة
١٩٩٨) .
- سحر السيد عبد العزيز سالم : مدينة الرباط في التاريخ
الإسلامي (الاسكندرية ١٩٩٦) .
- السيد عبد العزيز سالم : المساجد والقصور بالأندلس (سلسلة اقرأ ،
العدد ١٨ ، ١٩٥٨) .
- تاريخ المسلمين وأثارهم في الأندلس (بيروت ١٩٦٢) .
- تاريخ المغرب الكبير (الاسكندرية ١٩٦٦) .
- تاريخ المرينة الإسلامية (بيروت ١٩٦٦) .
- العمارة الإسلامية في الأندلس وتطورها (مجلة عالم
الفكر، المجلد الثامن ١٩٧٧) .
- سعد زغلول : تاريخ المغرب العربي صدر منه أربعة أجزاء
(الاسكندرية ، منشأة المعارف) .
- العلاقة بين صلاح الدين وأبي يوسف يعقوب المودي
(مجلة كلية الآداب بالاسكندرية ١٩٥٣) .
- الاستبصار في عجائب الأمصار (نشر جامعة الاسكندرية
١٩٥٧) .
- العمارة والفنون في دولة الإسلام (الاسكندرية سنة
١٩٨٦) .
- سعيد عاشور : أوريا في العصور الوسطى (القاهرة ١٩٦١) .
- سيكو دي لوثينا : وثائق عربية غرناطية من القرن التاسع الهجري
(١٥) (مدريد ١٩٦١) .

- سليمان الباروني النفوسى : (ت ١٣٥٩ / ١٩٤٠م) .
- الأزهار الرياضية فى أئمة ملوك الاباضية .
- شبانة (محمد كمال) : يوسف الأول بن الأحمر (القاهرة ١٩٦٩) .
- ابن شريفة (محمد) : أبوالمطراف بن عميرة المخزومي ، حياته وأثاره (الرباط سنة ١٩٦٦) .
- شكرى فیصل : حركة الفتح الاسلامى فى القرن الأول الهجرى .
- شکیب ارسلان : (ت ١٩٤٦) .
- تاريخ غزوات العرب فى فرنسا وسويسرا وايطاليا وجزائر البحر المتوسط .
- الحل السندسية فى الأخبار والآثار الأندرسية .
- صلاح خالص : اشبيلية فى القرن الخامس الهجرى (بيروت ١٩٦٥) .
- الصديق بن العربى : كتاب المغرب (سلسلة أعرف بلادك رقم ٣ ، الرباط) .
- العبادى (أحمد مختار) :

 - الصفالية فى أسبانيا وعلاقتهم بحركة الشعوبية ، نشر رسالة ابن غرسية ، (مدريد ١٩٥٣) نقلها إلى اللغة الانجليزية وعلق عليها James Monroe : The Shubiyya in Al Andalus, (Univiersity of California, Los Angeles 1976) .
 - دراسات فى تاريخ المغرب والأندلس (الاسكندرية ١٩٦٨) .
 - فى تاريخ المغرب والأندلس (الاسكندرية ١٩٧٨) .
 - فى التاريخ العباسي والفاطمى (الاسكندرية ١٩٨٢) .
 - فى التاريخ الأيوبي والمملوکى (الاسكندرية ١٩٩٢) .
 - فى تاريخ الحضارة العربية الاسلامية (الاسكندرية ١٩٩٩) .

- قيام دولة المماليك الأولى في مصر والشام (بيروت ١٩٦٩).
- البحرية الإسلامية في مصر والشام بالاشتراك مع السيد عبد العزيز سالم الجزء الأول (الاسكندرية ١٩٨١).
- البحرية الإسلامية في المغرب والأندلس بالاشتراك مع السيد عبد العزيز سالم الجزء الثاني (١٩٨١).
- سياسة الفاطميين نحو المغرب والأندلس (صحيفة المعهد المصري بمدريـدة سنة ١٩٥٧).
- الصفحات الأولى من تاريخ المرابطين (مجلة كلية الآداب جامعة الاسكندرية ١٩٦٧).
- الموحدون والوحدة الإسلامية (مجلة التربية الوطنية بالمملكة المغربية مارس ، أبريل سنة ١٩٦٢).
- دراسة حول كتاب الحل الموشية (مجلة طوان ، العدد الخامس ١٩٦٠).
- العلاقات الثقافية بين غرناطة وفاس في القرن الثامن الهجري (الكتاب الذهبي لجامعة القرويين بفاس بمناسبة ذكرى المائة بعد الألف ، فاس ١٩٦٠).
- فترة مضطربة في تاريخ غرناطة كما يصفها شاهد عيان (صحيفة المعهد المصري بمدريـدة المجلد السابع والثامن ١٩٥٩ - ١٩٦٠).
- النزعات الاقتصادية في حياة لسان الدين ابن الخطيب (مجلة كلية الآداب جامعة الاسكندرية ١٩٥٨). (نقلها أستاذى جارثيا جوميث إلى الأسبانية بعنوان Las moviles economicos en la vida de Ibn al Jatib Al Andalus Vol. XX 1955 Fasc. 1).
- الأعياد في مملكة غرناطة (صحيفة المعهد المصري للدراسات الإسلامية بمدريـدة ، المجلد ١٥ سنة ١٩٧٠).

- مقامة العيد لأبي محمد عبد الله الأزدي (ت سنة ١٣٥٠ هـ / ١٩٣٠ م) صورة من صور الحياة الشعبية في غرناطة (صحيفة المعهد المصري بمدريد العدد ١ - ٢ ، ١٩٥٤).

- بحث في الأسلحة النارية في المغرب والأندلس في مجلة Hésperis، 1959، Trimestres 3-4 تعليقاً على كتاب David Ayalon : Gunpowder and Firearms in the Mamluk Kingdom (London 1956).

- سياسة ابن الخطيب المغربية - مجلة البيئة - الرباط ، مايو ١٩٦٢ .

- لسان الدين بن الخطيب وكتاباته التاريخية ، مجلة عالم الفكر ، المجلد السادس عشر ، العدد الثاني .

- المعراج وصداء في التراث الإسلامي ، عالم الفكر ، المجلد ١٢ يناير - مارس ١٩٨٢ .

- الإسلام في أرض الأندلس ، عالم الفكر ، المجلد العاشر ، العدد الثاني يوليو - سبتمبر ١٩٧٩ .

- من التراث العربي الأسباني ، عالم الفكر ، المجلد الثامن العدد الأول أبريل - يونيو ١٩٧٧ .

- التأثير المتبادل في الرواية التاريخية العربية الأسبانية ، صحيفة المعهد المصري بمدريد المجلد الرابع والعشرون (مدريد ١٩٨٧ - ١٩٩٠) .

- الحياة الاقتصادية في المدينة الإسلامية ، عالم الفكر المجلد الحادى عشر ، العدد الأول سنة ١٩٧٩ .

- التأثير المتبادل بين الإسكندرية والمغرب ، صحيفة المعهد المصري بمدريد المجلد ٢٧ سنة ١٩٩٥ .

- مملكة بني نصر في غرناطة ودورها الحضاري ، كلية

التربية الأساسية بالكويت ، الموسم الثقافي ١٩٨٥ - ١٩٨٦
(الكويت ١٩٨٧) .

- الزراعة في الأندلس وتراثها العلمي (ضمن بحوث ندوة الأندلس ، الدرس والتاريخ ، التي أقيمت بجامعة الاسكندرية من ١٣ - ١٥ أبريل سنة ١٩٩٤ (دار المعرفة الجامعية ، الاسكندرية سنة ١٩٩٥) .

- خبر ظهور الترك بالشغر الأعلى الأندلسي سنة ٣٣٠ هـ / ٩٤٢ م ، نص جديد في تاريخ أوروبا والأندلس للمؤرخ القرطبي أبي مروان بن حيان (ت سنة ٤٤٩ هـ / ١٠٧٦ م) مجلة المناهل العدد ٢٩ مارس سنة ١٩٨٤ (المملكة المغربية) .

- تكوين عالم الإسلام ، الباب الرابع ، من كتاب الثقافة الإسلامية الذي أصدرته جامعة الكويت سنة ١٤٠٩ هـ / ١٩٨٩ .

- أزمنة التاريخ الإسلامي ، جزءان ، مشاركة في المراجعة والتحقيق مع عبد السلام الترمذاني وشاكر مصطفى وكتابه الفصل الثالث بعنوان ، أحداث مصر الإسلامية والمغرب والأندلس حتى سنة ٢٥٠ للهجرة ، (الكويت ١٩٨٢) .

- مشاهدات لسان الدين بن الخطيب في بلاد المغرب والأندلس (مجموعة من رسائله) (جامعة الاسكندرية ١٩٥٨) .

- العبادي (عبد الحميد) :

- المجمل في تاريخ الأندلس (القاهرة ١٩٥٨) .

- صور وبحوث من التاريخ الإسلامي (القاهرة ١٩٩٥) .

- عبادة (كحبلة) :

- أندلسيات (القاهرة ١٩٨٩) .

- تاريخ النصارى فى الأندلس (القاهرة ١٩٩٣) .

- عباس (احسان) :

- تاريخ الأدب الأندلسى (عصر سيادة قرطبة) بيروت
١٩٦٠ .

- تاريخ الأدب الأندلسى (عصر الطوائف والمرابطين)
بيروت ١٩٦٢ .

- رسائل ابن حزم الأندلسى ٣ أجزاء (بيروت ١٩٨٠) .

- ديوان ابن حميس الصقلى (بيروت ١٩٦٠) .

- العرب فى صقلية ، دراسة فى التاريخ والأدب (القاهرة
١٩٥٩) .

- العطار (سليمان) :

ترجمة عن الأسبانية لكتاب أميريكو كاسترو حضارة الاسلام
فى إسبانيا (القاهرة ١٩٨٣) .

- عبد الحى الكتانى : الترتيب الادارى فى المدينة المنورة العلية (الرباط
١٣٤٦ هـ) .

- عبد الرحمن زكي :

- السيف فى العالم الاسلامى (القاهرة ١٩٥٧) .

- النقوش الزخرفية والكتابات على السيوف الاسلامية
(صحيفة المعهد المصرى للدراسات الاسلامية بمدريد ،
المجلد الخامس العددان ١ - ٢ ، ١٩٥٧) .

- غرناطة وأثارها الفاتحة - المكتبة الثقافية رقم ٢٧٦ .

- عبد السلام الهراس : ابن البلانة الشاعر ، مجلة البحث العلمى بالرباط
(مايو - أغسطس ١٩٦٤) .

- عبد السلام الطود : بنو عباد باشبيلية (تطوان ١٩٤٦) .

- عبد العزيز بن عبد الله :

- معطيات الحضارة المغربية جزءان (الرباط ١٩٦٣) .

- البحريّة المغربية والقرصنة ، مجلة تطوان العددان ٣ - ٤

(١٩٥٨ - ١٩٥٩) .

- عبد الفتاح الزين : دراسة في حياة وأعمال الأستاذ عبد الهادي النازى (الرباط ١٩٩١) .

- عبد القادر الصحاوى : جولات في تاريخ المغرب (الدار البيضاء ١٩٦٩) .

- عبد الله جنون :

- مدخل إلى تاريخ المغرب .

- النبوغ المغربي في الأدب العربي .

- ديوان ملك غرناطة ، يوسف الثالث ، نشر وتحقيق (تطوان ١٩٥٨) .

- عبود (محمد بن عبد السلام) : تاريخ المغرب (تطوان ١٩٧٥) .

- عبود (أحمد بن عبود) : التاريخ السياسي والاجتماعي لأشبيلية في عهد دول الطوائف (تطوان ١٩٨٣) .

- عبد الله السوسي : تاريخ رباط الفتح (الرباط ١٩٧٩) .

- عبد العزيز الفيلالي : العلاقات السياسية بين الدولة الأموية في الأندلس ودول المغرب (الجزائر ١٩٨٢) .

- عبد المنعم ماجد : العلاقات بين الشرق والغرب في العصور الوسطى .

- عنان (محمد عبد الله) :

- دولة الإسلام في الأندلس :

١- العصر الأول من الفتح من نهاية عهد عبد الرحمن عبد الحكم (الأوسط) .

٢- الدول العامرة وسقوط الخلافة الأندلسية (القاهرة ١٩٥٨) .

- ٣ - دول الطوائف حتى الفتح المرابطي (القاهرة ١٩٦٠) .
- ٤ - نهاية الأندلس وتاريخ العرب المتتصرين (القاهرة ١٩٦٦) .
- ٥ - تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين ، جزءان ، مترجم عن كتاب المؤرخ الألماني يوسف أشباخ (القاهرة ١٩٤٦) .
- ترجم شرقية وأندلسية (القاهرة ١٩٤٧) .
- عبد الرحمن الجيلالي : تاريخ الجزائر العام (١٩٥٥) .
- عبد الهاشمي التازى : جامع القرويين المسجد والجامعة بمدنية فاس ٣ أجزاء (بيروت ١٩٧٢) .
- التاريخ الدبلوماسي للمغرب ، عشر مجلدات (فضالة ١٩٦٧) .
- عصام سالم سيسالم : جزر الأندلس المنسية (جزر البليار) (بيروت ١٩٨٤) .
- عبد الوهاب بن منصور : قبائل المغرب (الرباط ١٩٦٨) .
- عمر كمال توفيق : تاريخ الامبراطورية البيزنطية (الاسكندرية ١٩٥٧) .
- على مظهر : محاكم التفتيش .
- غازى (السيد مصطفى) :
- ديوان ابن خفاجة الهواري الأندلسي (الاسكندرية ١٩٦٠) .
- في أصول التوشيح (الاسكندرية ١٩٧٨) .
- ديوان الموشحات الأندلسية جزءان (الاسكندرية ١٩٧٩) .
- غنيمة (محمد عبد الرحمن) : تاريخ الجامعات الاسلامية الكبرى (تطوان ١٩٥٣) .
- غرسية غومث (اميلافيو) : الشعر الأندلسي ، ترجمة حسين مؤنس

- . (القاهرة ١٩٥٢) .
- فتحى عثمان : الحدود الإسلامية البيزنطية بين الاحتكام العربى والاتصال الحضارى .
 - فوزى الفخرانى : حفائر مدينة ماريا (كتاب اليوبيل الذهبى لجامعة الاسكندرية - كلية الآداب ١٩٤٣ - ١٩٩٣) .
 - كليليا سارنلى : مجاهد العاشرى (القاهرة ١٩٦١) .
 - لسترينج : بلدان الخلافة الشرقية . تعریب جورجیس عواد .
 - لطفى عبد البديع : الاسلام فى اسبانيا .
 - ليفى رووفنسال : محاضرات فى أدب الأندلس وتاريخها . ترجمة عبد الهادى شعيرة (جامعة الاسكندرية ١٩٥١) .
 - ماء العينين : - (الشيخ محمد الشريف الأدريسي الشنحيطى).
الجاش الريوط فى النضال عن مغربية شنحيط (الرباط ١٩٥٧) .
 - هونيرباخ : - البحرية العربية وتطورها فى البحر المتوسط فى عهد معاوية (تطوان ١٩٥٤) .
 - محمد أحمد أبو زهرة : المذاهب الاسلامية .
 - محمد بوجندار : مقدمة الفتح من تاريخ رباط الفتح (الرباط ١٣٤٥هـ) .
 - محمد بن تاویت (التطوانى) : بنو عاصفة الثقافة العربية بال المغرب (مجلة نموذجا ، تطوان ١٩٥٦) .
 - دولة الرستميين . صحفة المعهد المصرى بمدريد ١٩٥٨ .
 - محمد التطوانى : ابن الخطيب من خلال كتبه (تطوان) .
 - محمد الخضرى : محاضرات فى تاريخ الأمم الاسلامية جزءان (القاهرة ١٩١٦) .

- محمد رضا الشبيبي : أدب المغاربة والأندلسيين وأصوله المصرية ونصوله العربية (الجامعة العربية بالقاهرة ١٩٦١) .
- محمد عبد الحميد : تاريخ التعليم في الأندلس (دار الفكر العربي ١٩٨٢)
- النشار (على سامي) : أبو الحسن الششتري الصوفي الأندلسي وأثره في العالم الإسلامي صحيفة المعهد المصري بمدريد ، العدد الأول سنة ١٩٥٣ .
- النشار (محمد محمود) : تأسيس مملكة البرتغال (القاهرة سنة ١٩٩٧) .
- محمد بن شريفة :

 - أبو المطراف أحمد بن عميرة المخزومي .
 - أسرة بن عشرة ، مجلة تطوان العدد العاشر ١٩٦٥ .
 - البسطى آخر شعراء الأندلس (بيروت ١٩٨٥) .

- محمد الشيخ : تاريخ أوروبا في العصور الوسطى (الاسكندرية ١٩٩٠) .
- محمد المنوفى :

 - العلوم والآداب والفنون على عهد الموحدين الرباط .
 - نظم الدولة المرinية - من مسالك الابصار للعمري - مجلة البحث العلمي مايو سنة ١٩٦٤ الرباط .
 - محمد ضياء الدين الرئيس : الخراج في الدولة الإسلامية .
 - محمد العبدى الكانونى : آسفى وما إليه .
 - محمد عبد الوهاب خلاف : تاريخ القضاء في الأندلس من الفتح حتى نهاية القرن الخامس الهجرى (القاهرة ١٩٩٢) .
 - محمد عبد الوهاب الغسانى : رحلة الوزير في افتتاح الأسير . نشر الفريد البستانى (تطوان ١٩٣٩) .

- محمد الفاسي :

- الأعلام الجغرافية الأندلسية (مجلة البيئة العدد الثالث
السنة الأولى مايو سنة ١٩٦٢) .

- نشأة الدولة المربيّة ومميزات العصر المربيّي الأدبية
(مجلة البيئة ديسمبر سنة ١٩٦٢) .

- مكي (محمود على) : مدخل لدراسة الأعلام الجغرافية ذات الأصول
العربية في إسبانيا (مؤتمر مجمع اللغة العربية بالقاهرة ،
الدورة ٦١ شوال - ذى القعدة سنة ١٤٥ هـ - مارس -
أبريل سنة ١٩٩٥ م) .

- التشيع في الأندلس . صحيفة المعهد المصري في مدريد
. ١٩٥٤ .

- تاريخ عبد الملك بن حبيب - القسم الخاص بالأندلس -
صحيفة المعهد المصري ب مدريد سنة ١٩٥٧ .

- عبد الكريم بن محمد القيسى آخر شعراء الأندلس - مجلة
العربي ، أكتوبر سنة ١٩٦٧ .

- مصطفى أبو ضيف (أحمد) : أثر القبائل العربية في الحياة المغربية
خلال عصر الموحدين وبنى مرين (الدار البيضاء سنة
. ١٩٨٢ .)

- مكي (الطاھر أھمد) :

- ترجمة كتاب الشعر الأندلسي في عصر الطوائف لهنري
بيريس (القاهرة ١٩٨٨) .

- ترجمة ملحمة السيد المبارز El Cid Compeador
(القاهرة ١٩٧٠) .

- مني حسن أحمد محمود : تأشفين بن على بن يوسف بن تأشفين
(القاهرة سنة ١٩٩٠) .

- ميليات فاليكروسا : علم الفلاحة عند المؤلفين العرب تربيب عبد اللطيف الخطيب (تطوان ١٩٥٧) .
- مورييس لمبار : الذهب الاسلامى ، ترجمة توفيق اسكندر (الجمعية المصرية للدراسات التاريخية ، القاهرة ١٩٦١) .
- يوسف بن أحمد حواله : بنو عباد فى اشبيلية (المملكة السعودية سنة ١٩٨٩) .

ثالثا : المراجع الأوروبية

Abbadí A. Mujtar:

- El Reino de Granada en la época de Muhammad V (Madrid 1973).
- Algunos aspectos de las relaciones históricas hispano-Egipcias. Boletín de la embajada de Egipto en Madrid, 25 Julio 1952-1953.
- Las fiestas profanas y religiosas en el Reino de Granada (M. E. A.H.) (fasc. I, 1965-1966).

Aguado Bleye, Pedro:

- Manual de la Historia de España. 2 tomos (Madrid 1944-1954).

Alarcón y Linares :

Los Documentos árabes diplomáticos del Archivo de la Corona de Aragón. (Madrid - Granada 1940).

Albornoz ; Sanchez :

La España Musulmana , 2 Tomos (Buenos Aires 1946) .

Alcover : Miguel :

El Islam en Mallorca (Palma de Mallorca 1930) .

Alfonso el Sabio :

Primera Crónica General de España . Publicada por Ramón Menéndez Pidal (Madrid 1965).

Alfonso Gamir Sandoval :

Organización de la defensa de la Costa del reino de Granada desde su reconquista hasta finales del siglo XVI.

Alcocer : Mariano Martinez :

Castillos y Fortalezas del Antiguo Reino de Granada (Tanger 1941) .

Alfred Bel :

Les Banou Ghanya (Paris 1903) .

Ali Fahmy :

Muslim sea power in the Eastern mediterranean from the seventh to the tenth century A.D. (Cairo 1950).

Allouche:L.S.:

-La Relation du Seige d'Almeria en 709, H.,(Hesperis XVI 1933).

- Un texte relatif aux Premiers Canons, (Hesperis XXXII 1945).

Amador de los Rios :

Inscripciones Arabes de Sevilla (Madrid 1875).

Angel Canellas :

Aragon y la empresa del Estercho en el siglo XIV (Zaragoza 1946).

Amari:M.:

Conforti Politici (Frierne 1851) .

Americo Castro :

Espana en su Historia (Buenos Aires 1948).

Argote de Molina :

Nobleza de Andalucia (Sevilla 1588) .

Arie : Rachel :

L'Espagne Musulmane au temps de Nasrides (1232- 1492)
(Paris 1973) .

Arnold : Thomas :

The Caliphate (Oxford 1929) .

Arribas Palou :

Las treguas entre Castilla y Granada firmadas por Fernando I de Aragon (Tetuan 1956) .

Ashtor : Elyahu :

- Prix et Salaires dans l'espagne Musulmane aux X et XI siècles .
(Annales , Juillet - Aout 1963) .
- Histoire des Prix et des Salaires dans l'Orient medievale (Paris 1969).

Asin : Jaime Oliver :

Origen Arabe de Rebato (Madrid 1928) .

Asin : Palacios Miguel :

- El Islam Cristianizado (Madrid 1935).
- Contribución a la toponimia Arabe de Espana (Madrid 1944).

Ayalon : David :

Gunpowder and Firearms in the Mamluk Kingdom (Hésperis 1959) .

Ballesteros : A :

- Historia de Espana tomo III (Barcelona 1948) .
- Sevilla en el siglo XIII (Madrid 1913).

Bargés : L'Abbé :

- Histoire de Beni Zeiyan Rois de Tlemecen (Paris 1959).
- Complement de l'Histoire des Beni Zeiyan , Rois de Tlemecen, ouvrage d Mohammad Abd el Galil al Tenessi (Paris 1887).

Basset et Terrasse :

- Tinmel (Hespéris 1924) .

Benavides : A.:

Memorias sobre la guerra del reino de Granada (Madrid 1945).

Berchem : Max Von :

Titres Califien d'Occident , Journal Asiatique IX, 1907.

Bleda : Fray Jaime :

Crónica de los Moros (Valencia 1618) .

Bosch Vila : J.

- Historia de Albarracin Musulmana y su Sierra (Truel 1959) .

Brunschvig : Robert :

La Berberie Oriental sous les Hafsidès . 2 Tomes (Paris 1947) .

Bury : J.B.:

The Naval Policy of the Roman Empire in relation to the western provinces from the 7 th to the 9th century (centenario della nascita di Michele Amari, Palermo 1910) .

Bustamante : Perez :

Compendio dela Historiade Espana (Madrid 1928).

Cabanelas : Dario :

Dicionario de la Historia de Espana desde sus Origenes hasta el fin del siglo reinado de Alfonso XIII (Madrid 1952) .

Caillé : J:

La Ville de Rabat , Histoire et Archeologie 3 tomes (Paris 1949).

Campaner A.Y. Fuertes Alvaro:

Bosquejo dela domicación Islamita en las Islas Baleares (Palma de Mallorca 1888).

Capmany : Antonio :

- Memorias historicas sobre la marina ,comercio y artes de la antigua ciudad de Barcelona , Tomo III y IV (Madrid 1792) .
- Algunos tratados de paces y alianzas entre algunos reyes de Aragon y diferentes príncipes de Asia y Africa desde el siglo XIII hasta el siglo XV (Madrid 1796).

Garcia de Luna : José :

Historia de Gibraltar (Madrid 1944) .

Caro Baroja :

Los Moriscos del reino de Granada (Madrid 1957).

Cacales ; Francisco :

Discursos historicos de la muy noble ciudad de Murcia (Murcia 1621).

Cernival : P.:

L'Eglise Chretienne de Marrakech , (Hésperis , VII, 1927) .

Codera : Francisco :

- Mochéhid ,conquistador de Cerdanya , (centenario delle nascita de Michele Amari) (Palermo 1910) .
- Decadencia y Desaparición de los Almorávides en Espana (Zaragoza 1899) .
- Historia Arabe española 2 partes (Madrid 1917).

Concise Encyclopedia of Arabic civilization:

(Amsterdam 1959).

Chalmeta : Pedro :

El Señor del Zoco en Espana (Madrid 1973) .

Creasy :

Las Batallas decisivas en la historia del mundo (Espana 1940) .

Cronicas de los Reyes de Castilla , desde Alfonso el Sabio hasta Reyes Católicos . ed. Rosell. (Madrid 1877).

Cuartero .Larrea : Miguel :

El Salado , Revista " Ejercito" 1941, ho 13.

De Castries:

Les sources inedites dell'histoire du Maroc, Portugal, Espagne I
(Madrid -Paris 1921) .

Derenbourg : Hartwig :

Omara du Yemen ,sa vie et son œuvre,2 tomes (Paris 1909) .

Deverdun : Gaston :

Marrakech des Origines a 1912(Rabat 1959) .

Diccionario de Historia de Espana . 2 tomos (Madrid 1952).

Dozy : Reinhart :

- Recherches sur l'histoire et la literature de l'Espagne, 2 tomes (Amesterdam 1965) 3 ed .
- Siupplement aux dictionnaires arabes, 2 tomes (Leiden 1927).
- Noms des Vetements chez les Arabes (Amesterdam 1845).
- Scriptorum arabum loci de Abbadides (Leyde 1863) 3 Vols .

Equilaz y Yanguas : Leopoldo :

Glosario etimologico de las palabras espanolas de origen oriental (Granada 1886).

Encyclopaedia of Islam :

Fernando de la Granja : Fiestas Cristianas en Al Andalus . (Al Andalus XXXIV, fasc. 1969) .

Garcia Gomez : Emilio :

- Cino Poctas Musulmanes (Coleccion Austral n. 513).
- Las Banderas delos Campeones de Ibn Said Al Magrabi (Madrid 1942).
- Elogio del Islam espanol (trad. espanola del arabe As-Saqundi) (Madrid - Granada 1934) .

Gayangos : Pascual de:

The History of the Mohammedan dynasties in Spain . extracted by Ahmad al Maqqari 2 Vols (London 1843) .

Gaspar Remiro : M :

- Historia de Murcia Musulmana .
- Correspondencia diplomática entre Granada y Fes en el siglo XIV. Extratos de la Raihanat al Kuttab de Ibn al Jatib (Granada 1916) .

Gimenez Soler ; Andres

- La Corona de Aragon Y Granada, Boletin de la real academia de buenas letras de Barcelona (1905 - 1908) .
- Expedicion de Jaime II a la ciudad de Almeria & el Sitio de Almeria (1309) B.R.A.B.L.B. 1904 no 14 .

Goldziher : I:

Le livre de Mohammed Ibn Tumart , Mahdi des Almohades (Alger 1903) .

Golvin : L :

Le Magreb central a l'epoque des Zirides (Paris 1957) .

Goitten : S.D.:

The Origen of the vizirate and its true character (Islamic Culture Vol. XVI 1942) .

Guzman Reina :

Politica y Melicia en Al Andalus (Cordoba 1969) .

Guide Blue : Maroc .

Guillen Robles : Malaga Musulmana (Malaga 1957) .

Hopkins : J.F.:

Medieval muslim government in Barbary until the sixth century
of the Hijra (London 1958) .

نقاله إلى العربية أمين توفيق الطيبى (ليبية-تونس سنة ١٩٨٠)

Imamuddin : S.M.:

Some Aspects of the Socio - Economic and Cultural History of
Muslim Spain 711-1492 A.D. (Leiden 1965) .

Huici Miranda : Ambrosio .

- La invasionde los Almorávides y la batalla de Zallaca .
(Hespéris 1953) .
- Historia politica del Imperio Almohade , 2 tomos (Tetuan 1956).
- Historia musulmana de Valencia y sur region, 3 tomos
(Valencia 1970) .

Julien : André CH:

Histoire de l'Afrique du Nord de la conquete arabe a 1830
(Paris 1952) .

Laoust : Henri :

La Califat dansla doctrine de Rashid Rida (Beyruth 1938) .

Latrie : Mas :

Traité de Paix et de commerce et documents divers concernant
les relations des chretiens avec les arabes de l'Afrique
septentrionale au moyen age (Paris 1866) .

Lafuente Alcantara : Miguel :

Historia de Granada, 4 tomos (Granada 1846) .

Lafuente Alcantara : Emilio :

Inscripciones arabes de Garanada (Madrid 1860) .

Lapidus : Ira :

Middle Eastern Cites . (California 1969) .

Leclerc :Lucien :

Histoire de la Medecine arabe , 2 tomes (Paris 1876) .

Leon Africano : Juan (Al Hasan Ibn Mohammad al Wazzan):

Descripcion de Africa y de las cosas notables que en ella Se encuentran (Tetuan 1952) .

Lévi-Provençal : E :

- Histoire de l'espagne Musulmane ,3 tomes (Paris 1950) .
- La politica africana de Abd al Rahman III (Al Andalus , Vol XI fasc. 2, 1945).
- La Peninsule Iberique du Moyen Age d'après le Kitab Ar-Rawd al Mitar d'Ibn alMunim al Himyari (Leiden 1938).
- Le voyage d'Ibn Battuta dans le royaume de Grenade (1350) , Melanges William Marçais, Paris 1950) .
- Un Zagal hispanique sur l'expédition aragonaise de 1309 ,contre Almeria (Al Andalus Vol VI 1941 fasc. 2) .
- Une description de Ceuta musulmane au XV siècle , 9 Hespéris 1931 , tome XII).
- Un Nouveau Texte D'histoir Merenide . Le Musnad D'Ibn Marzoug (Hesperis t.V 1925 1 Trimestre) .
- L'Espagne musulmane au Xème siècle (Paris 1933) .

Lopez de Ayala: Pedro:

Crónica de los Reyes de Castilla , 2 tomo (Madrid 1779) .

Lopez : Luciano :

La batalla de Covadonga e Historia del Sanctuario (Oviedo 1950).

Lopez Ortiz :

Fatwas Granadinas de los siglos XIV, XV , (Al Andalus Vol. VI 1941 fasc. I) .

Luis Garcia Garcia :

Una Embajada de los Reyes Católicos a Egipto (Pedro Martir) (Valladolid 1947) .

Madalena Luz Pomes :

Los aragoneses en la conquista y Saqueos de Alejandria Por Pedro I de Chipre . Estudio de la edad media de la Corona de Aragon, tomo V .

Marcais:G. :

L'Architecture Musulmane d'Occident (Paris 1954) .

Marià Jesus Rubiera Mata :

El medio literario en el Emirato Nazari de Granada durante la primera mitad del siglo XIV(Ibn al Gayyab y su época) (Madrid 1973).

Maria Jesus Vigvera :

El Musnad de Ibn Marzuq (Madrid 1977) .

Marina : P. :

Historia General de Espana Tomo II . (Madrid 1948).

Mayer : L.A.:

Saracenic Arms and Armor (Ars Islámica Vol. X, 1943) .

Mechlor Antunia : Martinez :

- Conquista de Quesada y Alcaudete por Mohammed II de Granada (Religion y Cultura 1932).
- Campanias de los Almohades en Espana (Escorial 1953).
- El poligrafo granadino Ibn al Jatib en la Biblioteca del Escorial (Imprenta del real Monasterio 1926) .

Menéndez Pidal :

Flor nueva de Romances Viejos (Colección Austral no. 100).

Menendez y Pelayo : M.

Orígenes de la Novela (Santander 1943).

Marcais : George :

- Manuel d'Art Musulmane , 2 tomes 9 Paris 1927).
- Les Arabes en Berberie du XI auXIV siècle (Paris 1913) .

Mercier : Ernest:

Histoire de l'Afrique Septentrionale depuis les temps les plus reculés jusqu'a la conquete françaize (1830) 2 tomes (Paris 1888).

Mercier : Louis :

Ornement des Ames et la Devise de Habitants d'El Andalus (Paris 1939) .

Merimee : Prosper:

Histoire de Don Pedro roide Castille (Paris 1865).

Millas Vallecrosa : José Maria.

La poesia sagrada hebraico - espanola (Madrid - Barcelona 1948).

Mogrado :

Historia De Sevilla .

Motylinski :

Chronique d'Ibn Saghir sur les imams rostomides de Tahert ,
actes du XIV Congress des Orientalistes 3 parties 1907.

Muller : Marcus Joseph :

Beitrage zur Gesichte der westlichen araber (Munchen 1866) .

Muir : William :

The Caliphate , its rise , decline and fall . (Edinburgh 1924) .

Neuman : Abraham :

The Jews in Spain in the middle Ages. 2 Vols (Philadelphia
1948) .

Ocania : Manuel Jimenez :

Tablas de conversion de datas islamicas a cristianas y viceversa
(Madrid - Granada 1946).

Palencia : Angel Gonzalez :

- Historia de la Espana musulmana (1945) .
- Historia dela literatura arabijo espanola (Colección Labor III
1945) .

وهذا الكتاب الأخير نقله حسين مؤنس إلى العربية بعنوان تاريخ الفكر الأندلسى
(القاهرة ١٩٥٥) .

Paz y Mella :

Embajada del Emperador de Alemania Otto I al Califa de
Córdoba Abderrahman III. (Madrid 1872) .

Pérez de Hita : Gines :

Guerras Civile de Granada 2 tomos (Madrid 1915) .

Pérès : Henri :

La poesie andalouse en arabe classique aux XI siècle (Paris 1953) .

نُقلَ إِلَى الْعَرَبِيَّةِ الطَّاهِرُ أَحْمَدُ مَكِيٌّ (دَارُ الْمَعْارِفِ ١٩٨٨) .

Pedro Longas :

Vida religiosa de los Moriscos (Madrid 1915) .

Pons Boigues : Francisco :

Ensayo bio - bibliografico sobre los historadores y geografos arabigo - espanoles(Madrid 1898) .

Prieto Vives : Antonio:

- Los Reyes de Taifas (Madrid 1926) .
- Numismática Granadina (Bol. Ac. Hist. 1932) .
- Formación del reino de Granada (Madrid 1927) .

Prescott : William H. :

History of the reign of Ferdinand and Isabella the Catholic (London 1895) .

Ribera : Julian :

- Disertaciones y Opúsculos . Dos tomos (Madrid 1928) .
- La Musica de las Cantigas (Madrid 1932) .

Roque: Chabas :

Historia de la ciudad de Denia (Denia 1874) .

Saavedra : E :

Estudio sobre la invasion de los arabes en Espana .

Seco de Lucena : Louis :

- La Alhambra .
- Sobre el viaje de Ibn Battuta al reino de Granada (Al Andalus Vol. XVI 1951) .

- La Granada Nazari del Siglo XV (Granada 1975) .
- Los Hammudies senoresde Malaga y Algeciras (Granad 1953)
- .- Topónimos Arabes (Universidad de Granada 1974) .

Simonet : Francisco Javier :

- Deseripción del reino de Granada bajola dominación de los Naseritas (Madrid 1860) .
- Glosario de Voces ibericas y latinas usadas entre los mozarabes (Madrid 1888) .

Torres Ballas : L. :

- Aspectos delas Ciulades Hispanomusulmanes, Revista del Instituto Egipcio en Madrid Vol. 2 1954 .
- Atarazanas Nispanomusulmanas (Al Andalus 1940).
- Albaranas (Al Andalus 1942) .
- Barbacanas(Al Andalus 1951).
- Rábitashispanomusulmanas(Al Andalus 1948) .

Teresa Pérez Higuera : Objetos E Imagenes de Al - Andalus (Madrid) .

Terrasse et Basset :

Sanctuaires et forteressesAlmohades, (Hésperis 1932).

Vallvé : Joaquin : El Califato de Córdoba (Madrid 1992).

Vaseliev : A:

History of the Byzantine Empire (Madison 1952) .

Wiet : Gaston :

- Histoire de la nation Egyptienne (Paris 1926) .
- Précis de l'Histoire d'Egypte (Le Caire 1932).

Zurita: Gerónimo :

Los anales de la Corona de Aragon (Zaragoza 1699) .

كتاب عام

-١-

١٩٠ ، ١٨٩	أبابا يا المهدى
١٣٧	ابراهيم بن تاشفين
٢٥٢	ابراهيم بن غانم الأندلسى
٦٧ ، ٢٨	ابن الأبار
١٢٧	الأبالة
١٢٧	آبلة Avila
٢٠٠	أبواب مراكش
٢٢٧	أببيث Albéniz
٥٣	البيرية Iliberia
١٤ ، ١٣	الإيرو Ebro
١٢٠	اتواة الدار (التعبيب)
١٦٤ ، ٤٩	الأتراك
١٣٠	ابن الأثير
٩٧	أحمد أبو زيد
١٨	أحمد شوقى
٢٥٢	أحمد بن قاسم الأندلسى
١٠٩	الأحول (قائد مرابطي)
١٠	بنو الأحرر
١٤٤ ، ١٢١	الشريف الإدريسي
٤١	أنزيجان
٧٥	الأدلاء
٢٣٤ ، ١٢٢ ، ١٤	أراجون Aragon
٢٠١	أراكا Urraca
٢٣١ ، ٢٢٩	أرجونه Arjona

٢١٧، ٢١٦	الأرحاء الهوائية
١٨٠، ١٦٧	الأرك Alarcos
١٥٨	آزليم (بلدة)
١٢٢، ١٤	الأرجوان
٥١	الأردن
٤٩	الأرمن
٤١	أرمينية
٨١	اسامة بن زيد بن الحارث
١٧٨، ١٧٤، ١١١، ١١	أسبانيا
٣٨	الاستنجاج
٣٨	الاستنساخ
٨٥، ٨٤	استيقظ أيها السيف ! Despierta Hierro !
١٦٥	أسد الدين شيركوه
١٦٥	الأسدية
١٧٠	أسفى
١٩٨	الأسل (الرماح)
٢٤٠، ٢٣٣	اسماعيل الأول (ابن الأحمر)
٢٤	اسماعيل بن موسى بن لب بن قسي
١٠٠، ٩٩	أستقلاط وأشكراكاط (رداء خارجي)
١٥٢	أسطوان (سفينة)
١٤٢، ٢٧	الاسكندرية
٢٤٠	أشكر Huescar
٢٥	الأشaron
١٥٥	ابن الاشبيلي
١٤٧، ١٠٧، ٣٨، ١٢	إشبيلية Sevilla
٢٢٨، ١٥٨، ١٨٢، ١٦٣	الأشل (ثائر)
١٨٧	أستورياس Asturias
٥٣	

١٧٨	الأشغال الخراجية أو المخزنية (المالية)
٢٠٣، ١٠٠، ٩٩	أشكراط
١٩٠	أصبح والحمد لله !
١٤١	أطلس
١١	اطلانس
١٤٣	أعزما يطلب (كتاب التوحيد)
١٦٦	الأعراب
٢٣٦	الأغذار
٢٠٤	الأخلف
١٠٩	أغمات
٢١٩	أطريانة Triana
٢٤	أفراغة
١١١	الافرنج
١١٩	الفونسو الأول (المحارب)
١٣٠، ١٠٣، ٩٣، ٨٩	الفونسو السادس
، ١٩٠، ١٧٤، ٦٧	الفونسو الثامن (الصغير Chico)
٢٢٨، ٢٢٧	
٢٥١، ٢٢٨	الفونسو العاشر (العالم El Sabio)
٢٥٠، ٣٢	الفونسو الحادى عشر
٥٩	بنو الأفطس
١٣١	ابن الأفطس (المتوكل)
٢٠١، ١٢٠، ١٠٥	اقليج ، اقليش uclés
٢٠١، ١٨٧	الأقماط السبعة (الأمراء)
٤٦	الأكف
١٤٩	أكدا (البستان)
٤٩	الأكراد
٧٩، ٤٥	اللامة (درع)
٤٦	أمين معروف باشا

١٨	أمية بن عيسى بن شهيد
٣٥	الأمويون
١٤٢	أمغار (الشيخ)
٢٣٩	أمداس
٢٣٠	الملكب Almunecar
٧٢	أولاد محجوب
٨١	أنت أنت ا
، ١٨، ١٧، ١٣، ١١، ٩ ، ٦٥، ٥١، ٤١، ٢٤، ١٩ ١٧٥، ١٦٣، ١١٥، ١١٣	الأندلس
٢٢٨	أنريك (هنري) الأول
١١٤	أوداغشت
٣٠	Huelva
١٦٤	الأوغوز (الترك)
٥٩	أوريه (برير)
١٤٢	ايجليز (جبل)
٦١	ابوأبيوب أحمد الأنطاكي
- ب -	
١٠٥	الباب (البورت)
١١٣	باب أغمات
١٨٣، ١٥٠	باب الشريعة
٢٤٩	باب الطوابين
٢٢٠	باب القطائع
٢١٩	باب الكحل
١٦٩	بنوباريس
١٨٧	الببورج El Biboso
١١٢، ٨٨، ٦٩	يرجلونه (برشلونة)
٢١١	بورجندار

٤٢	البحرين
١٨٣، ١٢٤	البحيرة
١٢٦، ٤٣	بردال ، برديل (بوردو)
١٢٦	البردليات
١٤٢، ١٠٩	بجاية
٢٤٦، ١٤٢، ٢٦	Pechina بجّانة
٢٢٢	برج الذهب Torre de Oro
١٨٩	برج تيطاف
٢٤٩	برج الطباق السبعة Torre de siete Suelos
٢٨	برج يحانس Ohanes
١٨٤، ١٧٩، ١٦٧	البركة (العطاء)
١٣	بروفنكياس Provincias
٢٤٩	البريخانة Barbacana
٢٣١	البرميخر (محمد السادس) Bermejo
٢٣١	بقعة ويقاد Las Vegas
٢٠٦	البيضاء (تيممل)
١٥٣، ١٢٤	البشير (محمد بن محسن)
٦٠	بنيزازان
١٩٦	البرانس المسكية
٥٨	برنس بن بر
٦٢	بنزيغ الحارث
١٧١، ١٠٠	بغداد
١٧٧	برقة
٣٦	بند وبلود
٥٩، ٥٨، ٣٠	Badajoz بطليوس
٢١٨، ١٠٣	
٣٢، ٢٤	ابن بطوطة
٢٤	بلبان التركى

١٤١، ٣٢	بيطى El Betis
٢٩	بيت المقدس
٣٣	ابن بشكوال
١٢٢	بيريث دى هيتا Perez de Hita
١٠٧، ٥٦	بلنيرة Valtierra
٨٥	بلنسية Valencia
٨٦	بدر
٩٩	البوق
١٠٣، ١٠٢، ٩٩	بكلة الذهب (مشبك)
١١٧، ١١٦	أبو بكر بن عمر اللعنونى
١٠٣	برغواطة
١٣٤	البكار (فحص) el Vacar
١٢٢	البكري (أبو عبيد)
٤٥	البلطجى (حامل البلطة)
٥٠	بلج بن بشر القشيرى
٥٠	البلديون
٧٢	بيله (حوض)
٤٢	بيزنطة
٤٥	البيضة (الخوذة)
١٧٤	بيطره بن فراندنس Pedro Fernandez
- ت -	
١٤٥، ١٤٢	تاجرہ
١٧، ١٣	التاجرہ Tajo
١٣٣، ١٢٧، ١٢٤	ناشفين بن على
١٩٠، ١٣٧، ١٣٦	تارجي و تارجیہ
٩٧	تامسکایت (غناء)
٢٣٦، ٨٦، ٧٠	تازاگررت (مدينة)
١٥٨	

١٧٨، ١١٤، ١٤	تانيلالت
٩٣	نامسا
١١١	تأنسيفت
١٧١، ٨٢	التنار أو التتر
٣٧	التجافيف
١١٥	تاجرارت أو تاقرارات
٥١، ٤٠، ٣٧	تدمير (مرسية)
١٣٥	القرائق والترىكة (الخوذة)
٤٢	تركيون
١٢١	Turjillo ترجاله
٤٦	ترس وأتراس
١٢٠، ١١٩	تعبيب المدن
١٦٥	نقى الدين عمر الأيوبي
١٧٧	النكسير (قياس الأرض)
١٧١	تونس
١٨٤، ١٨٣، ١٥١، ٧٠	التمييز (عرض الجيش)
٩٦	التوارجه أو الطوارق
، ١٤١، ١١٨، ٩٧	ابن تومرت
١٨٦، ١٤٢	
٩٩	تنيس
١٠٣	تيلمت
، ١٤٢، ١١٥، ١١٢	تلمسان
، ١٥٧، ١٤٧، ١٤٥	
١٦٣	
٢٠٦، ١٤٢، ١١٨	تيمال أو تيدمال
١٩٣	القرى من قرَّة Guerra
١٨٩	تيلظاف (ادلاء)
٨٥	تلحظ الحياة !

- ث -

١٤	الثغر الأعلا (سرقسطة)
١٤	الثغر الأدنى (طليطلة)
١٤	الثغر الأوسط (مدينة سالم)
٣٣	ثريانتس Cervantes
٢٣٤	الثلاث ورقات
٢٤٠	ثوريتا Zurita (حوليات)

- ج -

٢٥٣	جارثيا جومث
١٤٩	جازية والشريف
٧٢	جامع القرويين
١٦٧	جامكية (مرتب)
٢٢٩	جبال البشرات Alpujarras
١١٥ ، ٩٣	جبال الريف
٢٢٩	جبال شلير Solorius (سييرا نيفادا)
٢٢٨	جبال الشارات Sierra Morena
٢٣٠ ، ١٨٥	جبال طارق (جبل الفتح)
٢٤٧	جبل فاره Gibralfaro
١١٦	جبل غماره
٩٥	جداله
١٥٥	ابن الجد (أبو بكر)
٤٤	الجرخ (فوس كبير)
١٦٦	الجريدة
١٤٢	الجزائر
١٠٩ ، ٦٧ ، ٣٠	الجزر الشرقية (البلبار)
١٠٥ ، ٦١ ، ٣٤	الجزيرة الخضراء Algeciras
٤٢	الجزيرة العربية

١٠٨	جزولة
٦٥	ابن الجذيري
٦٣	جعفر بن علي بن حمدون
٦٨	الجلاجيل
٨٣، ٧٤	جليقية أو غاليسيا
١٦٣، ١٦٢	الجموع (الأجناد)
١٩	جميل بثينة
١٦٢، ١٦١، ٥٢	الجند والأجناد
١٨	جنة الخلد
٢٥	الجيارون
٢٢٨	جيانت Jaen

- ح -

٨٠	حاميم لا ينصررون
٩٣	حاميم بن من الله
١١٠، ١٠٥	ابن الحاج (محمد)
٢٤٦	ابن الحاج البلفيقي (Belfiq)
١٧٦	جبابة الرومية
٨٨، ٨٧	حباسة بن ماكسن
٨٧، ٦١	حبوس بن ماكسن
١٧٩	الحبة (عملة نقدية)
٦٧	حبيب الصقلبي
١٤٥، ١٤١	الحجاز
٤٢	الحجر (اليمامة)
١٨٠	الحدثان
٢٣٠	حدرة Darro
٥٠	الحرّة (موقعة)
٨٩	حريز بن عكاشة
٢٤١	حرب المائة عام

١٧٧	الحزون (المرتفع)
١٧٠	بني حسان (عرب المعقل)
٢١٥	حسان (مسجد)
٧٢	أبو الحسن المريني
١٩	الحسن بن هانئ (أبونواس)
٥٢	الحشد والخشود
١٠٩، ١٠٨، ١٠٧، ٦٦	الحشم
١٤٨	الحصار (أبو بكر)
٢١	حصن آشر Iznajar
١١٦	حصن أمرجو Amergo
١١٦	حصن تاودا أو توده
٢١	حصن التراب Iznatoraf
١٢١	حصن روطه Rueda
٢١	حصن اللوز Iznalloz
١٢١	حصن ترجال Turjillo
٢٩	حصن شفيريه Sanfiro
٢١	حصن الفرج Iznalfaráche
٣٥	حصن وخشمة Osma
٣٨، ٣٧، ٣٦	الحصان ٣٨، ٣٧، ٣٦
٨١	حطين
١١٠	بني عبد الحق أو بني مرين
١٤٧	الحافظ
٨٣	حقل النجمة
١٢٤	حمر الرايات
١١٣	الحمراء ذات الصور
٢٣١، ٢٣٠، ٢٢٧	La Alhambra
٥١	حمسن (أشبيلية)
١٣٥، ١٣٤، ١٢٩	الحلل الموشية

١٢٥	ابن حرق
٧١	الحواريون
٦٦	الحيتان
	- خ -
٢٤٢	خايمي الثاني
٤٧	خباء
١٤٥	خراسان
٦٦، ٦٥	الخرس
١٧٧	خريطة (حقيقة)
٥٧	خشين (من قصاعة)
١٥٨	الخصيان
٥١	أبو الخطار بن صرار الكلبي
١٤٦، ١١٤، ٨٦، ٦١ ، ٢٤١، ٢٢٧، ٢٠٤	ابن الخطيب (لسان الدين)
٢٥٢	
١٨	ابن خفاجة الهاوري
١٨	الخلد
٦٨	الخلاليل
٩٦، ٨٦، ٨٠، ٧٩، ٩ ، ١٣٤، ١١٦، ١٠٦	ابن خلدون (عبد الرحمن)
١٧٦، ١٦٩	الخلط (عرب)
٤١، ٤٠	ابن خلكان
٦٦	الخلفاء الأكابر
٤٢	ال الخليج العربي
١٨	الخليلي (السفير الأندلسي)
٧٦، ٧٤	الخميس (الجيش)
٨٦	خيار (اسم مملوك)
٢٢١	الغيرالدا

- د -

١١٧	دار الحجر
٦١	دار الرخام
٧٤ ، ٦٨	دار الحرب
	Denia
٤٧	الدبابة
٢٠٣ ، ٤٤	الدبوس
٢٢	الدرب
١٧٣	درعه
١٨٠	الدهم المربيع (المركن)
٢٠٤	درع سابقه (واسعة)
٤٦	الدرقة
٢٠٥ ، ١١٧	درن (جبال أطلس)
٧٣	درى الصقابى (ابن عقبة)
١٠٦ ، ٤٦	دوزى
١٤ ، ١٣	Duero
٩٩	دمياط
٦٧	الدريلات العامرية
١٦٥	الدولة الأيوبية
١٩٧ ، ١٧٣	دكالة
١١٥ ، ١١٤	الدينار المرابطي
١٧٨	الدينار السجلماسي
١٨٠	الدينار المؤمنى
١٨١ - ١٨٠	الدينار اليعقوبى

- ذ -

٢٣٩	ذوابات
٥٩	بلوذى اللون
٦٥	الذهب السودانى

٩٦	الذبّة
٩٦	الذبّنة
٩٦	الذبّان (أفواه الذبان)
٩٦	الأفواه الذابلة
١٧٨	الذيب
- ر -	
٣٤	الرازى (محمد بن موسى)
٢٥، ٣٤، ٣٣	الراية
٣٥	رأيّات مصورة
٦٦	راميرو الثاني Ramiro
٣٠	الرابطة La Rabida
٢٤٦	رابطة القبط
٢٤٦	رباط بجانية Pechina
٢٤٧، ٢٤٦، ٢٨	رباط الخشى
٢٤٦، ٢٨	رباط عمروس
٢٤٧	رابطة العقاب
١٧٧	رباط تازا
٢٩	رباط روطه Rota
، ١٨٥، ١١٩، ٣٣	رباط الفتح (مدينة الرباط)
٢١٤، ٢١٣، ٢١٢	
١١٢	الريرتر Reverter
٦٦، ٦٥	ربيع بن تيودولفو
٨٠	ابن الريّب التميمي
، ٨١، ٨٠، ٧٩، ٧٥	الرسول (محمد صلعم)
٢٣١، ١٩٧، ١٣٢، ١٠٦	
١١٩	ابن رشد (الجد)
١٥٦	ابن رشد (الحفيد)
١٧٦	الرشيد بن المأمون المرحدى

٢٢٩	ابن الرميمى
٢١٨ ، ١٩٣ ، ١٧٣	ابن الرنک أو الريق Enriqucz
١٨٩	الرفاصون (عمال البريد)
٦٤ ، ٩٣	الرقاصة السودان
٦٨	رقص الصقالية
٧١	الرفيق القيروانى
١٠١	الرؤوس (قوالب)
١١٤ ، ٩٤	الريسانى
٩٨	ربط ورباط وربطه
١٦٩	رياح (عرب)
١٥٨	ريحان الخصى
، ١٣٦ ، ١١٣ ، ١١٢ ، ٨٨	الروم
٢٠٢ ، ١٧٤ ، ١٧٢	
٩٩	ريدا فرانس (ملك فرنسا)
	- ز -
٨٧ ، ٦١	زاوى بن زيرى
١٣١	زایدہ المسلمة
٢٤٧	زاوية بنی المحروق
١٨٧	الزاب
٤٥	الزرد (درع)
٩٩	الزردية
١٠٠	الزراجمة
٢٦	زرادشت Zoroastze
٢٧	زعفران
١٦٩	زغبة (عرب)
٢١٩	الزلاليق (المزلاج)
٢٥٢	ابن زمرك (شاعر الحمراء)
٢٢٧	ابن زمرك

١٢٥، ١٠٨، ٦٠، ٥٨	زنادة
٢٣٨، ٢٣٥	
٩٩	زهرة الزنبق <i>Fleur de Lis</i>
٥٨	زاغة
١١١، ١٠٣	الزلقة
٤٧	الزيارة (قادمة سهام)
١٤٩	أبو زيد الهمالى
١٦٤	ابن الزيارات التادلى
٦١	بنوزيرى
٩٥	الدولة الزيرية
- س -	
١٤	سالم (مدينة)
٥٩، ١٤	سالم بن ورعمال المصمودى
١٣١، ١١٠	سانشو (ابن الفونسو السادس)
٤٨	سانشو أباركا
٤٨	سانشويلو
٧٧، ٧٠	سانشوغرسيه
٤٨	السابرية (درع)
٧٢	ساحة الحشد
٨٤	سانتياجو الحاج
٨٤	سانتياجو المحارب
١٤٤	السادة (الأمراء الأشراف)
٢٠٨	الساباط
١١٨، ١٠٩، ٥٠، ٤٣	Ceuta سبتة
٢٢٩، ١٦٤	
٧٢، ٥٠	سيرو (نهر)
٤٣	الستارة

٢٤١، ٢٣٩	سِجْلَمَاسَهُ (قَافِيلَاتُ)
٢٤	السَّرَادِيبُ أَوِ الْفَجُوجُ أَوِ الْحَفَرُ
٤٤	بَلْوَسِعِيدُ (مَنَاجِمُ)
٦٧	سَرْدَانِيَا
٨٣، ٨٠، ٤٣، ٢٣ ٢٥٢، ١٢٦	ابْنُ سَعِيدِ الْمَغْرِبِيِّ أَوِ الْغَرْنَاطِيِّ
٢٤١	الْسَّعَدِيُّونَ
١٧٠	بَلْوَسِفِيَانُ (عَرَبُ)
١٨	سَقْرُ
٣١	السَّمَارُ
٢٠٠، ١٩٩، ٤٧	السَّلَامُ أَوِ السَّلَالِيمُ
١٦٤	السَّلَاجِقَهُ
١٦٦	بَلْوَسِلِيمُ
٨٧، ٧١، ٧٠	سَلِيمَانُ الْمُسْتَعِينُ
٢١٠، ١٦٩، ١٥٥	سَلا
٢١٣	
٩٩	السَّلَهَامُ الْمَغْرِبِيُّ
١٧٨	سَلْفَالُ
٤٨	السَّوَاعِدُ
٦٥، ٦٢، ٦١، ٤٩	السُّودَانُ
١١١، ٩٦، ٩٤	
١٧٠، ١٤١، ١٢٧	السَّوْسُ
٢٠٥، ١٧٣	
٨٣، ٧٦	السَّيِّدُ الْمَسِيحُ
١٤	سُورِيَا
٤٨	السَّيْقَانُ
٢٤٧	سَهِيلُ (نَجَمٌ) Fuengirola

سيد رأى بن وزير
سيد بن أبي بكر
سيلان

- ش -

٢٠٥	الشام
١٣٢	شانجه
٤٢	الشاوية
١٤١، ٥١، ٤١	الشاشية (طاقية)
٤٨	الشاطبى (أبو اسحاق ابراهيم)
٩٣	Sabalo
٩٨	شاتوريان
٢٤٥، ١٢٠	شاتية وشته
٢١٤	شجرة الخروب
٢٢٧	الشرب (نسيج رقيق)
٦٨	Jerez
١٦٧، ١٥١	شنجيط ، شنقيط ، الشانجطه
١٠١	Sidonia
١٤٦	Segura
١٧٠، ١٠٢، ٩٤	Segre
٧١، ٥٣	شلتميريه (السهله)
٢٠٢، ٢٢	Santaver
٢٤	شنتبريه
٥٩	Santaren
٦٠	شهرزور
١٩٢	ابن شهيد
١٧١	شيفريو
١٨	Sanfiro
٢٢٩	شلوبين
٢٣٠	Salobrenia
٣٠	Silves
٤٨	شجول

٢٠٨	Santa Eululia	شنتولينيه
٢٣٠ ، ١٥	Jenil	شنيل
٢٣٧	Romance Fronterizo	شعر الحدود
١٤٤		الشيخ (القائد)
		- ص -
١٧٨	Ministro de Hacienda	صاحب الأشغال الخاجية
٦٩		صاحب العرض
٦٧		صاعد اللغوى
١٢٧ ، ٩٣		صالح بن طريف البرغواطى
١٠٥ ، ٩٦		ابن الصحراوية
١٣٠ ، ٩٤		الصحراريون
٢٢		الصخرة (جبل طارق)
٢٢٩ ، ٢٢	Peniascales	الصخور والصخيرات
٢٢		صخرة حبيب
٢٢		صخرة قيس
٦٨ ، ٦٧ ، ٦٦ ، ٦٥ ، ٤٩		الصقالبة
٦٢ ، ٥١		صقر قريش
١٦٥		الصلاحية (مماليك ملاح الدين)
١٠١		صنهاجة الشمال
١٣٦ ، ١٢٩ ، ١٠١ ، ٩٤		صنهاجة الثام
٦٨ ، ٥٤		الصوائف والصائفة
		الأميرة صورة (أخت السلطان على بن يوسف
١٠٦		(المرابطي)
١٥٠		صلاة الاستسقاء
١٥٠		صلوة العيددين
١٣٤ ، ١٣٣		ابن الصيرفى الغرناطى
٤٢		صينيون

- هـ -

٨٨	صرية أبي زوليت
٨٨	صرية بهلول بن تمايت
٨٨	صرية حبابة بن ماكسن
١٢٠، ١١٩	صرية التعبيب (أقاوة الدار)
	- ط -
١٣١	الطابور الخامس
٢٠٩	الطابية (كونكريت)
١٠١، ٩٨	الطاقية
١١٩، ١١٨	الطالع (المحرس ، الناظر)
١٧	طارق بن زياد
١٦٠	الطاالة
٣٦	الطالبون
١٦٤	طلب جناوة
١٩٨	طلب أجومى
١٩٩	الطلب المربيع
٢٤٩	الطلبة (دائرة خشبية)
٨٦	الطبول اللاطونية (النحاسية)
٤٤	الطبر والطبرزين (الفأس)
٢٤، ١٥	Tortosa طرطوشة
، ٧٩، ٧٨، ٧٧، ٥٦	الطرطوشى (أبو بكر)
١١٣، ٨٥، ٨٠	
٢٤	Tarragona طركونه
٢٠٠، ١٩٦	طراطير حماء
٤٥	الطشان (خوذه)
، ٤٢، ١٧، ١٥، ١٤	Toledo طليطله
١٢٠، ١١٠، ٩٣، ٨٩	
١٣٢، ١٢٠، ١٥	Talavera طلبريه

٤٨	طلحة الصقلبي
٥٠	الطاولع
١٦٩، ١٠٩	طنجه
٦٢	الطنجيون
٨٧	الطنبور
١٩٤	الطارقه والطوارق (ترس)
٩٦	الطوارق أو التواركه
	- ظ -
١٤٣	الظاهرية
	- ع -
١٠٥، ٩٦	ابن عائشة
٦٩	عارض الجيش
٤٨	أبو العباس البغدادى
٥٠، ٣٤	عبد الملك بن مروان
٥٠	عبد الله بن الزبير
٥١	عبد الملك بن قطن
٢٠٧، ١١٦، ٦٢، ٥٥	عبد الله بن زيرى
٤٨	أبو العباس البغدادى
٦٠	عباس بن ناصح
٤٨	عبده (زوجة المنصور بن أبي عامر)
٦٢، ٦٠	عبد الرحمن الداخل
٦٣	عبد الله بن محمد الأموي
٦٥، ٥٦	عبد الملك المظفر بن المنصور
١٠٣	عبد الله مول الغارة
١٠٣، ١٠٢، ١٠١	عبد الله بن ياسين
١٠٨	البن عبدون
٩٥، ٧١	أبو عبيد البكري
٩	عبد الرحمن بن خلدون

		عبد الرحمن الناصر
٤٠، ٣٥، ٢٧، ١٤		
٦٦، ٥٤		
٢٤		عبد الملك بن ادريس المعروف بالجزيري الخولاني
٢٠١		عبد الله بن زيدون
٥٠		عبد الله بن الزبير
٢٣٧		عبد الله بن الزبير (طبيب)
٢٥١		عتيق بن مول التجيبي (فارس)
٨٥		عتبة بن ربيعة
١٨٧		عثمان بن عبد المؤمن الموحدى
٥٧		العدوان
٤١		عدوية
٢٤٢		العذرة (البراز والبول)
٧٢، ٧١، ٧٠		العجلات Carretas
٢٤١، ١٦٩		العرائش
٤٧		العرادة (منجنيق صغير)
٢٣٧		العرفاء (المهندسون)
٦٥، ٦٢		عرافة السود
١١٠، ٦٣		العيبد السود
٥٨		عبد المخزن
١٥٨		عبد أزليم
١٥٨		عنبر الخصى
٧٢		عدوة الأندلس بفاس
١٠٩، ٥٨، ٥٠، ١٢		العرب
، ١١٢، ١١١، ١١٠		
١٨٥، ١٦٨		
١١٠		العرب الهملايين
٣٧		عرب بن سعد
١٤١		العراق

٣٧	العذرى الدلائى
١٩٢	ابن عزنون (أبو العلاء)
٢٠٣	عزيز بن حطاب
١٥٣، ١٥١	العشرة (أهل الجماعة)
١٩٢، ١٦	ابن العسال (ابن عزنون)
٩٣	عصر الطوائف أو الفرق
٢١٧، ٢٠١، ١٤٨، ١٠٥	ابن عطيه (أبو جعفر)
٣٤	عبد العزيز بن موسى بن نصير
٢٢٧، ١٥٨	العقاب (موقعه)
٨٧	عقد البقر
١٩٦	العلام الأبيض
٣٤	العلم
١١١، ٧٩، ٧٨	العلاج والعلوج
٣٥	علم العقاب المchorة
٧٣	عقد الرايات في الرماح والقنوات
٨٥	على بن أبي طالب
١١٢	على بن ميمون
١٠٦، ١٠٥، ٩٧	على بن يوسف بن ناشفين
، ١٢١، ١١٨، ١١٢	
١٩٥، ١٣٧، ١٢٣	
٢٣١	عقيل بن نصر (الأحمر)
٤٢	عمان
٩٨	العمائم ذات الذوابات
٩٩	عمائم مقصورة (مبيبة)
١٠٠	عمائم من السوسي
١٠١	عمائم شرب مذهبة
١٠٢	أبو عمران الغفجومي
١٩	عمر بن أبي ربيعة

١٧١	عمر المقدم
٢١٧	عمر بن الخطاب
٦٣	عمر بن حفصون
٢٠١	عمر بن تورزجين
١٥١	عمر بن عبد المؤمن (أبو حفص)
١٠٤	عمر بن يقان
١٠٥	على بن يحيى المسوفي
١٤٧	على بن ميمون (أمير البحر)
١٠٩	على حسن المسيلي
١٧٩، ١٦٣، ١٦٢	العموم (قبائل الموحدين)
١٨	عنتره بن شداد العبسى
١٨	أبو عنان فارس
١٩٨، ١٢٤	العوالى (الرماح الطويلة)
١٨٤	أبو العلاء اديس
٢٣٥	عيسى وأعياص (ذوى الأصل الكريم)
٨١	عين جالوت
٢١٩	عياض بن موسى السبئي (القاضى)
١٥٥	ابن عيسى الأنصارى (محمد)
٩٤	عيون الخيل (شنجيط)
٢١١	عين غبله
- غ -	
٤٢	ابن غالب الأندلسى
٤٥	غالب بن عبد الرحمن
٢٥٠	غالب الحضرمى (ابن الأشقر)
٨٣، ٧٤	غاليسيا Galicia
١٦٠، ١١٥، ٩٤	غانا
، ١١٢، ١٠٥، ٩٦	غانية ، ابن غانية
١٧١، ١٦٦، ١٤٧	

، ٤٢، ٢٠، ١٥، ١٢	غرناطة
، ٢٢٩، ١٠٧، ٦٢، ٥١	
٢٣٤	
٢٤٨	غرناطة (الرمانة)
١٦٦، ١٦٥، ١٦٤، ١١٢	الغز والأغزار (الترك الرماة)
١٦٠، ١٥٩	الغازي والغزاة (المجاهدون)
١٦٠	شيخ الغزاة المغاربة
١٠٠، ٩٩، ٩٨	الغفارة
١٠٠، ٩٩	الغفافير القرمزية
١٩٦	الغفائر الزبيبية
١٠٠	الغفائر السوداء
٢٠٤	غفائر الصوف
١١٥، ١٠٣، ٩٣، ٥٩	غمد (قراب ، جفن ، جراب) السيف Scabbard
٧٠	غمارة
٢٣٧، ٨٧	الغوازى
١٦٠، ١١٥	الغيطات Gaitas
	خينيا
	- ف -
١٠٥، ١٠٤	فانو بنت عمر بن بنتان (فارسة مراكبية)
٢٠٠	فازاز (جبال)
٢٠٠	الفازازية (خيول)
، ١٤٦، ١٠٩، ٧٢، ٤٤	فاس
٢٥١، ١٧٠	
١١٦	فاس البالى
٦٧	فاتن الصقلبى
١٠٥، ٩٦	ابن فاطمة
٦٣	الفاطميون
٢٣٣	الفاقرة (الداهية)

١٩	الفايكنج (النورمان)
١٦٥	أبو الفداء
٥٧	فرضة المحاز (رأس جسر)
٢٥٣	الفردوس
٢٢٣	ابن فرج (أبو جعفر)
٧١	ابن فرمى
١٣٤	فحص البكار
٧٢	فحص السرادق
٢٤ ، ٢٣	الفجوج (السراديب والحفر)
٧٣	ابن فجير الشاعر
١٨٧	فرناندو الثاني (البيوج)
٢٢٨ ، ٢٢٣ ، ١٧٤	فرناندو الثالث (القديس)
١٧٦ ، ١٧٣	بلوفرخان (ايفرخان) Farfanes
- ق -	
٢٧	قابطة بني الأسود
٢٤٦ ، ٢٧	Cabode Gata
٢٢٨ ، ٢٩ ، ١٥	قادس Cadiz
٩٦	القادرى (محمد)
١٢١	Caceres
١٧١	ابن القالون المزوار
٢٣٨ ، ١٩٧ ، ١٧٥	القبة الحمراء
٥٩	القبلة (الجنوب)
٧٦	Santiago
٢٤٢	القرآن الكريم
١٦٦ ، ١٦٥	قرافقوش التقوى
١٦٥	قرافقوش الأسدى
٢٠٤	قربيوس وقرابيس

، ٣٧، ١٩، ١٧، ١٥	قرطبة
، ١٤١، ١٠٧، ٦٥	
٢٢٨، ١٤٧	
٥٩	Carmona قرمونه
٣٤	قريش
١٦	فشتالة الجديدة
٢٣٤، ١٠٣، ١٤	فشتالة القديمة
٢٠	القصبة
٢١٠	قصبة المهدية
٢١٠	قصبة الوداية
٢١	القصر
٧٤، ٢١	قصر أبي دانس Alcazar do Sal
١١٧	قصر الحجر
٧٢	قصر كنامه
٢١	قصر شيل
٢١	القصر الكبير
٢١	القصر الصغير
١٨٥	قصر مصموده
٢٢٢	قصور السادة
٢٢٢	قصر نجد
٢٣٨	قصر الحمراء
١٥١، ١٥٠	القصر العتيق (دار الحجر)
١٣٠	ابن القصيرة (أبو بكر)
١٢٢، ١٤	قطالونيا
٨١	قطن
١٣٢	ابن القطن
٢٠	القلاع
٢٠	القلعة

٢٠	قلعة التراب
٨٩ ، ٢٠	قلعة رياح Calatrava
٨٧ ، ٢٠	قلعة النسور Calataniazor
٢٠	قلعة عبد السلام Alcala Henares
٢٠	قلعة يحصب
٢٠	قلعة جابر
١١٦	قلعة فاس البالى
١١٨	قلعة تيدمال
٢٠ ، ١٥	قلعة أبوب Calatayud
٢٣٥	قمارش Comares
١٠٦	الأميرة قمر (زوجة على بن يوسف)
١٠٥	القمييطور Capeador
٦٠	قناالش Canales
٢٢	القنطرة
٩٨ ، ٤٥	القدسوة
٥٧	قلب Mons Calpe (جبل طارق)
٢٣	القراجه
٥٨ ، ١٢	القوط
٥٧	القوفاز
٤٤	قوس الرجل (الأفرنجية)
٤٤	قوس اليد (العربية)
١٨٨ ، ١٥	كونقه Cuenca
٦٥	قومس (كونت)
٨٧ ، ٣٢	القيثاره Guitarra
١٦٨ ، ١٤٤	قيس عيلان
١٤٤	القيسى
١٧٩	القيراط (عملة نقدية)

- ك -

٦٤	كافور الأسود
١٥٨	كافور الخصى
٤١	كابل
٤٧	الكبش
٧٣، ٣٤	كتاب الرايات
٨٨	كتاب مفاخر البربر
٥٨	كتامه
٢٠٨	الكتيبة (مسجد)
٧٦	كتائب
١١١	كدية العبيد
١٢٩، ١٢١، ١١٠	ابن الكردبوس
٢٢٣	الكرس Alcaraz
٢٤١	كريسي Crecy (موقع)
١١١، ٧٦	الكر والفر واللى
١١٣، ٥٦	الكراع (الماشية)
٤١	كرمان
٩٩	كزاغند (معطف)
٣٠	كريستوفر كولمبس
٥٧	الكلتية أو السلتية Celtos
١٠٠	الكلوته (الطاقية) Calotte
٥٠	كلثوم بن عياض القشيري
١٠٦	كوديرا (فرانسيسكو) Codera
٥٢	الكور المجلدة
١٣	الكوره
٨٣	كومبوستيلا
١٤٤	كومية
١٥٧	الكومى (عبد المؤمن)

١٥٥	الكومى (عبد السلام)
١١٠	كنشره Cansuegra
- ل -	
٧٩، ٤٥	لامة (درع)
١٧٤	لارا Lara (عائلة إسبانية)
٢٤، ١٥	لاردة Lérida
٨٦	لاطون (نحاسى) Laton
٤٤	اللتوت
٧٥	مسلمون يتكلمن اللاتينية Ladinos
١١٤، ٩٦، ٩٥	اللثام والمثلثون
٦٨	اللحن الصقابى
١٨٨، ١٤٣	اللسان العربى
١٨٨، ١٤٣	اللسان الغربى (البربرى)
٩٦	لسان العرب لابن منظور
٥٦	لقنت Alicante
٣٤	اللواء
٣٥	لواء الشطرنج
٩٩	لويس الناسع
٣٣	لوسى دى فيجا
١٠٨، ٤٦، ٤٠	لمطة واللمط
١٣٧، ١٠٤، ٩٦، ٩٥	لمتونة
١٠٣، ١٤	ليون
٧١	ليبيبا
٧٠، ٢٧	ليفى بروفنسال
لسان الدين ابن الخطيب (راجع ابن الخطيب)	
- م -	
٢٧	ماريا أو ميرية
١٧٣	مازيفان (الجديدة)

، ٥١، ٢٩، ٢٠، ١٢	Málaga مالقة
، ١١٩، ٦١، ٥٧	
٢٣٠، ٢٢٢	
١٧٢	ماسه (نهر)
١٧٢	الماسي (عبد الله الهاشمي)
٢٢٢، ١٧٥، ١٧٤	المأمون بن المنصور المورخى
١٣١	المأمون بن المعتمد بن عباد
١٠٥	مارتوريل
٩٤	ماء العينين الشريف الشذجيطي الاذرسي
٤٤	متاحف كلوني Cluny (باريس)
٢٥٠	المثله (عقرية)
١٠٨	المتحشمات
٧٤	المتنبى
٦٠، ٢٠، ١٥، ١٤	جريط ، مدريد
٦٧	مجاهد العامري
٤٦	المجن
٢٦	المجوس (النورمانديون)
٢٣٢، ٢٢٩	محمد الأول بن الأحمر (الشيخ)
٢٣٢	محمد الثاني (الفقيه)
٢٣٢	محمد الثالث بن نصر (أبو سعيد)
٢٣٣	محمد الرابع بن اسماعيل
٢٥٢، ٢٣٦	محمد الخامس (الغنى بالله)
٢٣١	محمد السادس (البرميخو)
٨٨، ٨٧	محمد المهدي بالله
١٦٣	محمد بن ابراهيم الانصارى
٧٣، ٥٣	محمد الأول الأموى
٤٠	محمد بن خزر الزنانى
٣٥	محمد عبد الوهاب الغساني

١٠٤	محمد بن تومرت
٣٠	محمد الشنوجالى
٧٣	محمد بن موسى الرازى
٢٥٢	محمد بن سماك العاملى
١١٨	المحرس
٢٩	محى الدين بن عربي
٨١	المختار الثقفى
١٦٣	أبو مدين شعيب الأنصارى
٥٠ ، ١٣	المدينة
٣٨	المدائن (جزر)
٢٢٠	Almodovar المدور
١٥	مدينة الفرج
٢٠ ، ١٤	مديريـد
٥٢	المدى والمد
٧٢	مدرسة مصباح
٧٢	مدرسة الرخام
٢٣٠	Marbella مريلـة
٢٣٤ ، ١٧١ ، ١١٠	بلومـين (عبد الحق)
١٧١	المرتضى الموحدى
١٨٩	Majorracal مرج الرقاد
٢٢٨ ، ١٠٧ ، ٥٠ ، ٢٩	Murcie مرسـيه
٢٤٢ ، ٢٦ ، ٢٠	Almeria المرية
٢٦	مرية بـانـه
٢٧	ميرـوط
٣٠	مرـنـقـة
، ١١٧ ، ١١٦ ، ١٠٣	مراـكـش
١٣٧ ، ١١٨	مـروـكـش
٢٠٩ ، ٢٠٧ ، ١١٦	مـروـكـش

٦٤	المرقعه
٧٢	مرسى العرائش
١٧٧	المرحلة
١٤٧	ابن مردنش (محمد بن سعد)
١٥٠	ابن مردنش (هلال بن محمد) أبو القمر
١٥٠	ابنة مردنش (صفية ، الزرقاء)
٤٤	المزاريق
٣٤	مسجد الرايات
٢٢٩	المستنصر بالله العباسى
٨٧ ، ٧١ ، ٧٠	المستعين (سلیمان)
٩٧	Mascara
٢٣٥	مسخرة الغزاة
١٣٧ ، ٩٥	مسوفة
٤٢	المشرفية
٧٠	المشاقه (مشعل)
٣٩ ، ٣٨	المصاره
٧٨	ابن المصحفى
، ١٤١ ، ٥١ ، ١٥	مصر
١٦٦ ، ١٦٥	
١٤١ ، ١١٣ ، ١٠٨ ، ٥٨	مصموده
١٩٧	مصحف عثمان
١٩٧	مصحف المهدى
٦٥ ، ٥٦	المظفر بن المنصور (عبد الله)
١٤٣	المعزلة
، ١٣٢ ، ١٣١ ، ١٣٠	المعتمد بن عباد
٢٢٠ ، ١٣٣	
١٠٠	المعتصم بن صمادح
٤٦	معجم الحيوان

٤٢	معدن (منجم)
١٨٢	المعمرة
٢٣٥	المعلجيين
، ٤٩، ٤٦، ٢٦، ٢٠	المغرب
٢٣٤، ١٦٦، ١٦٥، ٩٧	
١٠٨	مغراوة
٥٤	المقرى
٢٠٨	المقصورة
٥٠	مكة
١٧٧، ٥٩	مكناسه
٥٩	بنو الملاخ
١٦٥	ملاذكرد
١٤٢	ملاله
٣٤	عبد الملك بن مروان
٢٥	مليله
٢٠٢	الملك اللب (السبع)
٢٤٤، ٢٤٣	الملك العايد
٢٤٨	الملكان الكاثوليكيان Los Reyes Catolicos
٢٣٥، ٦٦، ٤٨	المماليك
٢١٥	مدارة الاسكندرية
١٥٢	ملتنيقسى (باب الدار)
١٢٥	المنجل
٢٠٨	المنبر
٤٠	مدينة الناعورة
٢٣٤، ١٤٤، ١٤٣	الموحدون
١٧٠	موريطانيا
٢٢٨	المورادال Moradal (معبر جبلى)

٢٨	مونجو (جبل قاعرن)
٣٠	موجيق Monchique
٣٦	موسى بن أبي العافية
١٧٣	موسى بن عبد الصمد
٤٤	مناجم بني سعيد
١٤٨	موطأ المهدى بن تومرت
١٤٣	المهدوية والعصمة
٩٨	المهاميز التشفينية
٤٠	المهرية (مهرة نجد)
٢٥	المهندسون
٤٢	المهند
٢١٢، ١٨٢	المهدية
٢٤٠	ميركور (الزئبق)
١٥٨	ميمون الكبير (عبد أسود)
١١٢	ابن ميمون

- ن -

٢٢٧، ١٥٨	الناصر محمد الموردي
٤٥	الدار الأغريقية
٦٥	ناريونه
٥٢	الناض (المال)
٥٣، ٥٢	ناض الطلب
٥٣، ٥٢	ناض البیزرة
١٣٨	الناظور
٣٢	نافوس الرباط
٦٦	نجة الصقلبي
٩٦	نشر المثانى
١٧٢، ١١١	النصارى
٧٢، ٣٢	الفير العام

٩٧، ٩٥	النقاب
٨٩	النمر بن تولب
٨٢	نور الدين عمر بن رسول
١٩	الدورمانديون (الفايكنج)
٩٤	نواكشوط
١٧٧، ١٢٥	نول (السوسى)
٢٤٣	التوبرى (أحمد شهاب الدين)
٢٤٣	التوبرى (محمد بن قاسم)
٧٥	نهر دويره Duero
٥٠	نهر سبو
٩٤	نهر الديجر
٤٥	نيل النفط (قوارير)
- - -	
١٩	ابن هانى (الحسن)
١٤١	هرغة
٢٥٢، ٧٤، ٤٤	ابن هذيل
١٥٣	الهزرجى (ابن يسلاى)
١١	هسبريا
١١	هسبانيا
١٤١	هرغة
٦٧	هشام المؤيد
٨٢	هشام يا منصورا
١٥٣	الهنتانى (عمر بن يحيى)
١٤٥	هلين (عنابه)
١٦٦	بنوهلال
، ١٤٧، ١٢٤، ١٢٣	ابن همشك (ابراهيم)
٢٠٢، ١٩٤	
٤١، ٢٤	الهد الاسلامية

٢٣٩	هندام النفط (آل)
٢٢٨، ٢٢١	ابن هود (محمد بن يوسف)
١٢١	ابن هود (المستعين)
٢٠٢، ١٢١	بنوهود الجذاميون
٦٥	الهبيج (ثورة الريض)
٨٢	هي هي !!
- و -	
٨٢	واislamaه !
٢٣٥، ٢٣١	وادي آش Guadix
٨٨	وادي آلرو Guadiaro
١١١	وادي تانسيفت
٦٠، ٢١، ٢٠	وادي الحجارة Guadalajara
١٠٣	وادي أبي الرفراق (بورجرج)
٣٧	وادي البرير Guadalbarbo
٦٠	وادي التاجو Tajo
١٤	وادي الرملة Guadarrama
٨٨	وادي السقائين
١٨٢	وادي سبو
١٠٣	وادي كريفله
٧٢، ٣٧، ١٧، ١٣	الوادي الكبير
١٢٥	وادي نون
١١٦	وادي ورغه
١٥٧، ١٥٦	واسدار (أبو محمد)
١٧١	بني عبد الواد
٢٢٧	واشنطون ايرفنج
١٣١	عبد الواحد المراكشي
١٢٤	ابن وانودين (محمد)
١٩٢، ١٨٨	ويذه Huete

٣٥	وَخَشْمَهُ Osma
٢١١ ، ١٧٠	الْوَدَائِيَهُ (مِنْ عَرَبِ الْمَعْقُلِ)
١١٦	وَذَانُ
٢٠٥ ، ١٨٨ ، ١٨٧	ابن وزير سيد رأى (أبو محمد)
٢٠٥	ابن وزير (أبو الحسن)
٤٥	الرصف (مقلاع)
١١	واندلوس ، الوندال
١٣٧	وَهْرَانُ Oran
- ٤ -	
٨٢	يَا لِلْإِسْلَامِ !
٨٢	يَا مُحَمَّدَ !
٨٢	يَا سَنْتِيَاجُو !
٨١	يَا مَنْصُورَ أَمْتَ !
٨٢	يَا مَنْصُورَ !
١٠٣ - ١٠١	ابن ياسين الجزوئي (عبد الله)
٢٨	الْيَحَانِسِيُّ (عَبْدُ الْمَلِكِ)
٨٦	يَحْيَى التَّجِيَّبِيُّ
٦٨	يَحْيَى الْفَزَالُ
٨٩	يَحْيَى الْمَأْمُونُ بْنُ ذِي الْنُونِ
١٠١	يَحْيَى ابْرَاهِيمَ الْجَدَالِيُّ
١٦٦	يَحْيَى بْنُ غَانِيَهُ
١٧٥ ، ١٧٤	يَحْيَى بْنُ الدَّاصِرِ
٦١	أَيُوَيْدَسُ بْنُ دُونَاسُ
٥٠	يَزِيدُ بْنُ مَعَاوِيَةَ
١٨٦	ابن يسلالى الهررجي (اسماعيل)
٢٥١	يَعْقُوبُ بْنُ عَبْدِ الْحَقِّ الْمَرِينِيُّ

، ١١٢، ٧٣، ١٧	يعقوب المنصور
، ١٧٤، ١٦٩، ١٥٨	
١٩١، ١٨١	
٦١، ٥٩	بنو يفرن
٢٣٦، ٢٣٥	بنو يفلوسن
٤٢	اليمامة
٤٢	اليمنية
١٠٤	يلتان بن عمر
٤٥٠	يوسف الأول بن الأحمر (أبو الحجاج)
٦٩	يوسف بن يعقوب (النبي)
، ١٠٢، ١٠٠، ٩٩، ٤٠	يوسف بن تاشفين
، ١١١، ١٠٥، ١٠٣	
، ١٢٦، ١٢١، ١١٦	
١٣٣، ١٣١، ١٢٨	
١٢٦	يونان (النبي يونس)
٢١٧، ٢١٦، ٢٠٨	الحاج يعيش المالقى (المهندس)

نهرس بموضوعات الكتاب

- أداء .

٥

- تقديم .

٩

الفصل الأول

صور من حياة العرب والجهاد في الأندلس من الفتح الإسلامي حتى سقوط الخلافة الأموية ونهاية عصر الطوائف (١٠٨٦/٧١١ هـ / ١٤٧٩ م)

١١	أولاً : التقسيم الإداري والعسكري للأندلس .
١٩	ثانياً : التحصينات الداخلية والساحلية .
٣٣	ثالثاً : الأسلحة الحربية .
٤٩	رابعاً : عناصر الجيش الأندلسي .
٦٨	خامساً : اعداد الحملات العسكرية .
٧١	سادساً : الخروج إلى المعركة .
٧٥	سابعاً : طرق الاشتباك في الحرب .

الفصل الثاني

صور من حياة العرب والجهاد بالأندلس في عصر المرابطين

٩٣	أولاً : التعريف بالمرابطين .
١٠١	ثانياً : قيام دولة المرابطين في المغرب والأندلس .
١٠٤	ثالثاً : عناصر الجيش المرابطي .
١١٥	خامساً : التحصينات العسكرية .

- ١٢٢ سادساً : أسلحة المرابطين وطريقة قتالهم .
 ١٣٠ سابعاً : العيون والجواسيس وخدع الحرب .
الفصل الثالث

صور من حياة الحرب والجهاد بالأندلس في عصر الموحدين
(١٤١-٦٦٨ هـ / م ١١٤٧-٥٤١)

- ١٤١ أولاً : قيام دولة الموحدين وأهدافها التوسيعة .
 ١٤٧ ثانياً : التربية العسكرية والثقافية لشباب الموحدين .
 ١٥١ ثالثاً : عناصر الجيش الموحدى .
 ١٧٦ رابعاً : موارد الدولة والرواتب والبركات التي توزع على أفراد الجيش .
 ١٨١ خامساً : التعبئة العامة والخروج إلى ميادين القتال .
 ١٩٣ سادساً : أسلحة الموحدين وطريقة قتالهم .
 ٢٠٥ سابعاً : القواعد والروابط والخصوص في عهد الموحدين .

الفصل الرابع

صور من حياة الحرب والجهاد بالأندلس في عصر بني نصر
أوبن الأحمر

(٦٣٥-٨٩٧ هـ / م ١٢٣٨-١٤٩٢)

- ٢٢٥ أولاً : وصف مملكة غرناطة .
 ٢٣٥ ثانياً : عناصر الجيش الغرناطي .
 ٢٣٧ ثالثاً : أسلحة الجيش الغرناطي .
 ٢٤١ رابعاً : فنون الحرب والقتال في مملكة غرناطة .
 ٢٤٤ خامساً : التحصينات الدفاعية .
 ٢٤٩ سادساً : عرض الجيش وتدربيه .
 ٢٥٣ سابعاً : كلمة ختامية .

ملحق:

١- بعض الأسماء الأسبانية التي لها أصول عربية ولها صلة

٢٥٤ . بال موضوع .

٢- ثبت بأسماء المصادر والمراجع على النحو التالي :

٢٥٧ أولاً : المصادر العربية القديمة .

٢٧٦ ثانياً : المراجع العربية الحديثة .

٢٩١ ثالثاً : المراجع الأوربية .

٣- فهرس عام بأسماء الأشخاص والقبائل والأماكن والألفاظ التي لها دلالات خاصة . ٣٠٥

٤- فهرس بموضوعات الكتاب . ٣٤٣

٥- خريطة توضيحية لكل من الأندلس والمغرب . ٣٤٦

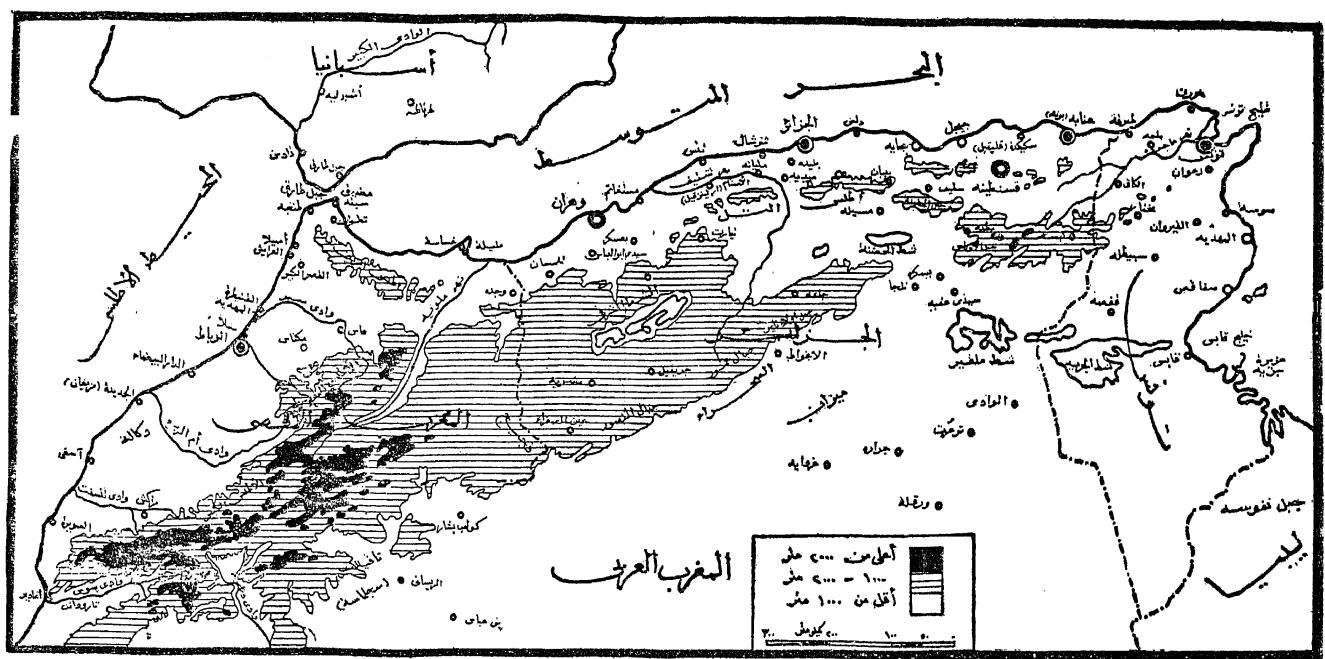


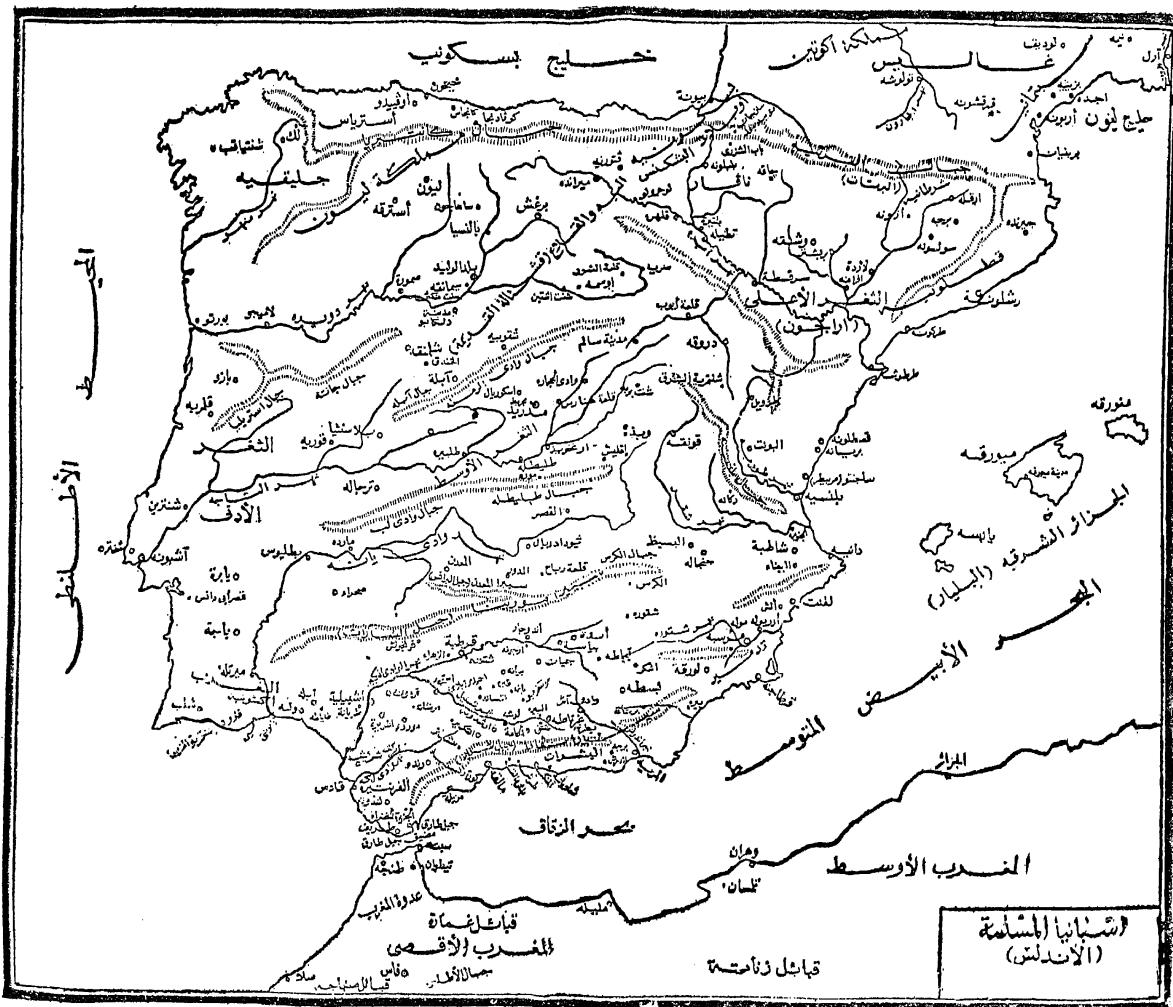


طباعة الاوفست والماستر

١٢ شارع أماسين الإسكندرية : ٤٨٢٠٧٩٩

الاسكندرية





To: www.al-mostafa.com